
رواية
بَدر رمَضان
حَسناء محمُود
وحش ڤينون
إبداع

بدر رمضان   حسناء محمود

رواية

وحش فينون

بدر رمضان   حسناء محمود

الكتـــــــــاب: وحش فينون

المــــؤلــــــف: بدر رمضان- حسناء محمود

تصميم الغـــلاف: أحمد الصباغ

المراجعة اللغـوية: هند محمود

رقـــم الإيـــداع: 2018 / 15310

الترقيـم الدولـي: 9 - 205 - 779 - 977 - 978

الإخــراج الفنـــي: مؤسسة إبداع للترجمة والنشر والتوزيع

المدير العام: عيد إبراهيم عبدالله

dreidibrahim@gmail.com



العنوان: 10 ش هدى شعـــــراوي، وســـط البـــــلد، القاهـــــرة

هاتف: 0223909119 - موبايل: 01001631173

الموقع الإلكتروني: www.prints.ibda3-tp.com

البريد الإلكتروني: info@ibda3-tp.com

ibda3bookstore@gmail.com

رواية

وحش فينون

بدر رمضان   حسناء محمود



الإهداء

إلى من يمتلك آفاق فكرٍ لا محدودة .. محبي الخيال
والفانتازيا .. القلة القليلة المتميزة .. نضع بين أيديكم
وليدة خيالاتنا

الخواطر بقلم مروج سعد

الفصل الأول

دخلت منزلها تتهادى في مشيتها وهي تفتح بابه وتتنهد براحة، منتظرةً ما سيحدث بعدما تدق الثانية عشرة. نفضت رأسها عما أرَّقها طوال اليوم، فالليلة ستتم عامها العشرين، وستعرف السر كما قالت لها جدتها في أحلامها، دوما كانت ترى ومضات من أزمنة وعصور سحيقة، ولم تتميز رؤياها ولم تعرف يومًا ماذا تعني! ففي أوقاتٍ كثيرة، كانت ترى نفس الرؤى لفترات متعددة. خطَت للداخل وهي تنزعُ حذاءها وتنطلق نحو دفترها، لتكتب ما حدث في تلك الليلة على مدار ستين شهرًا، حيث قاربت على العشرة مليون ليلة!

كل ليلة منها لا تغفو قبل أن تكتب ما حدث في ذلك اليوم، حتى تتذكر كيف مات ثلاثتهم وهي لم تُصَب بجرحٍ أو حتى خدش! يجب عليها أن تعرف! أزاحت خصلات شعرها القصير عن عينيها، وفتحت الدفتر السميك لتبدأ ككل ليلة بسرد ما حدث، علَّها تجد تفصيلة صغيرة قد فلتت منها، ثم بدأت القراءة بصوت مرتفع:

«عدت من مدرستي في ذلك اليوم حزينة مثل باقي أيامي، لقد تعرضت للتَّنمُّر للمرة الثالثة على التوالي من بعض طالبات الصف الثالث، يعبثن بحقيبتي ويبدأن بإطلاق لقب (غريبة الأطوار). ولكنني يومها تصديت لهن بعنف شديد، ولم أعلم إلى الآن ماذا تعني نظراتهن الفزعة لي وهروبهن من أَمامي بأقصى سرعة، حتى أن إحداهن تعثرت ووقعت لتبدأ بصراخٍ مدوٍ وهي تشير نحوي قائلة: «وحش، وحش!».

نفضت رأسي من هذه الأفكار السخيفة وأنا أدلف إلى منزلنا لأستعيد حماسي الذي فقدته بسبب المتنمرين، فهذه الليلة سأكمل عامي الخامس عشر، لكني توقفت حين أصابني الإحباط مرةً أخرى حين لم أجد أحدًا في المنزل.

ناديت عليهم جميعًا ولكن لم يُجبني أحد، فضمَمت حاجبي متعجبة! فأنا أعلم أن أبي أخذ إجازة اليوم لَأنه مريض، و«سيرين» أيضًا لم تذهب للمدرسة، وأمي أصرَّت أن أذهب اليوم بمفردي رغم محاولاتي أن أمكث في المنزل أنا الأخرى لأنني أولى بها، فاليوم عيد مولدي!

لم تخضع أمي لرجائي وخضعت أنا لإصرارها، وعدت الآن لأجدهم قد اختفوا جميعًا! تملَّكني الغضب وذهبت لأضع حقيبتي في غرفتي، وللعجب أنني وجدت بابها مغلقًا! لا أعلم ماذا يحدث لي هذه الأيام حين أغضب، أشعر بشعور غريب جدًا! فتحت بابي على مهلٍ فوجدتهم يصيحون بمرح!

- سنة حلوة يا جميل، سنة حلوة يا جميل.

ورغم أنني كدت أصاب بذبحة صدرية، إلا أنني لم أكن سعيدة من قبل مثل ذلك اليوم، احتضنوني جميعًا بشدة، ولم أعرف لما شعرت وقتها أنهم يُودِّعونني! نفضت رأسي من أفكاري الحمقاء عندما اقترب أبي مني ليخبرني أننا سنأخذ بقية الأسبوع إجازة، وأن هديتي هي اصطحابنا لإحدى المدن الساحلية، ثم أخبرني بسعادة أن أمي أهدتني بعض الملابس الجديدة وقامت بتحضير حقيبتي، واقترب ليُقَبِّل جبيني هامسًا وهو يشير نحو «سيرين»:

- أما عن هذه، فقد أهدَتكِ مجموعةً من أدوات التجميل.

ضحكتُ من أعماق قلبي، فأخذ أبي بيدي وجرَّني خلفه وهو يقول:

- حان الآن موعد إجازتنا السعيدة!

انقبض قلبي بشدة، وأدركت وقتها أن هناك خطب ما، ولكن كعادتي في الآونة الأخيرة تجاهلته تمامًا، كما تجاهلته طوال اليوم منذ استيقاظي، وعللت ذلك أنه من أثرِ الكوابيس التي تتكرر معي منذ مولدي على ما أتذكر، ولكن الحلم كان مختلفًا تمامًا!

توقفت عن الاسترسال بالأمر، وطلبت من أبي أن يتركني حتى أبدل ثياب المدرسة، ولكن «سيرين» دفعتني قائلة:

- هيا ساقي، أمي وأبي متحمسان كثيرًا، لا أريد أن يفقدا حماسهما.

وخلف ضحكات أمي وأبي على «سيرين»، أجلَسني أبي بجانبه ولأول مرة، قائلًا وهو يغمز لي بعينيه:

- اليوم عيد مولدك، وسأنفذ لكِ كل ما تمنيته يومًا!

كانت أمي دائمة الاعتراض على ركوبي بجانبه، وكما كانت تقول دائمًا:

- هذا مكاني، لا أحد منكم يجلس فيه.

فنظرت لها فأشارت لي برأسها وهي ترفع سبابتها:

- اليوم فقط وكل عيد مولدٍ لك.

انطلق أبي وازداد قلبي انقباضًا، حتى أنني كنت أتنفس بصعوبة!

استندَت أمي بظهرها على الأريكة خلفي ويبدو أنها غَفَت، أما عن «سيرين»، فوضعت سماعات هاتفها في أذنها وهي تنظر من نافذة السيارة كما تفعل كلما سافرنا إلى مكانٍ ما.

أبي كان منتبهًا لطريقه دومًا، وكان يقود بحذرٍ وترقب ولم يكن أبدًا متهورًا، فقد كان يخاف من أن نتعرض لأي حادثٍ حتىً لو كانت عابرة، كما كان يهتم بسيارته ويفحصها دومًا قبل أن نسافر بهًا. نظرت عبر نافذتي التي أحب أن أفتحها عن آخرها وأستنشق الهواء المنعش وأداعبه بكفي، لم أستطع التفكير وقتها بما سنفعله حين نصل، كان كل همي أن نصل بسلام، ولا أعرف لماذا يراودني هذا الإحساس بالَخطر الدائم، فلم أستطع النوم كما أفعل دائمًا! انتفضت بفزعٍ على صوت فرامل السيارة وهي تنحرف بنا، ونظرت سريعًا عبر الزجاج أماميً لأرى قطًا حجمه أضعاف القطط العادية التي نعرفها، حتى أنه كان أكبر من النمر المرقط، يا إلهي! إنه هو!

لم أتمكن من رؤيته بوضوح عندما حدث شيء غريب لم أدرِك ماهيته، انقلبت السيارة بنا في لحظاَتٍ أكثر من ثلاث مرات، لم أكن أَسمع صراخ

أمي و«سيرين»! بل كنت أراهم يصرخون بشدة، فشعرت أن الصمم أصابني من الصدمة!

نظرت نحو أبي فرأيته يصرخ بأسمائنا وهو يدعو الله أن ننجو، ولكن الأمر الأكثر غرابة هو أنني كنت في جسد القط ولم أكن في السيارة!».

تركت دفترها على المنضدة، وذهبت لتغيير ملابسها وهي تسمع دقات الساعة تشير إلى الثانية عشرة منتصف الليل، وأول دقائق بلوغها العشرين. لم تنتبه «ساڤانا» لما يحدث خلفها وراء باب الغرفة المغلقة، اشتدت آلام معدتها فجأة، فركضت نحو الحمام تُفرِغ ما فيها، صداع رأسها تصاعد بشدة، وبدأت تشعر بعظام جسدها تتكسر!

أطلقت صرخاتٍ عالية من الآلام وهي تردد:

- ماذا يحدث لي؟!

انفتح باب الغرفة التي كانت تضُجُّ منذ قليل ولم تنتبه هي لها، هذه الغرفة تحديدًا لم ترها مفتوحةً منذ أن سكنوا في هذا المنزل الذي ورثته أمها عن أجدادها، وكلما سألت والدتها كانت إجابتها: «لا أعلم يا ابنتي، فجدتك دائمًا كانت تخبرني إن هذه الغرفة يجب أن تظل مغلقةً إلى أن يحين أوانَ فتحِها».

سمعت أصوات رياح قوية تأتي من داخلها، فحاولت أن تخطو ولكنها وقعت على الأرض، لتحاول الوقوف مرة أخرى فلم تستطع، فبدأت بالزحف للداخل لتنغلق الغرفة عليها ويتوقف كل شيء إلا من صراخها!

*****

الفصل الثاني

وقفت «شويكار» أعلى المنحدر الثلجي لتشاهد البياض يغشى كل شيءٍ حولها، تحمل الرياح نسمات ثلجية منعشة للروح تداعب خصلاتها الذهبية، تراقب الجميع وهم يستعدون لبدء رحلة التزلج. تأتي إلى هنا بمفردها كل عام منذ خمس سنوات، يوم ميلادها الذي كان أحلى أيام السنة أصبح أتعسها وأكثرها شؤمًا عليها، كانت بداية النهاية هُنا، في منتجع التزلج الأشهر بتركيا «ساري قامش»، عندما اختارت هدية عيد ميلادها من والديها بأن تكون ذهابهم للتزلج سويًّا والإقامة في الفندق الموجود بالمنتجع، ويا ليتها ما طلبت! أمسكت بالعصيّ وثبَّتت لوح التزلج جيدًا وانطلقت نحو الأسفل، أغمضت عينيها العسليتين وتركت العنان للزلاجة، لعلها تصادف نفس مصير والديها وتصطدم بشجرةٍ تظهر من العدم، كما ظهرت في ذلك اليوم منذ خمسة أعوام، ولكن لا شيٍء!

تكرر الفعل سنةً بعد أخرى، ولكن لا يصيبها خدش واحد، لماذا إذًا؟! لطالما سألت نفسها لماذا؟! لقد كان والديها معروفين بمهارتهما في رياضة التزلج، حتى أنها كانت السبب في تكوين علاقة حب قوية بينهما، وأيضًا السبب في إنهاء حياتهما سويًّا!

إلى الآن ما زالت تسمع صرخاتهم في آذناها هي، كانت لحظة! فقط لحظة سبقاها فيها ولم يعودا، لقد أخَّرها عن اللحاق بهم تلك العصا الغبية التي علِقت في شيء خفي تحت الجليد، توقفت لتشدها مرةً، واثنين، وثلاث! ثم انطلقت صرخاتهم، خاصة صرخة أمها باسمها، وكلمة الوداع لها التي سمعتها جيدًا، شدتها بسرعة وانطلقت، وللمفاجأة كانا قد وصلا لأسفل المنحدر، ولكن كيف سمعت كلماتهما بذلك الوضوح!

فتحت عينيها وكانت قد وصلت لنفس المكان الذي ماتا به، بجوار هذه الشجرة التي كانت تبعد عن مسارهما بعدة أمتار، ولكنهما ارتطما بها،

خلعت قدمها من الزلاجة لتتوجه نحو الشجرة بسرعة، ولكنها تسمَّرت في مكانها عندما رأت يدها قد تحولت إلى كتلةٍ من شعر أسود قصير يشبه شعرًا تعرفه جيدًا، شعر قطة!

أفاقت في ذلك اليوم لتجد نفسها بداخل مستشفى ويدها معلقة بها المحاليل، سحبتها بسرعة لتتأكد من طبيعتها وجدتها كما هي، زفرت بارتياحٍ لم يدم طويلًا عندما تذكرت ما حدث لوالديها.

عادت إلى منزلها ككل مساء وحيدة بدون عائلة أو أصدقاء، وقفت أمام مرآتها وأزاحت خصلات شعرها عن أذنيها، فشكل أذنيها الصغيرتين الطويلتين والمسحوبتين للخلف كان السبب الرئيسي في بُعدها عن الناس، لقد عانت طوال طفولتها عند أطباء التجميل الذين لم يستطَيعوا تغيير شكلهما لآذانٍ طبيعية قط، مما جعلها ترضى بقدرها في ذلك، وساعدها شعرها الطويل في إخفائهما، ولكنها في طفولتها لم تستطع ذلك، فقد كان الجميع يسخر من شكلها، وحتى من أراد مصادقتها كان فقط يريد أن يعرف حقيقة تلك الآذان الغريبة!

تنهدت عندما تذكرت تلك الأيام السيئة، ولم يقف تمييزها عند ذلك الحد، بل عيناها العسليتين اللتين تلمعان كالقطط عند نوبات غضبها، مما أخاف جميع من هُم في سنها وسبَّبَ في البعد أكثر عنها، لذلك كان الأفضل لها أن تكون وحيدة.

بدلت ملابسها ودخلت لتنال حمامًا لعله يُهدِّئ من تشنجات جسدها التي بدأت معها منذ الصباح، نعم، فالجو بارد هذه الأيام، ولكن ليس لذلك الحد الذي يجعلها ترتعش وتصطك أسنانها من البرودة!

وقفت تحت الماء الساخن جدًا ولا فائدة! تحس بأن البرودة تأتي من داخل جسدها لا من الجو، تبًّا ما هذا؟! السلسلة التي ترتديها ساخنة للغاية! حاولت خلعها ولكن بدون جدوى، أغلقت الماء وجففت جسدها، الجماد تأثر بحرارة الماء وجسدها كما هو كقطعة ثلج!

الساعة تقترب من منتصف الليل، لا بد من ذهابها للنوم فلديها يوم طويل في الغد، قررت الاستعانة بمشروبٍ ساخنٍ ليُهدِّئ جسدها ويبعث فيه من دفئه، وقفت بجوار جهاز التسخينً تراقبً الماء بجسدٍ مرتعش، تبًّا! التدفئة المركزية بآخر درجة، ماذا تفعل لهذا الصقيع؟!

مره أخرى أحست بلسعة آتية من السلسلة، أمسكت بها وتركتها فورًا، التميمة الخاصة بها ساخنة متوهجة بلونها الأحمر المميز، تلك السلسلة التي أعطتها لها والدتها والتي بدورها ورثتها عن جدتها قبل موتها، وأوصتها بعدم خلعها أبدًا لحين مجيء أوانها!

أعلن الجهاز عن غليان الماء، سحبته «شويكار» من الكهرباء وصبَّت الماء في كوبها المفضل، دقات الساعة العتيقة الموجودة بالصالة أعلنت عن وصولها إلى الثانية عشرة.

انتفض جسدها بالكامل فأفلتت الكوب من يدها، آلام شديدة انتابتها، تشنجات متتالية، وشهقات عالية خرجت منها لا تعلم ماذا أصابها!

أصوات عالية اقتحمت المكان من كل حدبٍ وصوب، أصوات جيرانها تسمعها بوضوح تام، صوت عظامها كطقطقة الخشبً في النيران، لم تستطع المقاومة أكثر مًن ذلك وسقطت أرضا، الأصوات تزداد والتشنجات تشتد، تريد الزحف نحو هاتفها لطلب النجدة ولكنها لا تستطيع!

بألم حاولت دفع جسدها للأمام، مدت يدها أولًا وهالها ما رأت أمامها، جحَظت عيناها ثم خرجت منها أكثر الصرخات رعبًا في حياتها!

*****

الفصل الثالث

دقَّ بندول الساعة المزعج إحدى عشرة دقة، ليعلن اقتراب انتصاف ليلة «إلينا». مع كل دقة من دقاته تَنخطِف روحها وتتسارع دقات نبضها أكثر، أخذت تضم ساقيها وعيناها تتبع ميلَ الساعة، تنتظر الانتصاف برهبةٍ وخوفٍ رغم أنها لم تكن تصدق ما قيل!

تمتمت بسرِّها: «كم أكره أعياد الميلاد ومفاجآتها!»، واليوم هو عيد مولدها العشرين، منذ صغرها لا تحب الاحتفال بأعياد الميلاد، لكن هناك عيدٌ لن تنسى ذكراه ولا ما حدث فيه! مهما توالت أيام أعيادها فستتذكر دومًا!

أغمضت عينيها الزرقاوين وصخب نبضات قلبها لم يهدأ، فالذكرى أليمة ومفجعة، كان يوم ذكرى مولدها الخامسة عشر، حينها كانت والدتها قد أقنعتها بأن تُجهِّزا معًا قالب كعكة صغير ويحتفلون معًا، فقط مع والديها. هي لم تقتنع في بادئ الأمر، لكن والدتها أقنعتها بشكل ما، حتى أكملت مع والدتها التحضيرات وعلقت الزينة والبالونات، ثم استأذنت لتصعد لغرفتها التي تتوسط الطابق الثاني من الفيلا التي كانوا يسكنوها في حي «أربات» بموسكو، وهو من الأحياء الراقية التي تقطنها الطبقات الأرستقراطية بروسيا.

اتجهت للخزانة لتخرج الفستان الأسود الذي تعشقه، فهو هدية والدها لها عندما كان برحلة عمل في فرنسا، وقفت أمام مرآتها تتأمل صورتها بفخر! فتاة جميلة بكل مقاييسها، الفستان الأسود يصل إلى رُكبتَيها تقريبًا، ابتسمت لانعكاس صورتها بعد ارتداء الفستان الذي لفَّ قدَّها وأظهرها كعارضة أزياءٍ رغم صغر سنها. أحنت جذعها لترتدي حذاءها، ثم استقامت ترفع رأسها، لتندهش وترتجف أطرافها لما لمحَته في المرآة! ما هذا؟!

رفعت يدها تريد أن تلمس وجهها الذي اكتسى بالشعر، ونصف وجهها بدى كوجه قطة! ما إن لامست أصابعها بشرتها اختفى الشعر ورجع وجهها

لطبيعته، وبعد ثوانٍ لفحت جسدها نسمة باردة اقشعرَّت بشرتها لها، لم تبالغ بردة فعلها، فالأمر برمته يمكن أن يكون من نسج خيالها، أو احتمال أنها تأثرت بما تراه في منامها أحيانًا من صورٍ مختلفة لقططٍ!

أكملت زينتها وصففت شعرها الذهبي ثم نزلت تستعد لقدوم أبيها والاحتفال سويًّا، هتفت والدتها بصوتٍ مندهشٍ مقتربةً منها تُقبِّلها:

- حبيبتي إلينا، لا أصدق أنكِ أصبحتِ شابة! عيد مولدٍ سعيد.

وقدمت لها الهدية التي كانت عبارة عن رمز خشبي على شكل شجرة الأرز، محفور عليه أول حروف اسمها، فهي تعرف شغف ابنتها لهذه البلد (لبنان)، بسبب كثرة زيارتهم لها بغاية عقد صفقات كان يُبرِمها والدها مع شركاتٍ هناك.

ابتسمت «إلينا» مبتهجةً بالهدية كثيرًا، ولطالما تمنَّت العيش في لبنان، احتضنت والدتها ليلتفتا سويًّا وهما تحيطان ذراعيهما ببعضٍ نحو الباب الذي أغلقه والد «إلينا» معلنًا وصوله المتأخر، قبَّلها والدها قائلًا:

- مباركٌ مولدكِ يا غاليتي!

ثم اتجهوا سويًّا للطاولة التي حوت أصنافًا من الحلويات والأطعمة الشهية، كانوا يقفون في منتصف صالة كبيرة يتدلى من سقفها ثلاث ثريَّاتٍ بلورية مضاءة بتوهج. أوسطها كانت ضخمة جدًا معلقةً فوقهم، أشعلتً والدة «إلينا» الشموع وبدأوا يغنون لها أغنية عيد الميلاد، وعندما اقترب وقت إطفاء الشموع، أحسَّت «إلينا» بوخزة بعضلة قلبها ودقاته بدأت تتسارع!

ظهر أمامها طيف القطة الضخمة مرة أخرى! لكن هذه المرة وقفت ترمقها بوميض عينيها الساطع، وفجأةً سمعَت جلبةً فوق رأسها منتهية بصوتٍ عالٍ، فأغمضت عينيها خوفًا، لكن صخبَ اللحظة سكَنَ بعد ثوانٍ معدودات، وسكنً له كل شيء، وانتهى الأمر برمَّته، حتى حياة والديها اللّذين ما إن فتحت عينيها وجدت جسديهما مسحوقين تحت الثريا الضخمة، وهي تقف بعيدًا

عنهما مشدوهةً لم تُصَب بأي أذى، ولا حتى شكَّةً واحدة! لتجد نفسها تقف بمكان الطيف الذي رأته قبل قليل! نفضت رأسها من ذكرياتها، ورفعت كفها المرتجف تمسح دموع الذكرى الأليمة، لتجفل مرعوبةً صوت الرعد الذي سبقه برق قوي أنار الصالة التي كانت تجلس فيها، ترتقب حالةً ستصيبها كما سمعت عنها ولم تكن تريد تصديقها. ليصحَبه صوت صرير باب يُفتَح ببطء شديد، لم يكن غيرها في البيت، فمربِّيتها «مارغريتا» التي تعيشُ معها ذهبتْ لتزور أحد أقربائها خارج موسكو.

لم يتبقَّ من الوقت إلا خمس دقائق، أخذت تمشي ببطء نحو الدرج تتبع الصوت الذي أتاها من الطابق الثاني. فضولها شغلها عن الوقت الذي كانت ثوانيه المسننة تغرز مخالبها بجسدها، حتى وصلت لغرفتها وفتحت بابها، فلم تجد غير السكون يلفُّها. التفتت برعب نحو الباب الذي أُغلق بقوة محدثًا صوتًا دوى بأذنيها، ثم خفتت الإنارة تدريجيًا حتى انقطعت تمامًا.

تنفست بعمق وأخذت تُنشد تهويدة النوم التي كانت أمها تنشدها لها في صغرها حيناً تبكي أو حينَ تنام خائفة، تمنت لو أن هذه التهويدة تخفف من التوتر الذي سيطر عليها. كان الظلام والسكون يلفان الغرفة، لا صوت غير إيقاع صرير الهواء في الخارج الذي لعب بأوتار أعصابها، توترت أكثر حينما وصلت للباب ولم تستطع فتحه.

أخذت تحاول به إلى أن زادت قوتها لسحبه لكنها لم تفلح، قلبها كاد أن يخرج من بين أضلعها، فهناك نفَسٌ ثانٍ معها في الغرفة، إنها تستشعر ذلك! سمعت بندول الساعة بدأ يدق الاثني عشرة دقةً معلنًا انتصاف هذه الليلة.

ضوء البرق أضاء الغرفة لثوان، لتلتفت بسرعة للخلف على صوت الرعد الذي تلاه مرتعبة، أطرافها لم تعد تستطيع حملها، لترى بومضة البرق تلك القطة التي ظهرت اليوم في يقظتها -وأحياناً في أحلامها- بضخامتها المرعبة، ووميض عينيها الحادَّتين الذي يتوهج ويختفي حالما صورتها تختفي.

أحسَّت بقرب جسم كبير أمامها لكنها لم ترَ شيئًا، توهجت الياقوتة التي

تدلت من سلسالها بضوءٍ ساطعٍ وأيضًا ضاق حول عنقها ليخنقها، فتعالت صرخاتها وهي تقع أرضا تًنجذِبً من ساقيها بسرعة، ازداد صراخها لإحساسها بالألم الذي غلف جسدها، أَحست بأصواتٍ عميقة ولجَت لأذنيها، وعظامها تطقطق محدِثةً آلامًا شديدةً لتزيدها صراخًا.

*****

الفصل الرابع

كان يجلس عاري الصدر في خيمته وسط الغابة، مشعلًا أمامه موقدًا من النيران، لا يرتدي سوى بنطالٍ من قماش عجيب صنعه بعد عناء ليتناسب مع تحوُّله، نظر عبر شاشة حاسوبه باهتمام بالغ، إلى أن أضاء خاتمه وأصدر صريرًا بشكل يسمعه لأول مرة! وبرغم أنَّ صوته بدا ضعيفًا للغاية إلا أنه سمعه بوضوح.

التفَتَ «توراك» خلفه سريعًا وهو يُضيِّق عينيه ويسترق السمع عبر حفيف الأشجار، ثم خلع خاتمه من يده بخفةٍ ليتحول في لحظة واحدة إلى أضخم وأكبر نسرٍ في أفريقيا! فقد وصل طولُ جناحيه إلى مترين، وتراوح وزنه ما بين الخمسة والستة كيلوغرامات، وطارَ بخفةٍ خلف ذئبٍ كاد أن ينقض عليه من الخلف.

هبط «توراك» على رأسه يغرز مخالبة في رقبته ليقع الذئب صريعًا في ثوانٍ معدودات، نظر «توراك» أمامه وبنظرِه الثاقب رأى على بعد مترين من موقعه بقية قطيع الذئاب تهرب سريعًا بَعدما رأوا ما حدث لكبيرهم في لحظات. عاد لجسده الإنسي ونفَض يده من دماء الذئب العالقة في أظافره، وأخذ محرمة لينظف بها يده من أثر الدماء، ثم جلس خلف حاسوبه كما كان ليُتابِع ما يفعله من قرصنة إحدى المواقع الحكومية، لإنتاج برنامج يساعد الفرد على إيجاد سلالته الأصلية وتاريخ ما حدث لهما منذ بداية الخليقة.

توقف «توراك» مرةً أخرى وهو يرى خاتمه يضيء في يده، ولكنه هذه المرة أطلق عدة أضواءٍ زرقاء اللون تمشي في اتجاه خارج الغابة، فضمَّ «توراك» حاجبيه وأغلق حاسوبه ووضعه في حقيبته داخل الخيمة، وأغلقها بالسحاب التابع لها ثم انطلق يتبع الأضواء! نزع خاتمه ليتحول مرة أخرى، ولكنه هذه المرة اختار أن يطير مُتتبِّعًا الضوء على هيئة صقر.

*****

قبل ساعة..

صرخاتها المدوية أصبحت مواءً شديدًا ومرتفعًا، حاولت السيطرة على صوتها الذي لا تعرف من أين يخرج، ولكن بلا فائدة، فصوتها ظلَّ يعلو بشدة!

جسدها منهكٌ للغاية، وكل إنش من عظامها يؤلمها آلامًا مبرحة، وكأن أحدهم يطرقها بالمطرقة، استندت بيدها على الأرض لتستطيع النهوض، ولكن هالها ما رأت!

وجدت نفسها تقف على أربع قوائم مثل القطط! تحسَّسَتهم بحذرٍ لتجد قوائمها تنتهي بحوافر حادة كالنصل، فرجعت للخلف بذعر واصطدمت بمفتاح الإنارة بالغرفة، فاشتعل الضوء لتُصدِر مواءً كالعويل وهي ترى انعكاسها في المرآة تتشكل على هيئة قطة ضخمة، هي نفسها التي تجسَّدتها وقت الحادث!

توقفت عن المواء مرة أخرى وهي ترى حروفًا مكتوبة بشكل زخرفي تضيء بلون أحمر على الحائط، اقتربت منها وهي تحاول أن تراها بوضوحٍ لتجد نفسها تُردِّد بلغة لم تعرفها من قبل:

«منَ الوقتِ ما سيقلبُ الأحوال

وبخلع تمائمٍ على شكلِ سلسال

سيشهدُ الجسدُ بعضَ الآلام

والصيوانُ سيَلِجُ لهُ صخبٌ عالٍ!»

أكملت «ساڤانا» وهي تموء بغضبٍ وتنظر لفِرائها بفزع:

- ما هذا الهراء؟! أنا لا أفهم شيئًا!

التفت حول نفسها لعدة مرات وهي تتخبط بجدران الغرفة التي بالكاد تسعها، لتموء بضجر مرة أخرى وهي تحاول دفع باب الغرفة بإحدى قوائمها، فانخلع الباب من مكانه وطار بعيدًا مصطدمًا بالحائط من خلفه مصدرًا صوتًا

مرتفعًا.

هرولت «ساڤانا» بأقصى سرعة هكذا للخارج بشكلها المخيف وفرائها الرمادي الكثيف بدون وجهة محددة، لا تعلم إلى أين تذهب ومَن سيأويها بهيئتها هذه! ظلَّت تدور في الغابة بذعر وهي ترى كل شيء بوضوح شديد ومُقترِب للغاية كأنها تنظر عبر مكبر! حدقَتَي عينيها الطولتين تُساعدانِها على الرؤية بشكل مختلف، لترى أدق التفاصيل من حولها، فظلت تختبئ خلف الأشجار كلما سمعت صوت أحد الحيوانات المفترسة.

حاولت بشق الأنفس ألا تصدر مواءها المزعج حتى لا يعرفوا مكانها، وأغمضت عينيها بقوة حين شعرت بدوار شديد، لترى ومضات من زمن سحيق لا تفهم منها شيئًا! مجرد مشاهد لقطة تشبهها تجرى تارة، وتارة تشتبك مع أحد الحيوانات، والمشهد المتكرر دائمًا هو رؤية وحش ضخم ينظر لها بعينيه المضيئتين ويبتسم بطريقة غريبة! انقضاض الصقر فوق رأسها جعلها تنتفض لتدفعه بسرعة كالبرق بحوافرها فتُصيبه في صدره قبل أن يطير مرتفَعًا، لتتكلم بلهجتها التي لم تعرفها إلا وقتما كانت تقرأ المكتوب على الحائط:

- عليك اللعنة! صقر غبي!

رجع «توراك» لهيئته الإنسية ليقف أمامها، فأصيبت «ساڤانا» بالذعر الشديد وحاولت الهجوم عليه مرة أخرى، فأصبح «توراك» طائر قيثارة بصوتٍ عالٍ للغاية مُحدِّثها بنفس لهجتها قائلًا:

- اهدئي أيتها الشبح! فأنا أعرف مَن أنت.

عاد يمشي على قدميه ليقترب منها ببطء شديد وهو ينظر إلى صدره العاري الذي جرحته منذ قليل، ليقول لها وهو يهز رأسه بضيق:

- ارتدي سِلسالكِ حتى تعودي لطبيعتك.

فأجابته «ساڤانا» بتعجب:

- أيُّ سلسال؟!

لتتقاذف الكلمات في رأسها كوابلٍ من رصاص.

«منَ الوقتِ ما سيقلبُ الأحوال

وبخلع تمائمٍ على شكلِ سلسال

سيشهدُ الجسدُ بعضَ الآلام

والصيوانُ سيَلِجُ لهُ صخبٌ عالٍ!»

تذكرت أنها حينما وصلت للعاشرة من عمرها أهدتها والدتها سلسالًا من الفضة يتدلى منه حجرٌ أحمر غير مكتمل، قائلةً لها: «ارتدي هذا السلسال ولا تخليعه أبدًا إلا حين أخبركِ أنا!».

لم تحب يومًا ارتداء الحلي كالفتيات، لا على صدرها ولا في يديها، ودومًا ما كانت تُعنِّفها والدتها على عدم ارتدائه والامتثال لأوامرها، فكانت ترتديه عدة أيام إلى أن تنسى أمها فتخلعه على الفور وتُخبِّئه في صندوق في خزانتها.

أجابته سريعًا:

- السلسال في البيت.

ثم التفتت راكضةً بأقصى سرعة، ليزفر «توراك» خلفها بضيق قبل يُزيح خاتمه ويتحول إلى صقر مرة أخرى. وصلت للبيت فدفعت البابَ برفق هذه المرة، فهي لا تريد أن تَبيت ليلتها وبيتها مفتوحٌ على مصراعيه! عاد «تّوراك» مرة أخرى لهيئته بعدما ارتدى خاتمه ليصعد خلفها، حاولت فتح الخزانة فلم تستطع، ففتحها «توراك» وهو يلوي شفتيه قائلًا:

- اهدئي قليلًا يا فتاة! سأُساعدك.

علامات التعجب ظهرت على وجهه وهو ينظر داخل خزانتها الممتلئة بحقائب هدايا مزينة!

أشارت برأسها إلى إحدى الحقائب، ففتحها «توراك» ليجد بداخلها صندوقًا ورديًّا ملفوفًا بورقٍ ملون، يعلوه شريط ساتان منقوش عليه اسم «ساڤانا»، ويبدو أنه لم يُفتَحْ من قبل! أدمعت عيناها وهي تنظر لهدايا والديها وأختها التي أقسمت ألا تفتحهم أبدًا، بعدما سلمها الشرطي هذه الأشياء من صندوق السيارة المحطمة، وكانت تنوي أن تحتفظ بهم هكذا للأبد، لتظلَّ تستنشِق عبيرهم من خلال آخر الأشياء التي مسَّت أياديهم! فتح «توراك» الصندوق الوردي، ليجد السلسلة بداخله تتوهج مثلِ خاتمه، فرفع السلسلة ليُلبِسها إياها، ولكنه توقف حين رأى ورقةً مطويةً تحتها، أخرج الورقة أمام عين «ساڤانا» لتقول له سريعًا:

- ألبِسني إياها، هيا! وإياك أن تفتح الورقة.

فامتثل لأمرها وعادت «ساڤانا» فورًا إلى هيئتها، لتنظر لـ«توراك» بتعجبٍ حين رأت ابتسامة وقحة تشق ثغره، فزفرت بضيقٍ قائلة:

- ما بكَ أيها الغبي تنظر لي هكذا؟!

فأجابها «توراك» وهو ما زال يتفحَّصها:

- أنا لست غبيًّا لأقفَ هكذا بدون ثياب!

شهقت «ساڤانا» بفزعٍ وهي تنظر لجسدها العاري بصدمة! لتصرخ به قائلة:

- أخرُج من هنا أيها الوقح عديم الاحترام!

فخرج «توراك» يتمختر وهو يغرد بصوت عذبٍ مثل طائر الأوسيين، تاركًا «ساڤانا» خلفه تزبد وتسبُّه وهي تصفع الباب.

ابتسم «توراك» بمرح وهو يقول:

- لم أعرف أن قدَري بهذه الشراسة!

ثم تنهَّد ليُكمِل:

- وهذا الجمال أيضًا!

لكنه توقف حين وجدها تصيح قائلة:

- تعالَ إلى هنا يا هذا!

دخل «توراك» الغرفة مرة أخرى وما زالت ابتسامته الوقحة على شفتيه:

- هل تحتاجين إلى مساعدةٍ كي ترتدي ملابسكِ بشكلٍ صحيح؟!

صكَّت «ساڤانا» أسنانها بقوة وهي تتمتم مؤكدة:

- أنا عالقةٌ في كابوسٍ رهيب!

لتقذِف الورقة بوجهه:

- اقرأها وقل لي معناها.

أشار إليها بسبابته محذرًا:

- أولًا اسمي توراك، وثانيًا يوجد كلمة تسمى (تفضل)، أما ثالثًا وهو الأهم، تعاملي معي باحترام وألجمي لسانكِ السليطَ هذا، حتى لا تقعي بمشاكل معي أنتِ في غنى عنها!

مرت لحظات وهي تنظر إليه بعينين زائغتين من هذه الومضات التي ما عادت تفارقها كل دقيقة!

اقترب منها ليُحاوط خصرها قائلًا:

- ما بك؟! هل أنتِ بخير؟

أجابته بوهن:

- لا أعلم ما يحدث لي!

لتنظر له برجاء:

- أرجوكَ ساعدني! جسدي يؤلمني للغاية.

تنهد «توراك» وهو يحملها ليضعها على فراشها قائلًا:

- أنا هنا لأساعدكِ ساڤانا.

ثم فتح الورقة وهو يقرأها بصوتٍ مرتفع:

«هذا هو قدركِ وقدر أسلافك

تُحاربين المجهول وأعوانه

استعيني بعائلتكِ ومثيلاتك

ومعكُنَّ من يحميكُن

أمامكنَّ طريقان:

أحدهما النصر، والآخر الدمار الكامل!»

أنهى الرسالة وهو يضم حاجبيه قائلًا:

- ماذا تقصد؟!

انتفضت «ساڤانا» بفزعٍ حين سمعت شيئًا ما، في نفس الوقت الذي خلع فيه «توراك» خاتمه ليتحوَّل إلى طنَّان صغير يخرج من فتحة النافذة عندما شعر بالخطر!

ارتدى خاتمه ليعود على الفور لحالته قائلًا بذعر:

- لقد اكتُشِف مكاننا! يجب أن نهرب سريعًا، ارتدي سلسالكِ حالًا.

*****

الفصل الخامس

انتفضَ في فراشهِ للمرة التي أصبح بعدها لا يستطيع النوم، تلك الكوابيس في ازدياد وخاصةً اليوم! نفض غطاءه عنه وقرر النهوض، فلا نوم هذه الليلة.

وقف أمام شباك غرفته الزجاجي يراقب الخارج، أمطار ثلجية بدأت في الهطول ببطء، وقعت عيناه على معشوقته الأولى، يجب عليه النزول وتوديعها قبل أن تندثر بالكامل تحت الثلوج، فنزل من الطابق العلوي واتجه نحو الخارج، خطوات قليلة ووقف أمامها، إنها البحيرة المجاورة لمنزله! لقد اختار بناء هذا المنزل هنا بالتحديد من أجلها، الثلج بدأ في الزحف عليها ووصل إلى منتصفها، حسنًا، إنه وقت مناسب جدًا لوداعه الخاص! خلع معطفه ثم باقي ملابسه وأيضًا خاتمه ذا الياقوتة الزرقاء، ثم قفز بسرعة فور تحوُّله إلى سمكة السالمون الأحمر المشهورة بها بحيرات وبحار تركيا.

استمتع بالمياه الباردة لمدة نصف ساعة كاملة، وعندما اشتدت برودتها قفز إلى السطح، لامس خاتمه بطريقة معينة اعتاد عليها فعاد بشريًّا مرة أخرى! ارتدى ملابسه وعاد إلى منزله الخشبي المميز والموجود بوسط غابة بلجراد بتركيا، قرر اللجوء إلى حمام دافئ ينعش جسده الذي بدأ في التجمد بعد لحظة التوديع المجنونة للبحيرة، وقف تحت صنبور المياه وأغمض عينيه لدقائق يستمتع فيها بالدفء.

صداع مفاجئ انتابه، أمسك رأسه بألم ورؤى كثيرة هاجمت رأسه ولم يستطِع إيقافها سوى بفتح عينيه الزرقاء بصعوبة! تبًا حتى في حمَّامه يطارده ذلك الكابوس المتكرر، ولكن الكابوس كان وهو مستيقظ! خرج من حمامه يترنح، كلما رمش بعينيه وأغمضها يرى نفسه فيِ منزلِ آخر! نصف قطة ونصف فتاة ملقاة أرضًا صرخاتها تصم أذانه! تبًا! أيُعقِل أنً تكون هي؟! تلك التي أوصاها بها جده منذ أن أتمَّ العشرين وعرف ماهيتها؟!

لم يترك له صراخها مساحة أكبر للتفكير، سحب معطفه وخرج هائمًا على

وجهه يتتبع صراخها ويعتمد على رؤيته نحوها.

لم تستطع «شويكار» المقاومة أكثر من ذلك فسقطت أرضًا! الأصوات تزداد والتشنجات تشتد، تريد الزحف نحو هاتفها لطلب النجدة ولكنها لا تستطيع، بألم حاولت دفع جسدها للأمام، مدت يدها أولًا وهالها ما رأت أمامها، جحظَت عيناها ثم خرجت منها أكثر الصرخات رعبًا في حياتها! ذراعها بالكامل تحول إلى ذراع قطة! وما هذا؟! كفٌّ ومخالب طويلة حادة! أغمضت عينيها وفتحتها مرة أخرى على أمل أنها أُصيبت بالهلوسة نتيجة لمرضها، ولكن لم يحدث أي تغير، رفعت يدها الثانية لتجدها بشرية كما هي، لتحدث نفسها:

- بشرية! ماذا يحدث لي؟! هل قامت قطة بعضي وسأتحول أم ماذا؟!

قبضة ألم في معدتها جعلتها تصرخ مجددًا صرخات متتالية، لا تقوى على الوقوف، لا تقوى على أي شيء! محاولات أخيرة دون جدوى ثم بدأت في الاستسلام، طرقات شديدة تناهت إلى مسامعها قبل أن يخبو نور الحياة في عينيها وتصاب بالإغماء، اقتحم باب المنزل الذي يحفظ مكانه عن ظهر قلب خاصة بعد أن توقفت صراخها، كما في كابوسه ملقاة على الأرض نصفها قطة ونصفها الآخر بشري! جرى نحوها ورفع رأسها محاولًا إفاقتها دون جدوى، جرى نحو المطبخ مُحضرًا كوب ماءٍ مثلج وألقاه بوجهها، شهقة الحياة خرجت منها لتحاول فتح عينيها بعدة رمَشات، جحظت عيناها وقبل أن تصرخ كمَّم «آجن» شفتيها قائلًا:

- لا تقلقي! أنا هُنا لمساعدتك.

فهزت رأسها برعب ورفعت يدها أمام عينيها، كانت قد عادت لطبيعتها ولكن الألم استمر، ورفعَ هو يده بعد أن اطمأنَّ لسكوتها، قائلًا:

- أنتِ في بداية تحولِك، ما الذي يُجلِسك هُنا؟ أين غرفتك الخاصة؟

فغَرت فمها من الدهشة ولم تستطع النطق، ضيَّق عينيه الزرقاوين وفهم بسرعة أنها تجهل ماهيتها، فزفر بشدة، لقد وقع على عاتقه هم الشرح!

- إذًا أين هي غرفتك؟!

أشارت نحو الطابق الثاني، وقالت بصوتٍ مهزوز:

- في الأعلى.

نهض ومد يده نحوها قائلًا:

- هيا معي، لا بد أن تكوني بداخلها الآن.

انقبض جسدها مرةً أخرى مع صرخة معتادة منها، ولكنها به هذه المرة قائلة:

- ساعدني! خذني إلى المشفى أرجوك!

صكَّ على أسنانه:

- آه! حظي وقع في فتاة جاهلة تمامًا!

أحنى جسده الرشيق قليلًا وقام بحملها متجهًا نحو الأعلى متجاهلًا صرخاتها واعتراضها وهي تقول:

- ستساعدني أم ستغتصبني؟! هل هذه الرجولة؟! هل هذه المروءة؟! تقتحمُ منزلي وتعتدي عليَّ بدلًا من مساعدتي!

دخل أول غرفة قابلها وألقاها بفراشها، ثم وضع يديه على فمها مُخرِسًا إياها بنظراتٍ ثلجية، وبصوتٍ هادئ كالأفاعي:

- ابتلعي ريقك واخرسي!

جحظت عيناها وصمتَت بالفعل، وصمتت كل ألامها أيضًا، ودار بعينيه في غرفتها ثم قال:

- هذه ليست غرفة التحول! ألا يوجد غرف أخرى بمنزلك؟

أومأت برأسها فقط، فأعاد سؤاله:

- ألا يوجد؟! تحدَّثي!

- ألم تقل لي اخرسي؟!

- يا رب العالمين! جاهلة وغبية أيضًا! أخبريني يا فتاة، ليس لديكِ وقت أكثر من هذا.

- نعم، هناك غرفة أبي وأمي وهي تُجاور هذه الغرفة، وأخرى للمعيشة بالأسفل.

- جيد سأتفقَّدُهم، وأنتِ فلتظلِّي بمكانك، وعودي لخرسك مرة أخرى.

قال جملته الباردة واختفى من أمامها فجأة، كما وُجِد أيضًا فجأة! انتفضت من الألم ووقعت أرضًا إثر الانتفاضة، وقبل أن تُطلِق صرخاتها كان هو أمامها.

- الغرفة غير موجودة! ألا توجد غرف أخرى؟

بصرخة ألم:

- لا، أرجوك اخلع عني ذلك السلسال، إنه يُحرِقني بشدة!

- كيف؟ لا بد من وجوده وإلا ستموتين هكذا!

- أنتَ تبحث عن غرفة وأنا أكاد أختنق منه، أرجوك اخلعه أولًا!

- يا غبية! لا بد من خلعه داخل الغرفة أولًا!

وقف حائرًا وصرخاتها وآلامها توتره بشدة، سحب نفسًا عميقًا ليُهدِئ أمواج قلقه الثائرة، أغمض عينيه وبدأ في البحث داخل ذاكرته حتى وجدها! ففتح عينيه بسرعة وتوجه نحو الحائط المقابل لفراشها، أزاح طاولة زينتها، وابتسم عندما رأى بابًا خشبيًّا خلفها. فتحه وجرى نحوها وحملها وبسرعة، ثم دخل معها تلك الغرفة السرية، وكأنه دخل بها إلى الجحيم! صرخات متتالية، تشنجات فظيعة انتابتها ووقعت منه أرضًا تتلوى كمن مسَّها الجن وأصابها صرعه، وصوتها بدأ في التغير إلى أن أصبح عويل قطة متألمة!

الغرفة تسبح في ظلام تام إلا من تلك السلسلة المتوهجة بصدرها، فتوجه نحوها بسرعة وخلعهاً من رقبتها وكأنه أطلق المارد من قُمقُمِه، ثم ابتعد

عنها بسرعة وبحث عن قبس الإضاءة، وأخيرًا وجده، وساعدته الإضاءة على إغلاق باب الغرفة بالمزلاج.

يعرف جيدًا أن أغبى شيء قد يفعله هو المكوث مع متحولة أثناء أول تحول لها! استدار على صوت زمجرة تخرج منها، رأى قطة كبيرة! حجمها ما بين النمر والقط، ذات عينين واسعتين ومقلتين مشطوفتين تسبحان في اللون الأخضر، أذنين طويلتين دقيقتين كالخفافيش، فراء مجعد ومموج بألوانٍ متعددة، أقدام طويلة رفيعة وذات مخالب حادة، وذيل طويل مشدود لأعلىً دليلًا على الغضب الكامل! ابتسم بسخرية، إنه يعرف الخطوة القادمة، وكأنها سمعت أفكاره فانقضَّت عليه واعتلت كتفه العريض تغرس مخالبِها فيه! تأوَّه بألم وهاجت أمواجه، جذَبها من ذيلها الطويل وألقاها أرضًا قائلًا:

- اهدئي أيتها القطة المتوحشة!

خرج منها عويلٌ معترض.

- أعرف أنه الألم، ولكن تمهلي، يجب السيطرة عليه بالهدوء، وقتٌ قليل وستعتادين الأمر، فقط اهدئي.

استمعَت له وابتعدت إلى آخر الغرفة، لينكسر ذيلها في هدوء، ويهدأ عويلها إلا من بعض الزمجرات الخفيفة. دار بعينيه في الغرفة، ولفت انتباهه بعض الكتابة على الحائط بلغة غريبة لا يعرفها سواهما، وبلون أحمر متوهج كُتِب:

«حملكِ الثقيل بدأ يشتد

لكِ مهمة ولا بد من إنهائها عند الوقت

سلسال جيدكِ هو البت

رفقة ميزتها برودة الشتاء وحرارة لن يملكها أحد

لست وحدكِ هناك عدد منهم غير فرد

ستكون النهاية خسارة للأبد!»

وقفت تنظُر إليه بعيونٍ مليئة بالخوف والرهبة وشيء كبير من التعجب! عادت إلى الخلف فأصدرت جلبة نتجت عن ارتطامها بصندوقٍ خشبي وراءها، فاقترب منها بهدوء ووقف أمام الصندوق الغريب ذي القمةً المقبَّبة والجسم المستطيل. أشار لها بأنه سيفتحه، وبالفعل رفع غطاءه وجد به ورقة قديمة صفراء مطوية وملفوفة بشريط ذهبي اللون، فرَد الورقة واقتحم أنفه رائحة الورق القديم منها، بحروف حمراء متوهجة وبنفس اللغة ضاقت عيونه لما يراه:

«هذا هو قدركِ وقدر أسلافك

تُحاربين المجهول وأعوانه

استعيني بعائلتكِ ومثيلاتك

ومعكُنَّ من يحميكُن

أمامكنَّ طريقان:

أحدهما النصر، والآخر الدمار الكامل!»

أعاد طيها فخرج منها مواء معترض، التفت نحوها قائلًا:

- يمكنكِ التحدث، فقط جربي تشغيل لسانك، والآن يجب عليكِ ارتداء سلسالكِ، يكفي هذا بالنسبة لأول مرة!

قال جملته وهو يرفع سلسلتها عن الأرض، واقترب منها بخفة وعقدها حول رقبتها، فوقعَت أرضًا عارية الجسد تمامًا، فحصَ بهدوء جسدها الرشيق والأقرب للنحافة من السمنة، بشرتها البيضاء الناصعة ومفاتنها الظاهرة، ثم خلع معطفه وألقاه عليها ببرود. شهقَت عندما انتبهت لعُريِّها أمامها، وتسربت الحمرة إلى وجنتيها، أعطاها ظهره إلى أن ارتدت معطفه ذا الفرو الأسود الخشن، والذي كان بالكاد يغطي خصره، والآن يصل إلى ركبتيها، فغرقت فيه بشكل مضحك، وبصوتٍ طفولي حاد بدأت في أسئلتها:

- ماذا حدث لي؟ ومَن أنت؟ وما هذه الرسالة والغرفة العجيبة؟! أخبري، ما كل هذه الفوضى؟! وما...

قاطعها قائلًا:

- ابتلعي ريقك وكُفِّي عن الثرثرة أولًا، واتركي لي فرصةً للشرح.

وقبل أن يُكمِل حديثه توهَّج خاتمه بضوءٍ قوي، فالتفت نحوها قائلًا:

- هناك خطر قريب منا، لا بد أنه هوَ وعَلِم بمكانك، هيا بنا سنغادر.

- نعم؟! نغادر إلى أين؟! أنا لن أغادر قبل أن تشرح لي كل شيء، وأولهم من أنت!

لمعت عيناه بزرقةٍ مخيفة.

- إذا بقينا هنا فسأشرح لكِ في الجحيم الذي سيُرسِلنا إليه بتذكرة مجانية! هيا الآن!

أحسَّت بجدية كلامه وارتعبت من عينيه الغريبتين، لتبتلِع ريقها قائلة:

- حسنًا، دعني أحزِم حقائبي أولًا.

- لا يوجد وقت لذلك الهراء!

- إنها هُنا في غرفتي، كنت أجهزها للسفر غدًا.

- حسنًا، هيا بسرعة.

خرجت إلى غرفتها، أما هو فقط أمسكَ بالرسالتين جيدًا، ودار في المكان بسرعة لعله يجد رسائل أخرى ولكنه لم يجد، ثم ذهب وراءها، كانت هي تمسك بحقيبتها وتحشر بها أشياء أخرى! تلك الغبية! لا يوجد لديهم وقت ولا بد من المغادرة الآن، الخاتم يزداد حرارة وتوهجًا!

توقفت «شويكار» وهي تقول:

- دعني أرتدي ملابسي!

لم يُجِبها، بل أمسكَ بكفيها يجرُّها خلفه غير مُبالٍ لاعتراضها وثرثرتها.

*****

الفصل السادس

ليلة باردة، والظلام والسكون يسودان المكان إلا من عمود إنارة واحد يتوهج وينطفئ بشكل يبعث الرعب في النفوس، يمشي بتبختر والغضب يستعر بين عينيه، حتى وصل لخيمته التي تتوسط السيرك الذي يعمل به، دخل الخيمة وبدأ الغضب يتبدد شيئًا فشيئًا، وقف أمام مرآته التي عكست صورته ينظر إليها!

جسد ضخم يكسوه شعرٌ أسود وأنياب حادة، أخذ احمرار عينيه يتبدد، ثم بدأت ملامحه تنكشف تدريجيًا إلى أن بانت هيئته كاملة بعد أن زال الغضب نهائيًا. شاب طويل القامة، ضخم العود، مكتنز العضلات، ذو شعر طويل، عيناه بزرقة صافية ويُحيط وجهه لحية جعلته بمظهرٍ جذاب، تلمس بيديه الكبيرتين خطوط الجروح المندملة قديمًا، والتي تعرّض لها أثناء خوضه لمشاجرات مع بعض الذئاب التي كانت تحاول مهاجمة السيرك حينما كان بعمر أصغر. أكثرهم بروزًا هو ذلك الذي توسَّط صدره من جانبه الأيسر، كان ناتجًا عن معركة شرسة بينه وبين أسد آخر! لم يكن سهلًا عليه أن يتأقلم مع وضعه الجديد، فغالبًا ما كان يرفض التحول الذي يعتريه، إما بتهدئة غضبه أو بالابتعاد والانطواء، إلا أن السيرك قد قدم له الكثير، وجعله أقرب إلى واقعه، وأيضًا ليسد رمق غريزة البراري التي بداخله.

ابتعد عن المرآة يقصد سريره البسيط ليرمي بثقل جسده عليه، فليلته كانت متعبة كسابقاتها، جالَ بنظره للخيمة التي حوت ذكرياته لخمس سنوات، صحيح أنها لم تكن ثابتة هنا بنفس المكان، لكن تبقى هي بيته أينما وُضِعت!

أغمض عينيه لثوانٍ متنهدًا بحرارة، فهناك شيءٌ ما يؤرقه منذ زمن، رفع كفه ليُحدِّق بالخاتم الذي ارتداه توًّا ذي الياقوتة البنية، أدار كفه لليمين ليبصر شيئًا جديدًا قد طرأ على خاتمه، وكأنه رمزٌ متوهج بوميض خافت، عقد حاجبيه وقلَّص دائرة عينيه يريد فهم ما ظهر توًّا، قرَّبه أكثرً من عينيه فلم

يستطع رؤية شيء، لم يكترث، فبعد ثوانٍ قليلة زال الوميض.

تمتم بصوتٍ خفيض:

- ترى متى يا جدي سيحين الوقت؟

رجع يُغمِض عينيه مستسلمًا للنعاس والتعب، ليغرق بنوم عميق، بدأ يلهث وقلبه يكَاد يخرج من بين أضلعه، يجري بسرعة يُسابق الرِّياح، ليجد النيران تُضرَم بداخله، سمع صوت صرخات عميقة تَلِّج لأذَنيه، وكلما زاد الصراخ زادت سرعته وزاد نبضه. وصل لمكَّان الصراَخ، بناية شاهقة من غير نوافذ ولا أبواب، يقف محدقًا بها وهو متعب، آلامٌ تغزو قلبه فيُطلِق عواءً عاليًا، وحدقتاه الناريتان تسمَّرتا للأعلى نحو إحدى النوافذ التي يخرج منها صوت الصراخ وضوءٌ أحمر متوهج يخرج من النافذة! فتقدم خطوتين، وفجأةً توقف حين رأى ثعبانًا ضخمًا وطويلًا يلتفُّ حول أطرافه ويعتصرها، ألمه ازداد أكثر وأكثر حتى تحوَّل صوته لعويل! استيقظ من نومه مفزوعًا، جبينه متعرق، حدقتاه الحمراوان ترتجفان، قلبه يكاد يقف من سرعة نبضاته، ورؤيا باتت تلازمه منذ أن تحوَّل في عمر العشرين!

حينها كان جامحًا، يُنكِر ما آلت إليه حياته من تغيُّر، والرؤيا كانت تؤكد له ما كان جدُّه قد أوصاه به! نهض من فراشه وأصوات غريبة أصمَّت أذنيه، غريزته جعلت دماءه تغلي ولونها برَز في عروقه، انتزع خاتمه وبسرعةٍ خاطفةٍ تحوَّل إلى فهد أسود بعينين شرستين.

خرج يجري وسرعته تضاهي سرعة أي فهد طبيعي، يجوب الشوارع الخالية من البشر غير السكون والهدوء فيها، وبلحظات قليلة وقد وصل للمكانِ المنشود الذي كان يتخلل رؤياه دومًا، نظر إلي أعلَى المنًزل المظلم إلا نافذةً منه يتوهج منها ضوء أحمر، فقفز قفزةً عاليةً لشرفة تلك الغرفة المتوهجة، ودخل ببراعةٍ من الباب الذي كان مفتوحًا قليلًا.

*****

شعرت «إلينا» بنفَس ثانٍ في الغرفة رغم الظلام الحالك وخفوت الضوء المتوهج من سلسالِها، للحظاتٍ توهَّمت أن هناك جسد يشبه القطة التي تراودها في مناماتها لتجعلها تستيقظ مفزوعة ومتعبة وتئن وجعًا، لكنَّ هذا ليس بقطة! لحظات واقترب الجسد منها حتى صار قريبًا جدًا، لتنجذب من قدميها، الألم ازداد أكثر وصرخاتها ازدادت أكثر، والسلسال بدأ يضيق ليخنقها.

ارتدى «هرماس» خاتمه ليتحول لهيئته الإنسية، وركض نحو الضوء يفتحه، ليُفاجأ بـ«إلينا» تتلوى ألمًا بحركاتٍ وصرخاتٍ أصمَّت أذنيه، وسلسالها كان يُضيء بلونٍ أحمر، فجلس على ركًبتيه وقد بًدى التوتر على محياه متذكرًا أحد جمل وصايا جده: «السلسال سيعيق التحول!».

أخذ يرفع رأسها الذي كان يرتطم بفعل الحالة التي اعترتها، لينتزع السلسال من رقبتها، فوقفت «إلينا» منتصبة على أربعٍ قوائم وذيل مستقيم أسفل ظهرها، وعيناها اللتين كانتا واضحتي الرؤية جدًا، لتجد صورتها في المرآة!

قطة ذات فراء أبيض منتشر عليه بقع رمادية، وعينين مغزليَّتين تلمعان، وأنف صغير ينتهي بشقٍّ لفم بارز الأنياب!

أرادت الصراخ فلم تجد غير المواء يخرج منٍ حنجرتها، مواء قريب للعويل! ليزيد استياؤها وترتطم بجوانب الغرفة محدثةً جلبةً كبيرة. أخذت تستاء أكثر حتى أنها كسَرت المرآة التي انتشرت شظاياها حولها، مما جعل «هرماس» يدفعها للحائط ويُلبسها السلسال، لتقع هي أرضًا مغشيًّا عليها. أشاح بنظره عن جسدها البضِّ وقوامها العاري، ثم اتجه صوب السرير ليأخذ الغطاء وأحنى جسده ليُغطيها، انتبه لجمال وجهها الهادئ وخصلات شعرها الذهبي التي غطت جبينها، وببطءٍ شديدٍ مدَّ كفه السمراء ليُزيحها.

فجأةً انتفضت مفزوعة تجرُّ الغطاء حولها وتتمسك به، فقام من جلسته ليَظهر لها بقامته المديدة، وعضلاته المفتولة وشعره المسدل حتى أكتافه تتخلَّله خصلات خفيفة مذهبة.

هتفت بعصبية:

- مَن أنت؟ وكيف دخلت؟!

قال بتوترٍ ملحوظ، وأخذ يُمعِن النظر حوله، يبحث عما يدور بباله:

- هذا ليس وقت أسئلة، ارتدي ملابسك، فيجب أن نجد الرسالة!

قطَّبت حاجبيها لتقول:

- أي رسالة؟ وحالتي هذه ما كانت؟ كيف تحولتُ لقطة؟! أفهمني كيف دخلت؟!

تنهَّد لوابل الأسئلة التي أمطرتها عليه، حاول أن يقنعها بهدوءٍ قائلًا:

- إن بقيتِ هكذا سيُكتشف أمرنا وتتعقد الحالة أكثر.

رفعت كفها تمسك جبهتها بتوتر وتبعد خصلاتها المجنونة عن عينيها، والغضب يعتري كل إنش بجسدها، وأدار هو وجهه للجهة الأخرى متنهدًا، ثم جحظت عيناه فجأةً لرؤيته ضوءًا أحمرًا يتوهج من جانب خزانة الملابس، فأخذ بيده الكبيرة يسحب الخزانة تحت أنظار «إلينا» المصدومة التي وقفت تتستَّر بملاءة السرير.

بعدما أتمم سحبه كليًّا، ظهرت له بقعة كبيرة تتوهج بضوء أحمر خافت، لم يستطع التركيز لأن ورق الحائط كان عائقًا لصدِّ الكلمات عن رؤياه، فأخذ يُمزق الورق الملصق بعناية، وبسرعة تامة وبحركات متناسقة، استطاع أن يُزيح الورق عن تلك البقعة، لتظهر الكلمات له لكن بلغة غير مفهومة، ظل يحدق بها مقطبًا حاجبيه، وها قد بدأ يقرأ الكلمات رويدًا رويدًا:

«لكِ من الوقتِ أقل مما مضى

ولكِ هبةٌ لا يملِكُها أحد

قوةٌ وتبصيرٌ ورفقةٌ من بعد الضلالةِ هدى

وأيضًا علامةٌ ستُناسب حجركِ من جهةٍ يمنى

احذري من كان حمَلًا وديعًا واليومَ أفعى

مفتاحكِ عددٌ زوجيٌّ تتقاسمون الرؤى!»

كانت واقفةً كالبلهاء لا تفهم شيئًا مما قاله، أما هو فبعد قراءته للنبوءة أتمَّ توصيل الحبال المقطعة بتفكيره، وأيضًا حلَّ عُقَد الشائكة منها، إلا من جملةٍ واحدةٍ لم يفهمها: «احذري من كان حمَلًا وديعًا واليومَ أفعى».

التفت بجسده ناحيتها ليُبادر بسؤالها ولم يفتح تقطيبة حاجبيه:

- هل تعيشين وحدك بالمنزل؟

رفعت أحد حاجبيها لتجيبه:

- وبرأيك، فتاة في مثل عمري هل تستطيع العيش بمفردها بمثل هذا المكان؟!

وفجأةً انقطعا عن الكلام وهما يُرهِفان السمع لصوتٍ قادمٍ من أحد أبواب خزانة الملابس، فتقدمت «إلينا» خطوة تنوي تتبع الصوتً، لكنها تفاجأت بـ«هرماس» يجذبها من خصرها ليضعها وراءه وتقدَّم هو ببطءٍ شديد نحو مصدر الصوت، ثم فتح الباب بسرعة خاطفة، ليظهر له صندوقٌ مربع الشكل له ثلاثة رؤوس لقطط تنتشر على غطائه، ويهتز بحركات عشوائية ليرتطم بجوانب الخزانة. مدَّ يده ببطءٍ حتى تناوله ليفتحه بحذر، لم يجد شيئًا، لكن هناك بقعة زرقاء تتوهج من قاع الصندوق، فأخذ يسحب الطبقة الملاصقة للقاع ثم أزالها بهدوءٍ تام، لتظهر له جُملٌ مرتبة بنفس لغة النبوءة الأولى:

«هذا هو قدركِ وقدر أسلافك

تُحاربين المجهول وأعوانه

استعيني بعائلتكِ ومثيلاتك

ومعكُنَّ من يحميكُن

أمامكنَّ طريقان:

أحدهما النصر، والآخر الدمار الكامل!»

أكمل قراءة النبوءة لينظر لها بإمعان، ثم قال بنبرة استنتاجية:

- إذًا تأكدت، أنتِ هي!

قالت مستنكرة:

- مَن هي؟! أنا من؟!

ردَّ أسئلتها بسؤالٍ آخر:

- مَن يعيش معك؟ تكلمي!

أجابته بحدةٍ تهزُّ برأسها مشعث الشعر:

- لن أُجيبكَ ما دمت لم تُجِبني ولم تُفهِمني ماهية الجلبة التي أحدثتَها!

فأجابها:

- أنتِ بخطر، وأنا مكلفٌ بأن أحميَك، سأجيب على كل شيء لاحقًا، فقط أخبريني الآن!

انتفضا على صوتٍ غريبٍ في الطابق الأرضي، فسحبها من معصمها يحدق بعينيها بغضب قائلًا من بين أسنانه:

- من هذه اللحظة ستنفذين كلمتي بدون نقاش، أفهمتي؟!

عقدت حاجبيها لتومئ برأسها إيجابًا مكرهة، ثم أفلت يده برفقٍ جعلها تدعك معصمها الذي اصطبغ بلونٍ أحمر، قائلًا:

- ارتدي ملابسًا مريحة، وهيا بنا.

كانت تريد الاستنكار وإبداء الرفض، لكن عينيه المصممتين لم تُعطيانها فرصةً لنطق حرفٍ واحـد. دخلت إلى ملحق الملابس بغرفتها لترتدي حُلة سوداء وترفعً نصف شعرها بإهمال وتدع الباقي ينسدل على كتفيها، وأحضرت حقيبة صغيرة وضعت بها حاجياتها لكن بدون أن تملك أدنى فكرة عن المكان الذي ستقصده مع ذلك العملاق، وخرجت بسرعة لتقف أمامه

بأنوثة طاغية، والاستياء قد أخذ مأخذه بين ملامحها الهادئة.

ليتنحنحَ قائلًا:

- هل أنتِ جاهزة؟

كتَّفَت يديها حول صدرها رافعةً هامتها للأعلى، قائلة:

- نعم، أنا جاهزة حضرة الزعيم!

رمت كلمتها الأخيرة بنبرة استهزاء، فنظر لها وابتسامة خبثٍ جانبيةٍ ارتسمت على ثغره، ثم قال لها ببرود:

- اسمي هرماس، ولستُ زعيمًا!

وخلع خاتمه ليتحول إلى حصان، لكن ليس كأي حصان، إنه أضخم حصانٍ رأته يومًا!

ارتدَّت «إلينا» مفزوعة ترجع إلى الوراء تكتم شهقاتها بيدها، وضرب هو بحوافره على الأرضية يأمرها بالصعود، وبينما هي تصعد، انفتح باب الغرفة، والمفاجأة التي ظهرت لهم كانت شيئًا غريبًا!

*****

الفصل السابع

ارتدى خاتمه ليعود على الفور لحالته قائلًا بذعر:

لقد اكتُشِف مكاننا، يجب أن نهرب سريعًا، ارتدي سلسالكِ حالًا.

نظرت «ساڤانا» لجيدها ووجدت السلسال مكانه، فالتفتت له بتعجبٍ لتجده قد خرج من المنزل ليجوب في الغابة، فلحقت به قائلة:

- أنا بالفعلِ أرتدي السلسال!

تأفف «توراك» بضيق وهو يمسك كفها ليجرَّها خلفه بتذمر وقال:

- لن نستطيع هكذا الوصول لمكانٍ آمن، يجب عليَّ أن أتحول.

فسألته «ساڤانا» وهي تجري خلفه:

- هههه! لماذا أخبرتني أن ألبسَ سلسالي وأنا بالفعل أرتديه؟!

توقف «توراك» خلف إحدى الأشجار وهو يسترق السمع ويشير إليها بسبابته قائلًا:

- أعتذر منكِ فلم أنتبه للأمر، ششش! اصمتي تمامًا الآن.

ازداد توهج الخاتم لتتوهج السلسة بدورها، فخلع «توراك» خاتمه على الفور وأغمض عينيه بشدة ليتحول إلى طائر الفينق، وهي إحدى تحولاته التي لم يجربها من قبل سوى مرة واحدة، ولم يستطع إتمامها. جحظت عينا «ساڤانا» وهي تعود للخلف برعب من شكل «توراك» الذي تحول في لحظات إلى طائرٍ ضخم وجهه مخيفٌ! تكلم «توراك» باللغة الغريبة التي يتحدثان بها وقتَ التحوّل:

- هيا اصعدي على ظهري سريعًا.

فسألته:

- أيجبُ عليَّ أن أتحول أيضًا؟

فأشار لها والذعر يسيطر عليه وما زال يهتز بشدة:

- لا داعي، فقط اصعدي.

اعتلت «ساڤانا» ظهره ليبدأ «توراك» بالطيران، لكنه لم يستقر بعد فطائر الفينق يُتعبه كثيرًا، ولم يستطع التحول للعنقاء سوى مرة واحدة للتجربة، لم يكرر الأمرَ لأنه أرهقه بشدة، ولكن الآن هو مجبرٌ على التحول لشيء ضخم وقوي. فزعت «ساڤانا» لتصرخ عندما رأت رجلًا ضخم الجثة بجناحين كبيرين يقترب منهما، ويكاد يتخطى في الطول العنقاء التي تعتليها! بدأت تصرخ بذعرٍ عندما وجدته يقترب منها يضمُّ حوافره على بعضها ليُمسِك بها، بصوت واهنٍ أخبرها «توراك»:

- تشبثي جيدًا ساڤانا.

ليتحرك «توراك» بشكلٍ يكاد يكون أسرع من الوحش الذي يحوم فوقه، نظرت «ساڤانا» لعينيه الثاقبتين ووجدتهما تشعان باللون الأحمر بشكل مرعب، الريش يغطي جسده المفتول كالرجال، أصابتها الدهشة وهي تتساءل:

- هل هو رجل أم طائر البومة؟

استغلَّ رجل العثة اندهاشها واقترب أكثر منها وهي ما زالت تتفحصه كالبلهاء، فأفاقت في آخر لحظة وهي ترى ابتسامته الساخرة حين أمسكَ بطرف بلوزتها. اختضَّ جسدها وهي تلقي نظرة على حوافره التي حاوطتها من كل جانب، فشدَّت السلسال من جيدها في ثانية لتتحول إلى «وحشٍ ڤينون»! فور تحولها لم يستطع «توراك» تحمل وزنها الضخم، فتهاوى ساقطا على الأرض لتتعلق «ساڤانا» بريشه، فغرزت أظافرها الحادة في ظهره. تألم «توراك» بشدة صارخًا، فاختض جسدها واقشعر من آلامه، فأفلتته لتقع متعلقةً بغصنٍ كبير، انقطع الغصن وقبل أن تسقط على الأرض التقفها رجل العثة وهو يقول بنفس اللغة الغريبة:

- سيَسعَد سيدي بكِ كثيرًا!

فدفعته في وجهه بأظافرها المدببة، لتصطكَّ أسنانه بغيظ وهو يصفعها بجناحه، فسقطت من بين يديه متأوهةً لاصطدامها بالأرض. وقبل أن ينقض عليها رجل العثة مرة أخرى، وجد «توراك» أمامه بهيئة تنينٍ نافثًا في وجهه أخدودًا من نار! ليصرخ رجل العثة راجعًا للخلف برعبٍ، وقبل أن يطير هاربًا أمسكت «ساڤانا» قدمه بمخالبها تمنعه من الهرب، محدثةً جرحًا بطول قدمه، مما جعله يتأوه بألم شديد. ليقف «توراك» أمامه فاتحًا فمه مُخرجًا منه نارًا أكبر من ذي قبل،ً وكلما صرخ رجل العثة ازداد «توراك» نفثًا للنار، حتى توقف الوحش عن صراخه وما زالت «ساڤانا» تمسك قدمه المحترقة متأوهةً بألم مما أصاب يدها من حروق.

ارتدى «توراك» خاتمه سريعًا ليهبط على الأرض منهكًا لأقصى حد، تاركًا الوحش خلفه متفحمًا! صرخات «ساڤانا» بدأت تزداد من الألم، وحاول هو النهوض بأعجوبة، فلأول مرةٍ يتحول لتنينٍ بهذا الحجم، لقد استنفد التحول طاقته لأقصى حد! اقترب منها بوهنٍ قائلًا:

- ارتدى سلسالكِ ساڤانا.

ناولته إياه بيدها السليمة وجسدها يرتعش من الألم تحاول كتم صراخها، فألبسها «توراك» السلسال سريعًا لتتحول مرة أخرى لجسدها الأنثوي الغض عارية. لم يستطع «توراك» أن يعلق تعليقاته الوقحة هذه المرة، فاكتفى بغض بصره لينظر إلى يدها المصابة، فوجد إصابتها أصبحَت طفيفةً بعد أن فقدت تحولها. شهقت «ساڤانا» وهي تنظر إلى يدها التي كانت قبل لحظات تقتلها ألمًا قد برأت! تعجب «توراك» مما حدث، ليجدها تلكزه في كتفه وهي تصكُّ أسنانها وتخلع سلسالها سريعًا وتتحدث بلغتهم الخاصة تشير لفرائها:

- أوجِد لي حلًّا سريعًا لهذا التعري!

لم يعد يستطيع «توراك» التحمل أكثر، فسقط متعبًا ليستند بظهره على

إحدى الأشجار مغمض العينين، ركضت «ساڤانا» إليه قائلة والقلق يأكلها:

- ما بكَ توراك؟ هل أنتَ بخير؟ أجِبني!

فأجابها بصوتٍ متعبٍ للغاية:

- بعد حوالي مئة متر ستجدين خيمتي، اذهبي واختبئي بها حتى أستردُّ بعضًا من عافيتي وأوافيك إليها.

وقفت لدقائق تفكر، لا تستطيع أن تذهب وتتركه بمفرده وسط الغابة، وأيضًا لن تستطيع مساعدته وهي بجسد القطة هذا، فعزمت أمرها وأمسكته بقوائمها الأمامية لتضعها على ظهرها وتنطلق نحو الطريق الذي أشار لها عليه. وبعد فترة قصيرة وجدت الخيمة، ففتحت سحَّابها ودلفت للداخل لتهبط على قوائمها تزيح «توراك» من على ظهرها برفق، لتدور بعينيها على ملابس تستطيع أن تلبسَها حين ترتدي السلسال.

وجدت حقيبة الملابس التابِعة لـ«توراك»، فلبست سلسالها سريعًا وهي تنظر نحوه، فوجدته ما زال منهكًا مغمض العينين، فاستغلت تعبه وأخرجت من حقيبته بنطالًا من الجينز لتلبسه، وهي تدعو أن يكون قياسه مناسبًا، لتبتسم بمرح حين وجدته ملائمًا لها، ولبست فوقه قميصًا من قمصانه والذي أغلقته بصعوبة، ولكنها في النهاية ليست عارية. اتجهت نحو «توراك» الذي ما زال جالسًا على الأرض يستند برأسه على فراشه الموضوع، وضعت يدها على رأسه وهي تضمُّ حاجبيها، فلأول مرة ترى شعرًا طويلًا لرجل ولونه مثل العسل الصافي!

أمسكت بخصلات شعرها السوداء التي لا تتخطى مؤخرة عنقها، وابتسمت بسخرية على تفكيرها السطحي وهي تقارن شعرها بشعره! ما هذه الفوضى التي تعيشها منذ صباح اليوم؟! انقلبت حياتها رأسًا على عقب في عدة ساعات، وهي إلى الآن لا تفهم شيئًا مما يحدث.

أمسك «توراك» بكفها الموضوع على شعره قائلًا وهو يفتح عينيه مبتسمًا:

- أيُعجِبك شعري لهذا الحد؟!

ابتلعت ريقها لتحاول شدَّ يدها من يده، ولكنه حاصرها قائلًا:

- لا تغضبي، فكل الفتيات يُعجَبن به.

زفرت «ساڤانا» وهي تنزع يدها هذه المرة بقوة أكبر وتزمجر ناظرةً إليه بغضب، حتى أفلتها «توراك» وهو يرفع يديه الاثنتين بمرح:

- حسنًا أيتها الهرة، لا تغضبي، كنت أمزح معك.

انكمش وجه «تـوراك» فجأة من الألم الذي يشعر به في مؤخرة ظهره، فتأفَّفت «ساڤانا» وهي تجلس بجواره قائلة:

- هل أنتَ بخير؟!

أشار برأسه «لا!» وهو يضع يده على ظهره، فالتفتت «ساڤانا» لترى ما به، وشهقت حين رأت أثر انغراز أظافرها على ظهره مُحدثًا ثلاثة شقوقٍ بطول ظهره.

شعرت بالأسف الشديد قائلة:

- أنا آسفة توراك! لقد كنت خائفة!

أجابها وهو ما زال يتألم:

- لا عليكِ ساڤانا، في هذه الحقيبة أدواتٌ طبية، عقِّمي لي الجروح وغطِّيها حتى لا تَصاب بالتلوث.

امتثلت لأمره وعادت بأدواته لتعالج جروحه متعجبةً من قوة تحمله الشديدة، أدركت بخبرتها في مجال الطب أن جرحًا منهم يحتاج لتقطيب في الحال، وإلا تقرَّح وسبَّب له الحمى ومضاعفاتٍ من الممكن أن تؤدي لمَوته.

سألته بصوت متقطع وهي تشعر بالحرج الشديد لما فعلته به:

- هناك جرح يحتاج لتقطيب، هل يوجد لديك مخدر حتى لا تتألم أكثر من

ذلك؟

ابتسم بوهن قائلًا:

- لا أحتاج إلى مخدر ساڤانا! فأنا معتاد على هذه الأمور.

أمسكت بالإبرة الطبية والخيط وقامت بتقطيبه بحرفيةٍ تامة، وقلبها يتألم لأجله برغم تماسكه وعدم اهتزازه، حتى انتهت من مهمتها ثم ذهبت لتجلب له قميصًا بدون أكمام لتُلبِسه إياه وهي تقول:

- هل أنتَ بحالٍ أفضل الآن؟

التفت إليها وهو يغمز بعينه:

- لم أكن أفضل يومًا.

ليقترب من وجهها وهي جاحظة العينين ليكمل هامسًا:

- وسوف أكون أفضل وأفضل إن تقرَّبنا أكثر من ذلك.

لم تنتظر أكثر وهي ترى عينيه متعلقتين بشفتيها، لتهبط بيدها صافعة إياه على وجهه، ليعض «توراك» شفته السفلى بقوة قائلًا:

- شرسةٌ أنتِ للغاية!

فقامت «ساڤانا» توليه ظهرها وهي تقول:

- وقحٌ قليل الحياء!

ضحك «توراك» بملء فيه وهو يشير لها أن تجلس مرة أخرى، ولكنها هزت رأسها رفضًا وهي تنظر له بغيظ.

حاول أن يقف ولكنه لم يسترد قواه بعد، فقال لها بجديه:

- حسنًا اجلسي ساڤانا حتى أخبركِ كل شيء.

نظرت لوجهه العابث فوجدته جديًّا للغاية، فأطاعته لتجلس مرة أخرى وهي

تقول:

- من هذا الوحش الذي هاجمنا؟

لم يستطع إلا أن يبتسم مرة أخرى، فحذَّرته بنظرة من عينيها ليكمل وهو يقطب جبينه:

- أتسألين مَن هجمَ علينا وتركتِ تحوُّلكِ اليوم؟! وهل أنا بالنسبة إليكِ شخصٌ طبيعي؟!

هزتِ رأسها وهي تنعي غباءها، ليتنهد «توراك» وهو يعود برأسه للخلف قائلًا:

- كنت أسكن في بلدة تسمى ماديرا بالبرتغال.

اقتربت منه تجلس بجواره لتسمعه بانتباه وتركيز، وأكمل «توراك» سرده:

- أبي يمتلك هناك أكبر متجر لبيع الطيورِ البرية الأليفة منها والشرسة، ترعرعت أنا في كنف هذه الطيور، ولم أكُن أعرف وقتها لماذا يحبونني بهذا الشكل، كنت أذهب لمدرستي وعلى كتفي اليمين نسرٌ يقترب من طولي، وكتفي اليسار يحوي صقرًا مفترسًا للغاية! لم يستطع أبي السيطرة عليهما وقت أذهب للمتجر، فقد كنت أجدهما ينتظرانني، وقتها كنت أرفض رفضًا تامًّا أن أقصَّ شعري، حتى أصبحت في العاشرة من عمري وصار شعري يتخطى منتصف ظهري.

ثم ضحك «توراك» ليكمل:

- لن أنسِى والدتيِ يومها، كانت تصيح بأبي أن يقص شعري في الحال قائلة: «أنا لم أنجبِ فتاةً لتتباهى بشعرها أمام الناس!»، ثم أتت بالمقص وقصَّته لي وأنا واَقفٌ مشدوه لأبكي بعدها بهستيريا، جرنيٍ أبي من يدي خلفه بغضب شديد ليُدخلني غرفته مغلقًا إياها خلفه قائلا لي بنبرة لن أنساها مهما حييت: «اراكَ تبكي لقص شعرك كالفتيات مؤكد انت لست بولدي!»، فتوقفتُ عن البكاء لأنظر لأبي تعجبًا لما يقول، فتأفَّف هو وجلس بجواري

قائلًا: «أنت لست فتى عاديًّا يا بني، يجب أن يقوى عودك وتشتد، لأنك في يوم ما سيقعُ على عاتقكَ مسئولية حماية الأرض»، فلم أبكِ قط من يومها، وكأنه أشعل بداخلي جمرةً تجعلني دومًا بالقوة التي يريدها، حتى حين توفيت والدتي بعدها بعدة سنوات، لم أبكِ على فرقها رغم حزني الشديد عليها!

أدار وجهه نحوها ليُكمِل:

- لم أفهم مقصد أبي أبدًا، ولكنني اقتنَعت بأنه يريد أن يفتخر بي، وبعدها أدخلني أبي إحدى نوادي ألعاب القوى لأقوم بها جميعًا، بدءًا من المصارعة والملاكمة وانتهاءً بالكونغ فو وباقي الألعاب القتالية، كنت أشتركُ في مباريات عدة وكنت أفوز بها دائمًا، حتى توقفت بأمر أبي في التاسعة عشر من عمري، كنت غاضبًا لهذا الأمر بشدة بعدما حققته من إنجاز وفزت بجوائز كثيرة، إلى أن جاء اليوم الموعود! فقبل أن أُتمَّ عامي العشرين ببضع ساعات، أخذني أبي في جوف الليل لغابة بعيدة عن منزلنا، ولم يُجِب على تساؤلاتي إلا حين وصلنا إلى هناك، أخرج الحطب من السيارة وأشعَلها سريعًا لنجلس سويًّا قائلًا لي: «من اليوم ستتغير حياتك يا ولدي ولن تكون بشريًّا خالصًا!»، تعجَّبتُ بشدة لقوله، وقبل أن أبدأ أسئلتي المعتادة، أعطى لي ورقة بلغة غريبة لم أرها من قبل ولم أفهم منها شيئًا لعدةِ دقائق، ثم بدأت في قراءتها مرة أخرى لتتضحَ الحروف أمامي، فقرأتها وأنا أُتهتِه:

«يأتي قدركَ حين تُكمِل العشرين

تتحوَّلُ وقتَها إلى طيرٍ هجين

أمامكَ بعدها خمسٌ من السنين

تكون فيها الملاذَ والعرين

لوحشٍ ستعرِفهُ بعدَ حين

وبيدكَ قدرٌ لا يستهانُ به ولو بطرفةِ عين!»

نظرت لأبي متعجبًا حين وجدت جسدي يؤلمني بشكل لم أشعر به من قبل، صرخت بشدة والألم يزداد، لأجد أبي يبكي بصمت ولا يستطيع فعل شيء، إلا أنه أمسكَ يديَّ بقوة لأرى الخاتم الذي أرتديه قد توهَّج بشكل مخيف! فأزاحه أبي ولأول مرةٍ بعد أن أهداني إياه منذ كنت في الخامسةَ عشر ولم يسمح لي من حينها أن أخلعه لأي سبب! أصدرتُ بعدها أصواتًا مخيفةً وأنا أعلو عن الأرض، لأنظر ليدي فأجدها قد أصبحت جناحين، لم أعرف ما يحدث لي، فصرت أتخبط يمينًا ويسارًا إلى أن سمِعت صوت أبي يعلو قائلًا: «تعالى إليَّ يا ولدي سريعًا!»، تتبَّعت صوته حتى وصلت إليه فأعطاني الخاتم، وحين لمستُه عدت لطبيعتي، ومن يومها طوَّرت من هِبَتي كثيرًا، وصرت أتحول لأي طائر أبتغيه، إلا اثنين لم أكن أستطيع التحول إليهما حتى اليوم، أولهما العنقاء، وقد تعبت كثيرًا حين جربت أن أتحول إليه أول مرة ولم أكررها بعد تلك المرة، وثانيهما التنين، فلم أجرِّبه قط ولم أستطع حتى التفكير في الأمر، ولكن من الواضح وأنتِ بجانبي أستطيع فعل ما كان محالًا من قبل!

تكلمت «ساڤانا» وعلامات الدهشة تنطق على ملامحها:

- أنا لا أفهم شيئًا توراك! لماذا نتحول هكذا؟

أجابها «توراك» وهو يتنهد بتعب:

- أبي قال لي أنني خُلِقت لمهمة محددة وهي حمايتك!

ضمَّت حاجبيها قائلة:

- مِمَّن؟!

صوت حاسوبه الطنان جعله ينتفض مسرعًا إليه ليُخرجه من حقيبته، وفتحه على الفور ليجد أمامه دائرتين حمراوين تتحركان في اتجاهين معاكسين، وعلى كل دائرة منهما رمزٌ لوحش ڤينون!

*****

الفصل الثامن

توقفت «شويكار» وهي تقول:

- دعني أرتدي ملابسي!

لم يُجِبها، بل أمسكَ بكفيها يجرُّها خلفه غير مُبالٍ لاعتراضها وثرثرتها.

زفرت بضيقٍ بعدما وصلا لمنزله القريب من الغابة، أغلق «آجن» الباب خلفه ينظر إليها، فوجدها تضع يدها على جبهتها التي بدأت تظهر عليها قطرات العرق البارد، دوار شديد انتابها أحست معه بأنها تقف في عرض المحيط، أغمضت عينيها وبدأت تشعر بانسحاب أنفاسها، بل انسحابها هي شخصيًّا إلى مكانٍ آخر!

ومضات سريعة، غابة كثيفة، عواء مخيف، حفيف الأشجار ونبش الحوافر في الأرض الترابية، أفاقت على عدة هزاتٍ منه، فتحت عينيها بصعوبة، ليسألها:

- ماذا أصابك؟! هيا لقد تأخرنا.

بأنفاس متهدجة أجابته:

- انتظر! لقد، لقد رأيت شيئًا مخيفًا، لا أعلم!

أكملَت وهي تضع يدها على أذنها الطويلة صارخة:

- ألم شديد برأسي وعواء غير محتمل!

ضاقت عيناه وبدأ التوتر في التسرب إليه، خاصة بعد ازدياد توهج خاتمه ليُنبِّئه باقتراب خطر كبير، فحسم أمره وانحنى بجذعه الرشيق وقرر حملها والتوجه بسرعة نحو أي بحيرة، جرى بها بسرعة شديدة ودخل إلى الغابة التي كانت تجاور منزله، حاولت الصراخ وأمره بالابتعاد عن الغابة، ولكنه قد سبقها إليها.

تكررت الومضات والعواء داخل آذانها يزداد، أحسَّت أن مصدره يقف أمامها، صرخت به ليتوقف، وانتفضت من يده ووقعت أرضًا ويدها فوق أذنيها تئنُّ بشكل مفجع، نزل إليها وهزَّها عدة مرات حتى تفيق، ظنًّا منه أنها أصابها صرَع ما!

- أراهم يقتربون منا!

- ماذا؟ مَن هم؟ وماذا ترَين؟!

- ذ..ذئب، أ..أو ذئاب، لا أدري!

وقف مسرعًا بعد ما وصله صوت عواءٍ قريب، خلع ملابسه بحرفيَّة تعود عليها ثم خاتمه، وتحول بسرعة إلى تمساحٍ برمائي طوله سبعة أمتار ذي ذيلٍ طويل، حوافه مستقيمة، عيونه شرسة وأنيابه حادة مستعدة للفتك بأي لحظةٍ. انتفضت «شويكار» عند رؤيته وزحفت ببطءٍ للوراء، وقبل أن يُطمئنها ظهر أمامهما أغرب ذئب رأوه في حياتهما! بجسدٍ ضخم جدًا، وفراء كثيف، وعيون حمراء نارية ورأسين، رأس طبيعية عند المقدمة ورأس خلفية مكان الذيل!

صرخت «شويكار» عند رؤيته وجرت مختفية وراء أحد أشجار الغابة، انقض عليه التمساح قبل أن يلحق بقطته ودارت بينهما معركة دامية، واختفت «شويكار» خلف الشجرة تراقب ما يحدث بجسد منتفض ودموع كالأنهار، كانت معركة أنياب، فكل منهما يحاول غرس أنيابه الحادة في جسد الآخر. وأخيرًا أمسك التمساح برقبة الذئب وبدأ في الفتك بها داخل فمه الكبير الواسع، مما جعل الذئب ينتفض مـرارًا، فظن أنه قد تخلص منه، ولكن للمفاجأة، انفصل الجزء الأخير وكوَّن ذئبًا آخر! سمعته يصرخ بها ويأمرها بخلع سلسالها فورًا عندما هرب الذئب نحوها، بينما هو لا يزال يصارع جزءه الأول ولا يستطيع تركه، ثوانٍ معدودات حتى استوعبت «شويكار» الأمر وشدت سلسالها بعد أن رمت معطفه، وتحولت إلى هيئتها في وحش ڤينون، وقبل انقضاض الذئب عليها كانت قد قفزت نحو أحد الأشجار وتعلقت في

أحد أغصانها.

صدرت منه ضحكة عالية شريرة مستهزئة، وقال بلغته الغريبة على مسامعها ولكنها قد فهمتها:

- مرحى! يبدو أن سيدي أعطاكِ حجمًا أكبر بكثير من حجمك، الهرة الوحش تهرب بسرعة تحتمي بالأغصانَ!

أنهى جملته وعاد إلى الوراء يشد من جسده ثم بقفزة واحدة كان بجوارها على نفس الغصن، والذي لم يتحمل وزنهما فسقط بهما على الفور، فأطلقت «شويكار» مواءها المتألم بينما الذئب استغل الفرصة وانقض عليها، ولكنها أشهرت مخالبها في وجهه وبدأت في قتاله وخربشته مما أغضبه بشدة، وبقدَم واحدة كان قد أحدث بجسدها جرحًا طوليًّا، وقبل أن يضع مخلبه الآخر ًكان تمساحها المنقذ قد وصل إليها وقبض عليه، وفصل رأسه عن جسده بمنتهى القوة!

صرخت «شويكار» ألمًا بينما هو لمس خاتمه وعاد إلى هيئته الإنسية عاريًا، ثم مال بجسده القوي عليها واضعًا سلسالها حولٍ جيدها، هاله رؤية جرحها الذي امتد من رقبتها حتى منتصف فخذها طولًا، وشهقت هي عند ملامسته لها، فانتفض بسرعة وأحضر بنطاله وارتداه، وأخذ معطفه يغطيها به.

ضَوَت عيناه الزرقاء عندما رأى جرحها يختفي رويدًا رويدًا، ومال نحوها وساعدها في ارتداء المعطف، بينما شهقت هي عندما لمحت آخر الجرح ينسحب من جسدها تمامًا، وقالت له:

- ماذا يحدث لي؟! أرجوكَ أخبرني!

- سأشرح لكِ كل شيء، ولكن المكان هُنا غير آمن، علينا الذهاب بسرعة.

أومأت رأسها ثم اتسعت عيناها عندما رأت جروحه وندوبه التي انتشرت على صدره وذراعيه، فالتفت نحو جسده الذي أشارت إليه بعيون دامعة، ليُجيبها:

- لا عليكِ سأتدبر الأمر، ساعديني لنذهب.

وبالفعل استسلمت له هذه المرة، وقادها نحو منزله الآخر ملاذه وأمانه، فتح الباب وسحبها معه إلى الداخل وانهار في كرسيه من شدة البرد والجروح والإنهاك.

وقفت تتطلع إلى المنزل الغريب ذي الأرضية الزجاجية الشفافة، والتي تفصلها عن مياه زرقاء تسبح فيها أسماك مختلف ألوانها وأنواعها، رفعت رأسها إلى أعمدة أربعة زجاجية مثل الأرضية، ويُحيط بها صالة مربعة يجلس هو في منتصفها بأريكة زرقاء كلون كل شيء حولها! وقفت أمامه لا تدري ماذا تفعل، وبصوت ضعيف أخبرها عن مكانٍ أدوية تطهير الجروح وطلب منها المساعدة، كعادتها وقفت مشدوهة قليلًا، ثم ذهبت كما طلب تمشي بخطى خفيفة بخوف طفولي فوق ذلك الزجاج والأسماك الغريبة، ثم عادت وجلست بجواره تنظف جروحه، أغمض عينيه تحت تأثير لمستها التي تميزت برقة متناهية فعلت به الأفاعيل وأشعلت بجسده نارًا دافئة أذابت تجمده.

سحبت قميصه من يده وساعدته على ارتدائه ثم سألته:

- كيف حالكَ الآن؟

بصوت رجولي هادئ كبحر سكنت أمواجه:

- بخير.

- وعدتني بالشرح!

فعاد بجسده وأسند رأسه على الأريكة، بينما جلست هي مشدودة تنتظر إجابته على دفعة الأحداث التي حصلت في الساعات الأخيرة، ليقول:

- أولًا أنا آجن.

تعجبت في البداية من اسمه ولكنها أجابت بحيادية:

- وأنا شويكار.

- اممم، اسم تركي أصيل.

- نعم على اسم جدتي الكبرى.

- ولم تخبركِ جدتك أنك ڤينون؟

- أنني ماذا؟!

- نعم، اتضحت الأمور كليًّا، أنتِ لا تعرفين شيئًا نهائيًا، إذًا دعيني أبدأ بنفسي، كما أخبرتك أنا آجن، ومهمتي هي حمايتك.

- مِمَّن؟!

- من شيء أكبر منا جميعًا، على سبيل المثال ذلك الذئب الذي شرفنا بزيارة منه.

- وماذا؟!

فبدأ استياؤه منها في الظهور مرة أخرى.

- هلا صمتِّي قليلًا حتى أكمل لكِ كل شيء؟!

ابتلعت ريقها وأطاعته صامتة.

- كما ترين حولك، منزلي المتواضع يشرح هويتي، أنا نصف بشري والنصف الآخر كائن بحري.

- سمك تقصد؟

حدجها بنظرات نارية على مقاطعتها، فاعتذرت بعينيها وعادت لصمتها.

- كل ما في البحر هو أنا، بدأت قصتي عندما كنت صغيرًا، كان لدي عائلة بسيطة أنا وأبي وأمي، وكان أبي يعشق ممارسة الصيد مثل أي مواطن تركي ونقل عشقه لي بالوراثة، بل تفوقت عليه ولم أكتفِ فقط بالصيد بل بالسباحة، والتي انهالت عليَّ الجوائز بسببها، لم أكن أعرف أن كل ذلك بسبب هبتي وطبيعتي البحرية حتى وصلت إلى عامي العشرين، وفي يوم

مولدي وقبل إتمامي له بساعات قليلة، كنت أنا وأبي في رحلة بحرية أصرَّ عليها على الرغم من برودة الجو آنذاك، وذهبنا بمفردنا في عرض البحر إلى أن انتصف الليل، فخلع عني خاتمي دون أن يخبرني بأيٍ شيء، وتحت ذهول تام مني ألقى بي في عرض البحر، وقبل أن أصل غرقًا للقاع كان تحولي قد تم بالكامل، وعرفت ماهيتي الحقيقية! أتذكر ثورتي على أبي لعدم إخباري وإلقائي هكذا دون أي مبرر، ولكني عرفت أن لديه كل الحق، لم أكن لأصدق ولو حرفًا من كلامه إلا إذا رأيت كل شيء بأمِّ عيني، وعندما عدت لطبيعتي أخبرني بكل شيء عن حقيقتي، وأعطى لي رسالة تحوي نبوءة تخصني، انتظرتكِ لخمس سنوات حتى أرى ما بها.

- كنتَ تعلم بوجودي؟

- نعم، رأيتك كثيرًا ووصلت لمنزلكِ الذي دخلته مرارًا وتكرارًا في أحلامي.

- وهل أنا مثلكَ ولدي نبوءة تلك الرسالة التي قرأتها علي؟

فأومأ برأسه إيجابًا.

- ولكن لماذا؟!

وقبل أن يكمل حديثه توهج خاتمه بضوء غريب لأول مرة يراه في حياته، ضاقت عيناه وصمَت ليراقبه قليلًا، ومضات متتالية جعلته ينتفض.

- كيف؟! منزلي هذا آمن للغاية!

انتفضت «شويكار»:

- ماذا يحدث؟!

- خطر جديد، لا بد من المغادرة.

- إلى أين؟!

- إلى ملاذي الأخير، هيا بنا.

- أرجوك، لا أريد رؤية وحوش أخرى!

- لا تخافي، إنه هنا أمام منزلي، هيا بسرعة لنلحق هذه المرة.

خرجت وراءه، ولفَّ هو إلى مخزن منزله أولًا وأحضر أدوات غطس!

- هيا ارتدي بسرعة.

- ماذا؟! لماذا؟

أمسك بذراعها وتوجه نحو تلك البحيرة التي أمام منزله.

- تبًّا! الثلج غطى البحيرة بالكامل، انتظري هنا، سأجلب شيئًا ليساعدنا على الغوص.

- نغوص في بحيرة متجمدة! هل جننت؟!

- تحتها منزلي الآخر الأكثر أمانًا أيتها الحمقاء!

جرى نحو منزله وأحضر عصا حديدية طويلة وبدأ في تكسير سطح البحيرة، ظلَّ يراقب خاتمه الذي توهج ضوءه حتى وقع الضوء على سطح البحيرة المتكسرة، أحس باقتراب حفيف مسرع نحوهم، فالتفت خلفه منتفضًا إثر صرخة «شويكار» المرعوبة!

*****

الفصل التاسع

خلع خاتمه ليتحول إلى حصان، لكن ليس كأي حصان، إنه أضخم حصانٍ رأته يومًا! ارتدَّت «إلينا» مفزوعة ترجع إلى الوراء تكتم شهقاتها بيدها، وضرب هو بحوافره على الأرضية يأمرها بالصعود، وبينما هي تصعد، انفتح باب الغرفة، والمفاجأة التي ظهرت لهم كانت شيئًا غريبًا!

ركض «هرماس» مسرعًا وهو يحمل «إلينا» على ظهره، وبدت كخيَّالة متمرسة تنتصب فوق ظهر الحصان بهيبة. رغم تعرضهما للخطر قبل قليل عندما هلعت لرؤيتها تلك الأفعى الضخمة، صارت ترتجف ولا تعرف ماذا تفعل، وكيف دخلت تلك الأفعى! فأخذ «هرماس» يضرب بحوافره أرضًا حتى تصعد على ظهره بعدما تحوَّل لحصانٍ ضخم، وما إن قفزت تصعد على ظهره قفزت الأفعى أيضًا تريد الالتفاف عليها، لكن سرعة «هرماس» جعلت الأفعى تُخطئ الهدف وتقع أرضًا.

قفز هو من شرفة غرفة «إلينا» إلى الشارع وأخذ يركض بسرعة إلى مكانٍ آمن حتى وصلا للسيرك، وقبل دخوله ضرب بحوافره وهو يأمرها النزول، فطاوعته ونزلت عن ظهره لتقفَ وتنظر له، حصان بني كبير يتدلى من رقبته شعرٌ طويلٌ بني مموج، أما ذيله فكان وحده لوحة زينته بالجمال والانبهار.

وبينما هي مشدوهة بتفاصيله، ارتدى «هرماس» خاتمه بطريقته التي اعتادها ليتحول لإنسي من جديد، بطوله المديد وشعره المسدل على أكتافه وعضلاته المكتنزة، فتسمَّرت «إلينا» واقفةً بوجوم وتنظر له بدهشة، جاحظة عينيها لما كان وبعدها كيف صار. سرعان ما أدارت وجهها عندما رأته يقف عاريًا، فتنحنح وسارع إلى خيمته ليسحب بنطالًا له من حقيبته، فلفَّ ظهره ليتفاجأ بوجودها تنظر له كأنه أحد عجائب الدنيا السبع! عيناها كادتا أن تخرجان من مكانيهما، فأشار برأسه لها:

- ستقفين هكذا طويلًا؟!

نفضت رأسها من دهشته ثم رجعت تعقد حاجبيها لتسأله:

- بعيدًا عن كيفية تحولكِ للحيوانات، هلا شرحت لي أين نحن؟ وما الذي يجري؟

فتنهد يرفع يديه يمسح وجهه قائلًا:

- أنتِ لا تعرفينني، لكني سأعرفكِ بحالي، وسأروي لكِ كل ما أعرفه، لكن ليس الآن، يجب أن نقصد مكانًا آمنًا.

توقف فجأة يرهف بسمعه لشيء ما، وجذبها من ذراعها مكمِّمًا فمها بكفه، ثم ألصق جسدها بجسده يُطوِّق جذعها بذراعيه المتينين، وأحنى رأسه لأذنها يهمس لها بصوتٍ خفيضٍ من بين أسنانه:

- هناك شيء يتعقَّبُنا!

ارتجفت رعبًا مما قاله، فسكتت وسكنت بين يديه تُصغي لنبضات قلبه لقرب رأسها من صدره، وما هي إلا ثوانٍ وصارت «إلينا» تصرخ محاولة أن تزيح كفه التي وضعها على فمها، فانتبه لقدمها التي التفَّت حولها تلك الأفعى السوداء الضخمة التي ظهرت لهما في منزلها، حاول تخليصها فلم يقدر، وفجأةً رفعت الأفعى ذيلها لترمي به فارتدَّ بعيدًا خارج الخيمة ليرتطم بشجرة ضخمة، مما جعله يقع على الأرض.

انتفض واقفًا والدم صار يغلي بعروقه وعيناه بدتا كالنارِ تلهب غضبًا، وبجزء من الثانية خلع «هرماس» خاتمه ليتحول إلى كوبرا ضخمة تضاهي قوة الأفعى! اتجه نحوها بسرعة في اللحظة التي كانت تزيد من عصرها لـ«إلينا» وانقض عليها، أحدث جرحًا غائرًا في جسدها، فصرخ في «إلينا»:

- اخلعي سلسالك!

استطاعت أن تمتثل لأوامره بصعوبة ورمت بسلسالها، فتحولت لقطة تنبش في الأفعى لتُفلتها مضطرة، فسنحت الفرصة لـ«هرماس» بأن يشتبك معها ويلتف حولها وبدآ بالاقتتال مع بعضهما، حتى استطاع كل منهما إصابة

الآخر، ثم انتفضا فجأة بعيدًا ليستعدَّا للجولة الثانية.

كانت «إلينا» القطة تراقب من بعيد، تحاول الانقضاض أيضًا على الأفعى، وقبل أن يحذرها «هرماس» انقضت عليها مصدرةً مواءً عاليًا، غرزت الأفعى أنيابها في رقبة «إلينا» (القطة) فأردَتها على حين غرةٍ لتسقط أرضًا، مما جعل الكوبرا تنقضُّ ملتفةً بسرعةٍ على جسدها الطويل غارزةً أنيابها في بداية رأسها تنفث كل السم بها، حتى ظلت ترفس وترتجف إلى أن تحوَّلت إلى بشرية بجسد امرأة أربعينية، قوامها هزيل ووجها شاحب.

ظل جسدها يرفس ويرفس إلى أن لفظَت أنفاسها الأخيرة وتحولت لرمادٍ أسود متطاير، فجحظت عينا «إلينا» لرؤية مربيتها «مارجريتا» هي الأفعى!

ارتدى «هرماس» الخاتم ليتحول إلى بشري وركض متوجهًا إلى «إلينا» الواقعة على جنبها، وضع السلسال برقبتها فعادت إلى هيئتها البشرية، ونظر لجسدها المرتجف وجبهتها المتعرقة، فجثى على ركبتيه يضع رأسها بحجره، ثم أزاح شعرها فرأى أربع غرزٍ لأنياب الأفعى برقبتها. أحنى رأسه واضعًا ثغره على مكان الغرز يمتص السمَّ قبل أن ينتشر في جسدها، على الرغم من معرفته بأنه حل غير مجدٍ على الإطلاق ولكنه الحل الوحيد الذي خطر بباله!

أما هي فظلت تنتفض بين يديه وحرارتها أخذت بالارتفاع، التفت حوله يحاول الاستغاثة بأحد ولكن غلَّف المكان السكون والجميع نيام، فعاد برأسه مرة أخرى لها فجحظت عيناه وفغر فاه إثر الدهشة عندما رأى جرحها بدأ بالاندمال تدريجيًا إلى أن اختفى! وعلى الرغم من ذلك، كانت حالتها سيئة جدًا، وجهها شاحب كالأموات وشفتاها تحولتا إلى اللون الأبيض، ومرتجفة تردد عدة كلمات غير مفهومة.

جلس بقربها يصغي إلى الكلمات التي تهذي بها فلم يفهمها، مجرد أسماء «مارجريتا»، «ساڤانا»، «شويكار» و«برد.. برد».

حملها ووضعها في فراشه ودثرها جيدًا بالأغطية ليهدأ برد جسدها، ثم جلس

أرضًا بجوارها، لم تكن تتألمٍ من سم الأفعى، ولكن ما كان يؤلمها حقًا هو أنها مربيتها التي اعتبرتها تعويضًا من الله بعد فقْد والديها! بدأ جسدها يستكين وعادت الدماء لوجهها مرة أخرى، ولكنها راحت في نوم غريب بالنسبة إليه بعد مرورهما بهذه الأحداث في تلك الفترة القليلة، أما هُو فلا يستطيع، خوفًا من أن يلحقهما شيء آخر، وفضّل تجهيز نفسه لرحلته القادمة.

تململت بنومتها، فتحت عينيها ببطء لترى سقفًا غريبًا لخيمة أغرب، فانتفضت في مكانها لتعود لها ذاكرتها سريعًا، منذ ساعات قليلة تعرضت لمحاولة قتل، من الثعبانة «مارجريتا»! شهقت عاليًا تضع يدها على فمها، لقد تذكرت ما آلت إليه مربيتها بعد أن قتلها «هرماس»، لقحدث نفسها:

- هرماس! أين هو؟!

وقبل أن تطأ قدماها الأرض ظهر أمامها يحمل حقيبة في يده، واقترب منها بهدوء وجلس على السرير بجوارها وقال:

- كيف حالكِ الآن؟

- بخير، شكرًا لك، ما هذه الحقيبة؟

- ستعرفي ماهيتها بعد أن تخبريني، من هي تلك المرأة التي تتبَّعتنا بهيئة الثعبان؟

ابتلعت ريقها من هول ما تذكرته والصدمة التي تلقتها حينها، أرخت ملامحها لتبدو يائسة، ثم قالت بصوتٍ مخنوقٍ وأجفانها ترتجف محاولةً كبت الدموع:

- إنها مم..مارجريتا، مُربِّيتي!

فرفع بصره ليشاهد وجهها الذي تلألأ بالدموع، ثم بعد برهة تنحنح قائلًا:

- كيف كانت علاقتها بك؟

مسحت دموعها لتقول:

- كانت محل أمي التي فقدتها، لم تتركني لحظةً واحدة، عاشت معي من قبل وفاة أبويَّ وشاركتني أفراحي وهمومي.

تنهد قائلًا ينظر للفراغ:

- وراء تلك المرأة لغزًا.

وبعد ثوانٍ هتف بصوتٍ عالٍ وهو يقف من جلسته:

- أتذكرين النبوءة التي وجدناها في صندوق مجوهراتك؟

أومأت بنعم، ثم أردف قائلًا:

- كان فيها تحذيرٌ حول أفعى كانت قبل ذلك حملًا وديعًا.

التمعت عيناها ثم أجابت:

- نعم، أتذكرها، ما خطبها؟

فأجابها قائلًا:

- مربيتكِ لها علاقة وطيدة بتحولك، وأيضًا بمستقبلكِ الذي نجهله حاليًا.

ضيَّقت عينيها ثم قالت:

- لم أفهم! ما الذي ينتظرني من مفاجآت؟!

وقبل أن يُجيبها انتبه لخاتمه الذي بدأ يومض بخفوتٍ بعدة ألوان، أزرق، أحمر ثم أخضر، ليقول وهو يعقد حاجبيه:

- ستعرفين لاحقًا، المكان غير آمن الآن، علينا السفر بعيًدا حتى لا يتتبعنا وحش آخر.

- مكان بعيد! كيف ذلك؟!

قال لها:

- لديَّ مكان آمن سنقصده سويًّا بعدما نتحول، كنت أقصده حينما كان

السيرك بجولته حول أوروبا.

عقدت حاجبيها بعدم فهم وقالت:

- هل هو خارج روسيا؟ كيف؟

أجابها:

- نعم، إنها جزيرة في اليونان.

رجعت تستفهم بأسئلتها المعتادة:

- أين؟ كيف سنذهب من غير جواز سفر؟! فليكن بمعلوماتكَ لن أسافر بطريقة غير شرعية، فأنا لي سمعتي، لا أريد أن يُمسكوني بمخالفة.

فصرخ بها قائلًا:

- هيييه! كفى! أي جواز وأي مخالفات؟! يا فتاة أنت تتحولين لقطة كبيرة وضخمة وسريعة جدًا، وأنا لي القدرة أيضًا أن أتحول لحيوان بري وسريع أيضًا، لذا فسنذهب الآن، ما عليكِ سوى أن تمتثلي لأوامري وسنصل هناك سريعًا وبخير.

سكتت «إلينا»، فأخذ يخلع عنها السلسال لتتحول لقطة بهيئتها المعتادة، أما هو فقد خلع الخاتم وتحول لفهد أسودٍ ضخم ذي أنياب كبيرة بارزة، وصار يُحادثها بلغة يفهمانها هما الاثنان قائلًا:

- اتبعيني إلينا حتى نصل بسرعة.

انطلق وانطلقت خلفه، إلى أن وصلا للمكان المنشود، كانت خلابًا هي الكلمة الوحيدة التي تستطيع وصفه! يحيطه من كل جانب البحر بزرقته عاكسًا ضوء شمس الغروب التي بدا لونها برتقاليًا، لتتلألأ أمواجه بمدها وجذرها، وتُزين أرضه رمال ذهبية اللون لطيفة الملمس احتضنت بداية البحر وامتدت حتى نهايته، كان المكان كلوحةٍ زاهيةٍ تسرُّ الناظر إليها.

ارتدى «هرماس» خاتمه بطريقته المتقنة المعتادة ليتحول لهيئته البشرية، فأخذ يضع السلسال في جيد «إلينا» لتتحول هي الأخرى كذلك، وجلسا على الشاطئ متعبين من الطريق، وقالت له:

- هل من الممكن أن أسألك سؤالًا؟

أدار وجهه لها مبتسمًا ثم قال:

- لن تستطيعي الصمود وأنت ساكتة! تفضلي أيتها الثرثارة، اسألي.

قالت له عاقدةً حاجبيها:

- لا تلُمني، فإنكَ لو كنت بمكاني لتجد فجأةً حياتك تنقلب هكذا، لما ظللت بصوابكَ وقتها.

فهز رأسه متفهمًا، فقالت:

- منذ متى وأنت تتحول هكذا؟ هل لحالتي صلة بما أنت عليه؟

أدار وجهه للبحر متنهدًا، قال وهو يرجع بجذعه للخلف يستند على كفَّيه:

- كنت قبل العشرين من عمري أعيش حياةً طبيعيةً كأي شابٍّ مع عائلتي، والديَّ وأخي وأختي وجدي أيضًا، حتى وصلت لعمر الثامنة عشر، كانت تراودني رؤى كثيرة لم أفهم ما هي، وكانت تتكرر دومًا بنفس تفاصيلها، بعضها كان يتخللها صراخ ومنزل مظلم وأفعى، لم أبُح بها لأحد، وفي ليلة دخولي عامي العشرين، كنت مع جدي بعمله، وكان مروِّضًا للأسود آنذاك، فأخذ يُمسكني من كفي ويمشي بي إلى قفص كبير قد وضع به مرآةً كبيرة، كان القفصَ خاليًا فأدخلني ودخل معي، ووقَّف يقابلني وهو يمسكني من أكتافي، ثم قال: «اسمع بني هرماس، إن لكَ مهمةٌ لا يُستهان بها، وعلى عاتقك تقع مسؤليةٌ كبيرة، احفظ عني ما أحمله لك فستحتاجه حينها، منذ أن ولدت وبعضدك الأيمن تلك العلامة الدموية، فعرفت أنكَ المختار لمهمة سبقت أسلافك ممن يحملون نفس العلامة»، ثم أخرج خاتمًا من جيبه وورقةً

ملفوفةً بعناية من تحت الياقوتة، ثم ألقى عباراتها على مسمعي:

«ستحمل العبء حين يكون داخلكَ نصفه إنسي ونصفه كاسرٌ متوحش، وبانقضاء العقدين من عمرك وبعدها بخمس، ستكون درعًا صادًّا للسهام تحمي من سيكون لها أعداء وبيدها سلاحٌ لمن سيَفتكِ بالإنس والعمران!»

دُهشت حينها ولم أستطع أن أتفوه بكلمة، فالذي قاله جدي من كلام قد ربطته بالنبوءة، شيء لا يمكن تصديقه، وأيضًا لم أتقبل ذلك الكلام، كيف سأتحول؟ ومَن سأحمي؟ فتجاهل جدي سؤالي قائلًا: «اخلع خاتمكَ وستعرف كل شيء»، فرفعت كفي التي توسطها الخاتم وبثانيةٍ خلعته، وما إن خلعته أصابتني الآلام بجميع جسدي، دوار ودوار، رفعت كَفيَّ أغطي أذني لولوج الأصوات العميقة، تحولت الألوان إلى لونين فقط الأسود والأحمر، ثم اشتد وضوح الرؤية لدي، وقعت أرضًا وصرت أتدحرج تارةً وأخرى أرتجف إلى أن اكتمل تحولي لأسدٍ كبيرٍ بعدما التقطت صورتي المنعكسة بالمرآة لأندهش منها، أردت الصراخً منً هول الصدمة فلم يخرج غير الزئير الذي من قوة صوته كسَّر المرآة إلى شظايا صغيرة، أدرت وجهي لأرى جدي يقف بفخر يبتسم بهيبة لي، ومن يومها وأنا أستطيع التحول ما أشاء من الحيوانات وبسهولةٍ تامة.

أدار «هرماس» وجهه لـ«إلينا» ليجدها فاغرة فمها لما سمعته لتوها، حرَّك كفه أمام وجهها ثم قال:

- هييه! إلينا! ما بك؟

وقبل أن تنبس ببنت شفة، انتبها سويًّا لخاتمه الذي بدأ يومض بالأوان دليلًا على قرب أحدٍ منهم!

*****

الفصل العاشر

صوت حاسوبه الطنان جعله ينتفض مسرعًا إليه يُخرِجه من حقيبته، فتحه على الفور ليجد أمامه دائرتان حمراوان تتحركا في اتجَاهين معاكسين، على كل دائرة منهما رمزٌ لوحش ڤينون!

اقتربت منه «ساڤانا» وقلقها يتزايد من صوت طنين الجهاز، قائلة:

- ما الأمر توراك؟

رفع رأسه ناظرًا لعمق عينيها وهو يزفر قائلًا:

- لا أفهم شيئًا!

جلست بجواره ونظرها موجه للحاسوب مستفهمة:

- إلى ماذا تشير هذه العلامات؟

فأجابها وهو يحاول تفسير الأمر بطريقة منطقية:

- منذ أن تحوَّلتُ وعرفت مهمتي وأنا أبحث عنكِ في كل مكان، خاتمي دومًا كان يدلني على الطريق الصحيح، تبعت كل الحَوادث الغريبة التي حدثت منذ خمس سنوات، فوجدت ثلاثة منها في كل قارة، حادثتك، وحادثة أخرى لفتاة وقع والديها من على الجرف وهما يتزلجان على الجليد، والثالثة مات والديها أمام عينيها في حادثة أغرب من هذا وذاك.

شهقت «ساڤانا» وهي تضع يدها على فمها قائلة:

- هل لتحولي علاقة بموت والديَّ وأختي؟ ألم تكن حادثة؟!

شعر بالأسف تجاهها فأمسك بيدها قائلًا:

- أخبرني والدي أنه لن يترك ذويَّ هذه السلالة مرة أخرى، وهذه السلالة بالذات!

تحركت الدوائر على الشاشة في اتجاهين متوازيين، ضمَّ حاجبيه متعجبًا، فبرغم وجود كل منهما في قارة مختلفة ولكنهما يتقاربان بشكلٍ تلقائي، وكأنهما أقطاب متجانسة كالمغناطيس، فانتبهت «ساڤانا» أيضًا لتحركهما على الشاشة قائلة:

- لم أفهم، مَن هؤلاء؟

أجابها ونظره متعلق في ركن من الخيمة يحاول ربط الأحداث ببعضها:

- كما أخبرتكِ ساڤانا، لم أعرف مَن فيكم وحش ڤينون، لهذا تتبعتُكن أنتنَّ الثلاثة، ولكنَ وقت تحولكِ وجدت الخاتم يأخذني إليك، فهذا ما حللته أيضًا أننا في نفس القارة.

وجه نظره إليها ليكمل:

- أخبرني أبي أنها واحدة، وليس ثلاثة!

خبطت «ساڤانا» رأسها بكفها قائلة:

- لقد فهمت فحوى الرسالة الآن.

وقبل أن يسألها عن أي رسالة، رددت على مسامعه:

«هذا هو قدركِ وقدر أسلافك

تُحاربين المجهول وأعوانه

استعيني بعائلتكِ ومثيلاتك

ومعكُنَّ من يحميكُن

أمامكنَّ طريقان:

أحدهما النصر، والآخر الدمار الكامل!»

ابتسم «توراك» بفرحٍ قائلًا:

- هل تسمحين لي أن أُقبِّلك؟

نظرة واحدة من عينيها التي انقلبت بشكل طولي وتلونت باللون الأحمر، جعلته يرجع للخلف رافعًا يديه بحركة استسلام:

- أرجوكِ لا تتهوري! أعتذر منكِ قطتي الوديعة.

ليعود سريعًا لجديته مغلقًا حاسوبه ووضعه في حقيبته مرة أخرى، متوجهًا نحو حقيبة ملابسه ليغلقها وهو يقول:

- سنذهب إلى الأقرب إلينا، موقعها الآن قرب بحيرة جولجوك في تركيا.

مشيرًا إليها وهو يخرج من الخيمة قائلًا:

- هيا بنا.

أمسكت «ساڤانا» بكفه وهي تبرق بعينيها قائلة:

- سنذهب إلى تركيا الآن؟

ابتسم «توراك» وهو يقول:

- نعم قطتي، سنذهب الآن، فليس لدينا مزيدٌ من الوقت لإهداره.

نظر ليدها المرتعشة التي تحتضن كفه ليحتضنها بيده الأخرى قائلًا:

- لا تخافي ساڤانا، أنا خُلِقت لحمايتك، فلا تقلقي.

شعرت بدقات قلبها تتعالى فسحبت يدها برفقٍ قائلة:

- يجب عليَّ أن أتحوَّل، أليس كذلك؟

فهز رأسه نفيًا وهو يغمز بعينيه:

- لا يجب عليك، أنا من سأتحول وأنتِ ستعتلين ظهري.

- ثم رفع سبابته بمرح:

- ظهري فقط، لا تطمعي في المزيد!

لكزته في كتفه بقوة آلمته وهي تردد:

- وقح!

ضحك «توراك» بصوت مرتفع وهو يزيح خاتمه ليتحول إلى طائر رخٍّ كبير الحجم، قائلًا لها:

- هيا يا قطتي، رحلة سعيدة.

ابتسمت وهي تهز رأسها وتحمل حقيبته لتركب فوق ظهره قائلة:

- لا تتجاوز، وتذكر أنني أعتلي فوق ظهرك، وصدقني إن أخفتني، أنتَ تعرف!

قالت جملتها الأخيرة وهي تغرز أظافرها في ظهره، ليرتفع «توراك» عاليًا وهي تشهق بفزع تتمسك بريشه حتى كادت أن تقتلعه بيديها، فصرخ «توراك» عاليًا وهو يقول:

- خفِّفي من اقتلاعكِ لريشي ساڤانا! أنتِ تؤلمينني.

امتثلت لأمره حين استقر «توراك» ليتوقف عن خبط جناحيه للأعلى فاتحًا إياهما وكأنه يسبح في الهواء بخفة شديدة. فتحت «ساڤانا» عينيها بانبهار وهي ترى خيوط الفجر تُنسَج في السماء بشكل مبهر وخلاب، لتتداخل ألوانٌ الزرقة الباردة مع خيوط الشفق البرتقالية لتصنع لوحة تذهب بالأبصار! تمنَّت لو أن هذه اللحظة تدوم طويلًا، ولكن لا شيء في الحياة يدوم.

هبط «تـوراك» بسرعة فجائية عندما رأى خاتمه يضوي بألوان مختلفة، مما جعل «ساڤانا» تتشبث به بفزع وقلبها يكاد يخرج من صدرها. توقف «توراك» حينما رأى شابًّا يُماثله بالعمر وتقف بجواره فتاة جميلة يبدو عليها أنها من سكان البلدة لملامحها الشرقية، ينحني الشاب أمام بحيرة جولجوك ممسكًا بعصا كبيرة يكسر بها ثلج البحيرة.

نزلت «ساڤانا» من على ظهره تحمل حقيبته في يدها وهي تنظر إليهما

بغرابة، وقبل أن يقترب «توراك» منهما، وجد الفتاة تصرخ عاليًا، فلمحه يخلع خاتمًا كنسخةٍ مكررةٍ من خاتمه ليتحول إلى تمساحٍ ضخمٍ ذي حراشف وأنياب قاتلةً.

ارتفع «توراك» سريعًا للأعلى قبل أن يهجم عليه ليقترب بأجنحته فوق ظهره، وقبل أن يشتبكا سويًّا خلعت الفتاتان سلساليهما ليتحولا إلى وحش ڤينون!

لم ينتبه «آجن» لما تحولت له «ساڤانا» وهو عازمٌ على قتل «توراك» ظنًّا منه أنه وحش آخر، اقترب «توراك» من «آجن» محدثه بلغتهم المعتادة:

-اهدأ يا أخي! فأنا مثلُك.

لم يستمع «آجن»، وفي لحظة كان يرتفع سريعًا ممسكًا بقدم «توراك» بإحدى حوافره الطويلة عازمًا على غرز أنيابه في رقبته ليفصلها عن جسده، وقبل أن يطرحه أرضًا قالت «شويكار» وهي تركض نحوه:

- انظر إليها آجن، إنها مثلي!

توقف «آجن» تاركًا قدم «توراك» ليرتدى الأخير خاتمه، والتفتت «شويكار» لتدير ظهرها فزعة لرؤية «آجنٍ» يقف عاريًا، ابتسم «توراك» وهو يخلع خاتمه ويفتح حقيبته سريعًا قاذفًا إياه بسروالٍ ليستر به جسده. ضم «آجن» حاجبيه وهو يرى «توراك» بعدما أنهى تحولهً ظل مرتديًا سرواله ولم يتمزق مثل باقي ملابسه التي تتمزق في كل تحولٍ له، اقترب «توراك» منه وهو يشير إلى جسده قائلًا:

- ماذا كنتَ تفعل من قبل؟

هز «آجن» رأسه بلا مبالاة وهو يرتدى البنطال:

- لم أكن بحاجة لستره في الحال، لست من النوع الذي يحب مرافقة الفتيات.

مد «توراك» يده لـ«آجن» قائلًا:

- اسمي توراك، وأعشق مرافقتهن!

ابتسم «آجن» ببرود قائلًا:

- آجن.

ثم أشار بسبابته لسروال «توراك» متسائلًا:

- كيف حللت الأمر؟

نظر «توراك» لبنطاله مجيبًا:

- قماشٌ نادرٌ ومبهر، استغرق مني أربعة سنوات لصُنعِه.

فرفع «آجن» حاجبه وقبل أن يتكلم قاطعته «شويكار» بتذمرها:

- أسنقفُ هكذا طوال النهار ننتظر حتى تُنهِيا حديثكما الشيق؟!

لوى «آجن» شفتيه باشمئزازٍ ملتفتًا لـ«توراك»:

- هيا بنا، سننزل تحت هذه المياه فمنزلي الآمن هناك.

شهقت «ساڤانا» لتتكلم «شويكار» بغضب:

- أجُننت؟! أنا لا أستطيع الغطس كل هذه المسافة، أتظننا مثلكَ نتحول لأسماكَ؟!

اقترب منها ببروده المعتاد ينظر لعينيها رافعًا حاجبه:

- تعلمي التحكم بلسانكِ هذا قليلًا، أنا هنا لحمايتكِ وليس لقتلك.

ليوجه نظره لـ«ساڤانا» ليكمل:

- لا يتخطى عمق البحيرة ثلاثين مترًا، ستستطيعون الصمود، لا تقلقوا.

خبطت «شويكار» قدميها بالأرض قائلة:

- لن نتحول إذًا، سنبقى هكذا.

التفت «آجن» ليوليها ظهره وهو يصكُّ أسنانه متوجهًا نحو مخزن بيته مشيرًا لهم أن ينتظروه، ولكنه توقف حين ناداه «توراك» قائلًا:

- آجن، هل هذا منزلك؟

هز رأسه إيجابًا، فقذف إليه حقيبته ليلتقفها «آجن» بمهارة، يخبره «توراك»:

- ضعها في مكانٍ آمن، فلن أستطيع أخذها تحت الماء.

خرج بعد قليلٍ حاملًا في يده بذلة غطس ثانية ليشير للفتاتين:

- ارتديا هذه الملابس، ستساعدكما على الغطس.

ثم نظر لـ«توراك» وهو يشير للبذلتين قائلًا:

- أعتذر منك، لا أمتلكُ سوى هاتين.

فهز «توراك» رأسه مجيبًا:

- لا عليك، سأتدبر أمري.

وبخطوات سريعًا حنى جذعه ملتقطًا إحدهما ليضعها على ظهر «ساڤانا» التي لم تعُد لحالتها الإنسية بعد، وهو يشير إلى إحدى الأشجار قائلًا:

- تستطيعان أن ترتديانها خلف هذه.

نظرت «شويكار» لـ«آجن» بعينين غاضبتين، ليتوجه ببروده نحوها فاعلًا مثلما فعل «تـوراك». انطلقت الفتاتان خلف الشجرة الضخمة لترتديان ملابس الغطس، فابتسمت «ساڤانا» وهي ترى «شويكار» تبدأ أسئلتها التي لا تنتهي، بدايةً بما اسمك، وحتى ماذا سنفعل في هذه الكارثة. اقترب «آجن» بخطوات واسعة نحو الشجرة وهو يسمع «شويكار» تنهال على الفتاة المسكينة بأسئلتها، فحملها على كتفيه متوجهًا نحو الماء ليقذفها داخل البحيرة، شهقت بقوة من برودتها وقبل أن تصرخ به كعادتها تحول لسمكة كبيرة ليهز ذيله بقوة دلالة على أن تتمسك به.

أمسكت بذيله وهي تتنفس بصعوبة من الشهيق، لتضع النظارة على عينيها وتأخذ خرطوم الأكسجين في فمها، لتتبعها «ساڤانا» بشهقات متتالية وهي تنزل للبحيرة وخلفها «توراك» وهو يتنهد مقتربًا من «ساڤانا» يهمس لها:

- البرودة ستقتلني، دعيني ألتصقُ بكِ لأحصل على بعض التدفئة.

تجاهلته تمامًا وتوجهت خلف «شويكار»، لقد بدأت تعتاد وقاحته، ابتسم «توراك» ليحبس أنفاسه سائرًا خلفهم، لم يتحمل «توراك» أكثر من عشر دقائق كاملة تحت سطح الماء، فقد بدأ الهواء ينفد من رئتيه. شعور غريب روادها لتلتفت خلفها تتفقده، أصابها الذهول من رؤية وجهه محتقنًا وعيناه أصبحتا تدوران بشكلٍ مفزع! بسرعة شديدة اتجهت نحوه تعطيه خرطوم الأكسجين في فمه لتكِتم هي أنفاسها، فالتقط بعضًا من أنفاسٍ جعلته يعود لطبيعته.

هز رأسه شاكرًا ليناولها الخرطوم وهو ينظر حوله يبحث عن «آجن» فلم يجده! التفتت «ساڤانا» يمينًا ويسارًا برعب، لتفزع حين رأت قرشًا يقترب منها، لتعود تلقائيًّا خلف «توراك» الذي وقف أمام القرش في وضع الدفاع، ولكنه سرعان ما اكتشف أنه «آجن» وحلل الأمر أنه تحول لقرش عندما شعر بالخطر عليهما لتأخرهما، فأشار «آجن» بزعنفته لمكانٍ قريب.

أمسك «توراك» بِيد «ساڤانا» ويده الأخرى أمسكَ بذيل «آجن»، وبعد مسافة قريبة وجد حائطًا من الزجاج السميك ليرى من خلاله بعض الأثاث البسيط.

اتجه «آجن» تحت المنزل عند فتحة في آخره، ليلمس خاتمه بطريقته المعتادة متحولًا لشكله الإنسى، وعبر الفتحة الضيقة يتبعه «توراك» وخلفهما «ساڤانا» التي ما زال يتشبث بيدها. انبهرت «ساڤانا» وهي تخلع نظارتها من شكل المنزل الزجاجي الرائع في وسط البحيرة يحيطه الماء من جميع الجهات، بدأت ترتعد تلقائيًّا من البرودة، فأقترب منها «توراك» حين شعر بانتفاضة يدها التي يمسكها وارتعاش جسدها بأكمله، أزاح شعرها الذي التصق بوجهها من المياه بعدما أزاحت أسطوانة الأكسجين: ليقول لها بصوتٍ يرتجف بردًا:

- هل أنتِ بخير؟

هزت رأسها إيجابًا وهو يدلك ذراعها بحركة سريعة يحاول بها إيصال بعض

التدفئة لمساماتها، جاء «آجن» يحمل معه ملابس جافة وبعض الأغطية السميكة وهو يقول:

- اتبعوني.

مشوا خلفه وما زال «توراك» يضمها بحركة تلقائية لتشعر هي ببعض الدفء، ولكنه دفء داخلي، فلم يهتم لأمرها أحد مثله من قبل! لقد عاشت سنواتها الثلاث بعد وفاة ذويها في دارٍ لرعاية الأطفال الأيتام حتى أتمَّت الثامنة عشر، وخرجت عائدةً لبيتها لتكملَ تعليمها في كلية الطب، ولكنها بعد الأحداث الأخيرة لن تستطيع تحقيق حلم عمرها بأن تكون أفضل جرَّاحة في العالم.

تنهدت بألم وهي ترى مشاهد مؤلمة في حياتها الماضية، لتتوقف فجأةً وهي تمسكُ برأسها وتغمض عينيها بألم، لتأتيها ومضات الماضي التي تلاحقها دائمًا، فأمسك «توراك» بكتفيها يهزها قائلًا:

- ما بكِ ساڤانا؟ تكلمي!

فتحت عينيها سريعًا وهي تقول:

- مجرد رؤى متكررة لا أفهم منها شيئًا.

اقترب ينظر لعينيها:

- هل أنتِ بخير الآن؟

ابتلعت ريقها وهي تتنهد وقلبه يهدر بداخلها لقربه الشديد، وقبل أن تُجيب، وجدت «آجن» يقول:

- ما بكما؟! ماذا حدث؟

أجابته:

- لا شيء مهم.

لم يحاول الاستفسار أكثر، فأشار لغرفةٍ في نهاية الرواق قائلًا:

- ستجدين فيها صديقتك، اذهبي وبدلي ثيابكِ لكيلا تصابي بالبرد.

تركَتهما ومشَت نحو الغرفة يتتبعها «توراك» بنظره إلى أن اختفت عن عينيه، ليُناوله «آجن» بعض الملابس قائلًا:

- ارتدي هذه لتحصل على بعض الدفء، وتعالَ معي لتخبرني كيف عرفتَ بمكاني.

دخلت «ساڤانا» الغرفة فوجدت «شويكار» تجلس على السرير تتدثر بالأغطية لقمة رأسها وما زالت ترتعش بردًا، فابتسمت «ساڤانا» قائلة:

- ماذا تفعلين؟!

أجابتها «شويكار» وأسنانها تصطكُّ ببعضها:

- أحاول أن أشعر ببعض الدفء بعد أن جعلنا هذا المجنون نغطس في بحيرةٍ متجمدة.

تنهدت «ساڤانا» وهي ترتدي الملابس:

- أشعر أننا لم نرَ شيئًا بعد!

وتوقفت تنظر لـ«شويكار» قائلة:

- لم أعرف اسمكِ حتى الآن!

أجابتها وهي تُخرِج يدها من تحت الغطاء:

- شويكار.

فمدت الأخرى يدها بعد أن انتهت من ارتداء الملابس لترحب بها قائلة:

- ساڤانا.

ثم سمِعتا طرقًا على باب الغرفة ليدخل «آجن» قائلًا:

- اتبعاني للخارج، فهناك أمور يجب أن نتحدث بها جميعًا.

تذمرت «شويكار»:

- ممكن أن نؤجل حديثنا للصباح، يجب أن أنال قسطًا من الراحة.

زفر «آجن» والحرارة بدأت تشع على وجهه، ليقول بصوتٍ حاول أن يُخرِجه قويًّا:

- هيا انهضي يا فتاة! نحن لسنا في رحلة استجمام.

ثم خرج بخطوات غاضبة، لتقوم «شويكار» وهي تتأفف وتلف الغطاء على جسدها تتبعها «ساڤانا» وهي تشعر أن القادم أسوأ بكثيرٍ مما رأوه اليوم!

جلست «شويكار» على الكراسي الموضوعة حول الطاولة المستديرة وهي تلف الغطاء عليها بإحكام، نظر إليها «آجن» فاغرًا فاهه لا يصدق ما يراه أمامه، فهذه المدللة يقع على عاتقها حماية العالم! ولكنه لم يدرك بعد مدى قوتها!

خرج من ذهوله على صوت «توراك» وهو يقول:

- يجب علينا أن نلتقي بالآخرين.

فورًا تكلمت «شويكار»:

- هل هناك أحد غيرنا؟!

أجابها «توراك»:

- وحش أخير وحامٍ.

وقبل أن تسأل مرة أخرى قاطعها «آجن» وهو يخرج ورقة من يده ليفتحها:

- هذه هي نبوءتي، لم أُرِد أن أقرأها إلا حين ألقاك.

وبدأ يُردد بلغتهم:

«بعدَ أن يمضي من حياتكَ العقدين

ستكون شابًّا ذا صلادةٍ ورصين

في الماء حوتٌ أو سمكٌ أو حتى أحد الدلافين

حتى أنكَ ستكون ذا مسؤوليةٍ ومُؤتمَنٌ أمين

لكَ قدرٌ ليس بالسهلِ أن تتخطاه فعُقباه عظيم!»

تمتمت «شويكار»:

- بلا بلا بلا! هراءٌ مثل سابقيه.

اقترب منها «آجن» وقد وصل غضبه لآخره، ولكنه قاومه بشدة وهو يقول:

- النبوءات ليست بهراء يا قطة! فهي تُخبِرنا ما نفعل.

وقف «توراك» والتعب والإرهاق تملكا من جسده قائلًا بوهن:

- نرتاح ساعتين وننطلق لوجهتنا.

وقبل أن تعترض «شويكار» بثرثرتها المعتادة، تحرك كلٌّ من «توراك» و«آجن» نحو غرفة أخرى، لتقوم «ساڤانا» وهي تتنهد قائلة:

- هيا نستريح قليلا شويكار، فلا نعلم ما يخبئه لنا الغد من مصائب جديدة.

*****

بعد ساعتين..

طرق «توراك» على باب غرفتهما لتفزع الفتاتان الجالستان في نفس الوقت، ليأتيهما صوت «توراك» قائلًا:

- هيا بنا، سننطلق الآن لجزيرة رودس باليونان.

قفزت الفتاتان من مكانهما لتبدأ «شويكار» باعتراضاتها، ووقفت «ساڤانا» تعدل ملابسها، ثم فتحت باب الغرفة تتبع «توراك» للخارج ومن خلفها «شويكار» ما زالت تتمتم.

وضعٍ «آجن» سبابته يشير إلى مكانٍ على خريطة يفرشها أمامه على المنضدة قائلا:

- هذه جزيرة رودس، تبعد عنا بحوالي ثمانية عشر كيلومترًا، أي أننا سنصل إلى هناك في أقل من عشر دقائق، سأتحول إلى دولفين وآخذ «شويكار» على ظهري، و«توراك» يسير فوقي طائرًا.

التفتت «ساڤانا» إلى «توراك» قائلة:

- أتأكدتَ من موقعهما؟

حرك عنقه بألم من أثر النوم متكومًا على أريكة لا تسَع لنصف طوله، ليُجيبها:

- نعم، ذهبت مع آجن ونظرت للحاسوب ووجدتهما ذهبا لجزيرة ردوس قبل قليل، علينا أن نلحق بهما قبل أن يتحركا لمكانٍ آخر.

أمسك «آجن» بالخريطة ليثنيها ويدخلها في كيس بلاستيكي ثم ناولها لـ«توراك»، ليضعها الأخير في جيب سرواله. انطلقوا جميعًا لخارج المنزل بعد أن ارتدوا أثواب الغطس مرة أخرى ليستطيعوا الخروجِ من الماء، وعندما وصلوا لليابسة أخذ «آجن» «شويكار» على ظهره، ليُمسك «توراك» بحقيبته الموضوعة على الشاطئ بعد أن أخذها منذ قليلٍ من بيت «آجن» ليناولها لـ«ساڤانا»، وتحوَّل فورًا لطائر رخ.

ركبت «ساڤانا» على ظهره بعدما خلعت عنها سريعًا ملابس الغطس، لينطلق «توراك» محلقًا فوق «آجن».

*****

قبل قليل..

زفرت «إلينا» بقوة بعدما كادت أن تبكي من هول ما أخبرها به «هرماس»، شعرت بأنها تحتاج لاستنشاق هواءٍ نقي قبل أن تفقد الوعي من الرؤى المتكررة التي أنهكتها بشدة.

لم يمكثا في الخيمة سوى دقائق، لتخرج منها «إلينا» تتجه نحو الشاطئ مرة أخرى يتبعها «هرماس» قائلًا:

- ماذا حدث لك؟ هل أنتِ بخير؟

هزت رأسها نفيًا وهي تقول:

- زلازل وبراكين وسقوط للأبنية، ضباب يحيط بالسماء وفيضانات تدمر كل شيء! هذا كل ما أراه.

لتنظر له بأعينٍ دامعة:

- هل أنا بخيرٍ هكذا؟!

رقَّ قلبه لحالها، فيبدو من ضآلتها أمامه أنها فتاة هشة وضعيفة للغاية لتحمل على عاتقها هذه المهمة الخطيرة.

جحظت عينا «هرماس» وبغريزة الحماية أمسك بذراعها ليحميها خلفه، وخلع خاتمه الذي بدأ يضئ بشكل متكرر وتحول لأسد كبير وشرس حين رأى دولفينًا يقترب منه تعتليه فتاة ترتدي ثوب غطس، ويحلق فوقهم طائر رخ منقرض من آلاف السنين تعتليه فتاة أخرى.

نظرت «إلينا» إليهم من خلف أسدِها الحامي وهي تردد:

- يا إلهي! ماذا يحدث؟!

هبط «توراك» سريعًا وهو يرتدي خاتمه ليفعل «آجن» بالمثل قائلًا:

- اهدأ قليلًا! فنحن حماة أيضًا.

لم يستوعب «هرماس» الأمر بعد، وظن أنها خدعة مثل المربِّية، ليخطو نحوهم بشراسة، وقبل أن ينقض على «توراك» الأقرب إليه، رأته «ساڤانا» لتخلع سلسالها سريعًا وتقف أمامه تشتبك معه، ليقف «هرماس» بعد لحظاتٍ ينظر إليها بفزع عائدًا للخلف يرتدي خاتمه، ليقترب منها معتذرًا:

- أعتذر منك! هل آذيتك؟

أجابته بلغتهم الخاصة:

- لا عليك، اسمي ساڤانا.

ضم حاجبيه وهو ينظر لـ«إلينا» قائلًا:

- كنتِ تهذين باسمها!

هزت رأسها إيجابًا وهي تشير إليهم نحو الخيمة قائلة:

- هيا بنا للداخل.

سبقتهم لتُخرج لـ«ساڤانا» ملابس تسترها، لتعود إليها مشيرة خلف الخيمة وتبعها «توراك»، فمهمته الالتصاق بها أينما ذهبت.

انتفضت «ساڤانا» وارتبكت من رؤيته أمامها وهي ترتدي سلسلها، فوقع منها أرضًا ليصطدم بحجرٍ ملقى على الأرض، فانفتح السلسال لجزئين وتدلى منه ورقة مطوية بعنايةٍ!

انحنى «توراك» ليلتقطَ الورقة وهو ينظر إليها بتعجب، ووضعها في جيب سرواله ليُلبسها السلسال ويدير ظهره حتى انتهت من ارتداء ملابسها، اقتربت منه بعد أنَ انتهت لتسأله:

- ما هذه الورقة؟

هز رأسه نفيًا قائلًا:

- تعالي ندخل إليهم ونرى إن كانت تحتوي سلاسلهم على أوراقٍ مثلها أم لا.

جلسوا جميعًا بجوار بعضهم البعض، ليُخرج الورقة من جيبه قائلًا:

- وجدنا هذه مطوية في سلسال ساڤانا، ابحثا في سلاسلكما عن ورقةٍ مثلها.

أمسكَ كل حامٍ بسلسال قطته يحاول فتحتها، ليجد جزءًا منها يُكمِل الثلاثة أجزاء بالإضافةً إلى ورقة «ساڤانا».

أخذهم «هرماس» يحاول ترتيب الكلمات، وبعد قليلٍ استطاع أن يضع الثلاثة أجزاء متتالية ليقرأ عليهم:

«ثلاث سلاسلَ فيها الحجرُ متكامل

ثلاث أوجه لحيوانٍ يموء بعد أن كانَ إنسيًّا كامل

لهن خوارقُ وصفاتٌ ستنقذُ العالم

من يد الشرِّ الذي ينتظرُ التكامل

وبعد سبعِ ليالٍ تاماتٍ ستُعلِن الأرضُ ظهورهُ العارم

وفيها علاماتٌ تجعل الهولَ والهلعَ بين الإنسِ ناقم

تُشقَّق الأرض ورعدٌ يسبقه وميضٌ بوهج نوره يُردي الضعيفَ والضراغم

رياحٌ عاتياتٌ وأمواجٌ في البحرِ تتلاطم

سيُنهي وجود الإنسِ ويملكُ بقوته الأرضَ بلا مراحم!»

*****

الفصل الحادي عشر

«ثلاث سلاسلَ فيها الحجرُ متكامل

ثلاث أوجه لحيوانٍ يموء بعد أن كانَ إنسيًّا كامل

لهن خوارقُ وصفاتٌ ستنقذُ العالم

من يد الشرِّ الذي ينتظرُ التكامل

وبعد سبعِ ليالٍ تاماتٍ ستُعلِن الأرضُ ظهورهُ العارم

وفيها علاماتٌ تجعل الهولَ والهلعَ بين الإنسِ ناقم

تُشقَّق الأرض ورعدٌ يسبقه وميضٌ بوهج نوره يُردي الضعيفَ والضراغم

رياحٌ عاتياتٌ وأمواجٌ في البحرِ تتلاطم

سيُنهي وجود الإنسِ ويملكُ بقوته الأرضَ بلا مراحم!»

كانت «شويكار» أول المتكلمين كعادتها، ووقفت تهتف:

- ماذا هذا الهراء؟! لا أفهم شيئًا، وأي سبع ليالٍ يقصد؟!

زجرها «آجِن» بنظرة واحدة عادت بها إلى مكانها مرة أخرى، ثم التفَت نحو أقرانه قائلًا بهدوء:

- هذا لغز كبير يحتاج إلى حل بروية وتعقُّل، الشطر الأول مفهومٌ للجميع، أليس كذلك؟!

تصاعدت الهمهمات موافقةً على حديثه، ليُردف:

- المقصود بالثلاث هو أنتنَّ بالتأكيد وقدراتكن.

أومأت «ساڤانا» وقالت:

- وطبعًا الشر هو الوحش الكبير الذي ينتظرنا.

فتسألت «إلينا»:

- وما هو الوحش الكبير؟

تدخل «توراك»:

- إنه موضوع يطول شرحه، أكمِل اللغز أولًا يا آجن.

أكمل «آجن» بصوته الهادئ:

- وبعد سبع ليالٍ تامات ستُعلن الأرض ظهوره العارم، وفيها علامات تجعل الهول والهلع بين الإنس ناقمٍ، تَشقَّق الأرض ورعد يسبقه وميض بوهج نوره يُردي الضعيف والضراغم.

وعند الشطر الأخير التفتت «إلينا» إلى «هرماس» بنظره، ففهِم منها أنها تقصد رؤياها التي قصتها عليه قبل وصولهم! لمحهم «آجن» ولكنه آثر الصمت وأكمل للنهاية:

- سيُنهي وجود الإنس ويملك بقوته الأرض بلا مراحم.

- إذًا لو كانت هذه النبوءة أو اللغز حقيقية، فهذا يعني أننا سنموت بالنهاية! لا، أنا أرفض كل هذا، وسأعود من حيث أتيت وأنعم بحياتي الهادئة بعيدًا عن كل هذا الهراء!

هتفت بها «شويكار» وكادت أن تقوم، ولكن عطلتها يد حديدية ونظرة زرقاء تحمل كل أمواج العالم الثائرة نحوها، ابتلعت ريقها وقالت:

- اترُكني يا آجن.

زفر «هرماس» وقال غاضبًا:

- شويكار! اجلسي، هل تظنين أنكِ إذا هربتِ ستعيشين حياة رغدة وتنجبين أطفالًا جبناء مثلك؟! لا، سنموت جَميعًا في كَلا الحالتين!

التفتت نحوه «ساڤانا» بتعجب وقالت:

- ماذا تقصد بـ «في كلا الحالتين»؟!

رد «توراك»:

- يقصد أننا لو لم نحاربه سنموت، بل ستموت البشرية أجمع، ويتحول كوكب الأرض إلى جحيم مستعر!

هتفت «شويكار»:

- ومَن هو الذي نحاربه؟

وقف «توراك» في المنتصف:

- اهدأوا جميعًا وسأقص كل شيء.

ساد الصمت إلا من أنفاس البعض الثائرة، وبدأ «توراك» في التحدث:

- إنه وحش قديم، قديم للغاية، منذ الأزل تقريبًا، كل ما يريده هو السيطرة على كوكبنا بأي شكلٍ وبأي ثمن، أجدادنا الأوائل حاربوه بكل قوتهم ولم يستطيعوا قتله للأسف، لكنهم فرضوا حماية كبيرة على مجال كوكبنا الجوي بالكامل تمنعه من اختراقه والسيطرة عليه، ولكن في توقيتٍ معين من كل قرن، يحدث اصطفاف لبعض الكواكب والأجرام مما يخلقُ ثغرةً في تلك الحماية تتيح له النفاذ بشكل جزئي من خلالها، وبأعوانه ووحوشه يحاول الولوج إليها وتوسيعها، وذلك الاصطفاف يظل لسبع ليالٍ كاملة، وهُنا يأتي دورنا في محاربته ومنعه من السيطرة الكاملة والنفاذ من تلك الثغرة، في البداية كانت المحاربة الأولى أنثى، وهي جدتنا بالطبع، ثم انضم إليها جدنا وشكلا معًا فريقًا وقرَّرا المحافظة على سلسالنا الحامي لكوكب الأرض، ولكن الطفرة التي حدثت هي وجودنا جميعًا! ثلاث قططٍ وثلاث حماة، وهذا له نظريات كثيرة خمَّنها أبي، ولكن لم نتوصل إلى حلٍّ نهائي.

استمر الصمت لثوانٍ بين «هرماس» و«آجن»، ولكن قططنا كان التعجب وفغر الشفاه لديهن هو السائد، إلى أن استجمعت «ساڤانا» أفكارها وسألت «توراك»:

- وما هو هذا الوحش بالضبط؟ أقصد ماهيته؟ وكيف سنحاربه؟!

- ماهيته غير محددة، يستطيع تطويع وتغيير نفسه إلى ما يريده، وأيضًا للأسف مكانه غير معروف لدينا، أما عن كيف سنحاربه، فبسلاح معين علينا اكتشافه.

- لا نعرف مكانه وليس معنا سلاح، ومطلوب منا محاربة ذلك الكيان الذي حتى لا نعرف ماهيته!

قالت «شويكار» جملتها الساخرة التي أدت إلى صمتٍ تام لم يقطعه سوى «إلينا» قائلة:

- وكيف عرفتم كل هذا ونحن لا نفقه شيئًا؟!

تنهد «توراك»:

- هذا لأن الوحش هذه المرة قرر اتخاذ كافة احتياطاته وقتل جميع عائلاتكن، بينما نحن لا، لأنكن الأساس وبدون وجودكن لا قيمة لنا.

شهقت «إلينا» والتفتت نحو مثيلاتها:

- أنتن أيضًا بلا عائلة؟!

أخفضت «شويكار» عينيها المليئتين بالدموع ولم ترد، بينما وقفت «ساڤانا» قائلة:

- لذلك لا بد من الانتقام منه وقتله هذه المرة، حتى ولو سنموت في سبيل ذلك، مَن منكن تريد العيش بدون عائلة وحيدة ومنبوذة من الجميع؟! ها؟! أجبنني! إذا كانت إحداكن تريد المغادرة والبكاء وحدها على الأطلال فلتذهب كما تريد، أنا باقية.

قامت «شويكار» من وسطهم وهربت خارج الخيمة، وقف «آجن» قائلًا:

- اهدئي ساڤانا، لن يغادر أحد منا، شويكار فقط مرتابة وذلك طبيعي بعد كل هذه الأحداث المتتالية، علينا أخذ راحة حتى يستوعب كل منا ما يحدث

ونعطي فرصة لأنفسنا لتقبُّل مصيرنا.

وقف «هرماس» وقال:

- معك حق، علينا الراحة واستغلال هذا المكان الآمن، معي خيمتين، هيا لننصبهما لتنام البنات فيهما، ونحن سننام هُنا سويًّا.

وقف «توراك» رافضًا اقتراح «هرماس»:

- لا، كل حام مع قطته، نعم المكان آمن الآن، ولكن لا نعرف إلى متى ولن نتركهن بمفردِهن هكذا.

التفت نحوه «ساڤانا» بغيظ، فهي تعرف نيته الوقحة، ولكنها تعجبت عندما واجهت نظرات الصدق في عينيه فقررت الصمت.

- إذًا فلتنصبوا الخيام، وأنا سأذهب لأرى قطتي المجنونة.

خرج «آجن» ووجد «شويكار» تقف أمام المياه الثائرة حولهم، فحدث نفسه:

- آه، تلك الغبية التي تفسد كل شيء بلسانها السابق عقلها دائمًا.

ثم اقترب أكثر ليتفاجئ عندما تناهى له صوت شهقاتها المتتالية، أسرع نحوها حتى وقف خلفها تمامًا وبصوتٍ متردد:

- شويكار؟

لم تُجِبه وتقدمت إلى الأمام أكثر، فأمسك بها وأدارها نحوه وهاله ما رأى، عيناها العسليتان تغرقان في بحر أحمر تنساب أمواجه على وجنتيها المشربة بالحمرة، فسألها:

- ما بك؟ لماذا تبكين هكذا؟!

تعالت شهقاتها فوقف أمامها حائرًا لا يدري ماذا يفعل، يحثه قلبه على احتضانها واحتواء بكائها، ويحذره عقله من ردة فعلها، فاختار الوسط وربَّت على كتفها بحنانٍ وأعاد سؤاله بهدوءٍ أكثر، فالتفتت نحوه، تُجيبه:

- أنا لست بجبانة آجن، مَن تستطيع العيش بمفردها لمدة خمس سنوات ومنبوذة من الجميع، ليست جبانة.

- اهدئي يا صغيرة، إنها لا تقصد.

- بل تقصد، أعلم أن الجميع يقصد، ولكن لا أحد يُقدِّر ما أشعر به، هل تظن أن موت عائلتك أمامك شيء هين؟! أن تذل نفسك لجيرانك حتى يقبلوا الوصاية عليك ولا يتركوك بدور الرعاية أمر سهل؟ تعول نفسك وفي كل مكان تذهب إليه يتجنبك الآخرين، أتعلم لماذا؟

رفعت شعرها وكشفت عن أذنيها الطويلتين وأشارت بعصبية نحوهما:

- لأجل هاتين!

وبصراخٍ أكبر:

- لأجل هاتين يا آجن!

وأخيرًا انتصر القلب على العقل وجذبها «آجن» إلى أحضانه، ارتعش جسدها وزادت في بكائها، فضمَّها أكثر إليه وربَّت على كتفها تارة، وعلى وشعرها الناعم الذهبي بحنانٍ بالغٍ لم يعرف بأنه يملكه من قبل تارةً أخرى!

- ششش! اهدئي شويكار، أعلم بأن ظروفكِ كانت قاسية بالتأكيد، ولكن هذا قدرنا جميعًا، ألا تشعرين بالتميز؟! أنكِ مَن دون البشر مختارة لهذا العمل البطولي!

وأنهى جملته بغمزة شقية رأتها عندما رفعت رأسها إليه، ثم أكمل قائلًا:

- وهاتان الأذنان الرائعتان هما علامة تميُّزك، وإذا ابتعدوا عنك بسببهما فهُم أغبياء، وإنكِ الفائزة بتميزهما.

ابتعدت عنه ومسحت عينيها بكفها في حركة طفولية، ورددت بصوت منخفض:

- حقًا؟

أومأ لها بابتسامة رائعة، فرفعت شعرها مره أخرى وتحسستهم بفرحة:

- آجن! أنتَ أول من يُخبرني بذلك!

- هناك شيئًا أيضًا.

- ما هو؟

قطع تلك الخطوة التي ابتعدتها وأمسك بخصلات شعرها بين أصابعه الطويلة الباردة، ورفعها للأعلى قائلًا:

- شعركِ سلاسل ذهبية!

اتسعت عينا «شويكار» صدمة وازدادت حمرة وجنتيها خجلًا هذه المرة:

- حقًا؟! الذي يتحدث لي الآن هو آجن؟!

ابتسم لها وكأنه قرأ أفكارها، فقرر الخروج من هالتها التي اقتحمها، وأحاطت هي به تُجبره على البوح بأشياء لم يتوقع يومًا أن تخرج منه!

- إذًا لن تغادري، أليس كذلك؟

أومأت له إيجابًا، ثم وجدها تنظر خلفه، فالتفت ليجد «ساڤانا» كانت تقف ورائهما، فتنحنحت وقالت:

- شويكار، أريدكِ على انفراد لو سمحت.

غادرهما «آجن» متعللًا بمساعدة الشباب، واقتربت «ساڤانا» أكثر من «شويكار» التي وقفت عاقدة ذراعيها.

- لا تحزني.

هزت «شويكار» رأسها متعجبة، فأكملت مُتهتِهة:

- أ..أقصد لا تحزني مني، أ.. أ.. أعني...

تنهدت ثم سحبت نفسًا عميقًا وقالت بسرعة:

- آسفة، لم أقصد ما قُلته في حقك.

ابتسمت «شويكار» لها بعد أن جاهدت في اعتذارها وهزت رأسها:

- تقبَّلته أنا أيضًا، آسفة! ولكن كما ترين الأحداث وتتابعها، وأنا...

قاطعتها «ساڤانا»:

- أعلم كل هذا لذلك أعتذر.

اقتربت منها «شويكار» وفاجأتها باحتضانها! فوقفت لثوانٍ مصدومة قبل أن ترفع ذراعيها وتضمها هي الأخرى.

- آه! لقد أمسكتُ بكما بالجرم المنشود!

فالتفتتا نحو «إلينا» التي انضمت إليهما وضحك الثلاثة معًا.

- آه يا بنات! بعيدًا عن قدرنا وما ينتظرنا، أردت دائمًا أن يكون لي أخوات مثلكن، فهل تقبلان؟

خرجت الجملة من «شويكار» المرحة، فأومأت الفتيات وقطع ضحكاتهم صوت «آجن» الذي جاء ليأمرهم بالراحة كما اتفقوا.

دخلت «شويكار» الخيمة بعد أن نصبها «توراك» وغمزها بنظرة وقحة قبل أن يغادر، وكاد أن يقول لها شيئًا لولا وقوف «آجن» بينهما، ضحكت على هذه الذكرى والتفتت نحو «آجن» الذي توسَّد الأرض بعد أن فرشها بمفرش صغير أعطاه إياه «هرماس»، عقدت حاجبيها وقالت:

- آجن! لن يكفينا هذا المفرش، ألا يوجد آخر؟!

- نحن لسنا برحلة ترفيهية لتتوفر لنا كل الأشياء، استلقي بجواري واصمتي.

- تبًّا! لقد عاد لبروده ذلك البراد المتحرك ذو الثمانية عشر قدمًا!

وقفت مترددة قليلًا، فالمكان يكاد يتسع لهما سويًّا، وأخيرًا قررت الاستسلام

والاستلقاء بجواره، نامت على ظهرها، لامست كتفه العريض، ويبدو أن وصفه بالبراد كان شيئًا قليلًا، فما يخرج من جسده أبرد بكثير! فلفَّت رأسها نحوه:

- آجن! إنكَ...

قاطعها:

- أعرف، بارد! هذه هي طبيعتي.

- هل جسدكَ بارد هكذا على الدوام؟

- في الأجواء العادية يكون فاترًا، ولكن في هذه الجزيرة المتقلبة يصبح باردًا.

رددت بانبهار:

- تمامًا كالماء!

صمت وأغمض عينيه الزرقاء يستدعي الهدوء، ولكن هيهات مع تلك الثرثارة الحمقاء كالأطفال.

- آجن، أشكرك على ما فعلته لأجلي، أنا حقًا ممتنة لك.

أراد نفي تهمة ذلك الضعف الذي انتابه نحوها عندما رأى بكاءها، فأجابها بخشونة:

- لم أفعل شيئًا يذكر.

ابتلعت ريقها ورفعت رأسها تراقب سقف الخيمة المنخفض في صمت دام لثوان، قبل أن يقطعه صوت آخر ميزته أنه صوت «ساڤانا»، انتفضتْ في مكانها تبحث عنها في الخيمة ولكن لا شيء!

- ما بك؟!

- هل ساڤانا كانت هنا؟

- لا أحد سوانا هنا يا شويكار!

- ولكني سمعت صوتها بوضوح.

- يُهيَّأ لك، هلا صمتي قليلًا! أريد تصفية ذهني والحصول على بعض الراحة!

استلقت مرة أخرى في مكانها، ولكن عاد الصوت لها بوضوح أكبر.

صرخت «ساڤانا» بـ«توراك» المستلقي عاري الصدر على ظهره عاقدًا ذراعيه القويتين خلف رأسه، ويبتسم ابتسامة مستفزةً لها ويجيبها بكل برود:

- هلا تهدئين؟! هذا هو ما استطعت الحصول عليه من هرماس، وبدلًا من شكري تصرخين بي هكذا!

- أنا لا أتحدث على صغر الفراش أيها الأحمق! بل على استلقائك هكذا متبجحًا بجمال صدرك!

غمزها بعينيه المغوية وقال:

- إذا فهو يُعجِبك!

رمته «ساڤانا» ببعض الرمال التي أصابت صدره العريض فضحك لها بشدة.

- ساڤانا، هوني عليك، نحن شريكان بمهمة واحدة، ويجب أن تعلمي أنني لا أستطيع النوم إلا هكذا لطبيعتي، لا تبجح كما تقولين.

زفرت «ساڤانا» وحدجته بنظرات غيظ ثم رمت نفسها على الرمال في الجهة المقابلة له، وقبل أن تغمض عينيها كان هو قد سحبها إلى جواره على المفرش الأبيض الصغير، فصرخت به وبدأت في لكمه، فأمسك بذراعيها الناعمين وقال:

- يا مجنونة! الرمال هنا غير مضمونة ومليئة بالحشرات والزواحف السامة، ومن الممكن جدًا أذيتكِ بعقرب أو ثعبان، المفرش يتسع لكلينا، سأترك لكِ مكانًا لا تقلقي.

أبعدت جسدها عنه وقالت:

- لا دخل لك، أنا حرة.

فأعادها مرة أخرى قائلًا:

- لي كل الدخل، ولا تقلقي لن أزعجك.

ضحكت «شويكار» على حوارهما والتفتت نحو «آجن» مغمض العينين وهمست:

- آجن، توراك هذا وقحٌ كبير!

- أعلم ذلك وابتعدي عنه، كلمة أخرى وسأجعلكِ تبتلعين لسانكِ الذي لا يتوقف عن الهز والحديث هذا! انكمشت «شويَكار» في مكانهاَ بعد أن حدجها بنظرته المرعبة ورجعت عن رغبتها في إخباره عن حديث «ساڤانا» و«توراك»، و«إلينا» و«هرماس» الذي سمعته بوضوح في مكانها! في آخر حديث «إلينا» سمعتها تقول عن علامة بعضده، يا ً ترى ما هي! والاثنان عاريا الصدر وجسدهما مشتعل بالفطرة، وهي نصيبها جاء في لوح الثلج المستلقي بجوارها هذا!

استلقى «هرماس» على ذراع واحد واستمر بالتحديق في «إلينا» النائمة بجواره، ملامحها هادئة كهدوء شخصيتها بين القطتين، واحدة مجنونة وثرثارة، والثانية مشتعلة وشرسة، وهي بينهما رمانة الميزان. أحس بعدم راحتها وتعب رقبتها الطويلة المثيرة في نومها هكذا، فتبرع بذراعه القوي ووضعه برفق تحت رأسها يرفعها عليه، تململت قليلًا ثم عادت إلى الهدوء مرة أخرى.

زفر «توراك» بهدوء، أخيرًا نامت قطته المتوحشة، ابتسم بعبث، عاقدة حاجبيها بغضب حتى في نومها! رائعة هي باشتعالها وشجاعتها الدائمة، أصبحت تسليته الكاملة في استفزازها دون كل الأخريات التي قابلهن ووقعن في هواه من أول نظرة، وهذا ما يعجبه بها، يليق بها أن تكون من سلالة وحش ڤينون المحاربة.

قرر اللجوء إلى النوم مثلها قبل أن يوقظه أحدهم، ألصق جسده بها ثم أحاطها وشدها نحوه بهدوء، ليرفعها عن الرمال التي عادت إليها بعد أن تقلبت في نومها، ثم استلقى بجوارها محتضنًا إياها لتسري حرارة جسده بجسدها الذي بدأ يظهر عليه ارتعاشة خفيفة من برودة الجو المفاجئة بعد غروب الشمس.

وفي الجانب الآخر مع «آجِن»، الجو يزداد بروده ومعه جسده الذي بالفعل تحول لقطعة من الثلج، لكَم يفتقد حمامه الدافئ بمنزله الحبيب وأسماكه الرائعة التي تؤنس وحدته على الدوام. التفت نحو الراقدة والمنكمشة بوضع الجنين، ملامحها الفاتنة والبريئة بآنٍ واحد حتى في نومها، خصلاتها الذهبية التي انتشرت على وجهها الأبيض، وشفتاها المذمومتان بغضبٍ طفولي رائع.

مجنونة هي وهشة ورقيقة للغاية، يخشى عليها من مواجهة مصيرها، ولكن ما باليد حيلة، إنه قدر ويجب عليهم تنفيذه، لا يستطيع النوم، تفكيره كله ينحسر في المجنونة والسلاح الغامض الذي يجب عليهم إيجاده بأسرع وقت، النبوءة تقول سبع ليالٍ فقط ويجب أن يستعدوا، ولكن مِن أين البداية؟!

قطع تفكيره وتأمله لها انتفاضتها بسبب الرعد الذي صدحَ في السماء، جلست مذعورة تتلفت حولها فأمسك «آجن» بها.

- شويكار، لا تقلقي إنه مجرد رعد، عودي لنومك.

خرج صوتها ضعيفًا وبدأت أمطار دموعها في الهطول:

- أنا أخاف الرعد، أرجوكَ اجعله يتوقف!

ضحك «آجن»:

- أجعله يتوقف! كيف؟!

ضربة رعدية أخرى صرخت لها «شويكار» واضعة يدها على أذنيها:

- آه! آجن أسمعه بوضوحٍ مرعبٍ كأنه يضرب بأذنيّ.

أمسك بها «آجن» وسحبها نحوه، فك يديها الممسكة برأسها يحاول تهدئتها، زادت في بكائها وأغمضت عينيها بألم شهقات متتالية وانتفاضات! حاول السيطرة عليها داخل أحضانه ولكن دون جدوى:

- شويكار! اهدئي الرعد توقف.

- إنه.. إنهم قادمون، قادمون آجن! آه! عيناي، الرؤية صعبة!

خرجت منها الكلمات متقطعةً تمامًا كما رأت بأول مرة الذئب، هزها «آجن»:

- من هم شويكار؟ وكم عددهم؟ هل تستطيعي الرؤية أكثر؟

انفلت جسدها منه ووقعت أرضًا تنتفض وتتلوى، أمسكَ بها ففتحت عينيها فجأة، لقد اختفى «إنسان عينها» وحل محله البياض الكامل في شكل مرعبٍ ومخيف!

هزها «آجن» بصورة أكبر، ثم تجرأ وصفعها على وجنتيها لتهدأ، وكانت الصفعة علاجها الوحيد، أغمضت عينيها وفتحتهما مرة أخرى بشكل طبيعي.

وفجأةً! انتفضا على صراخ «هرماس» يناديهما خارج الخيمة، يبدو أن شيئًا كبيرًا قد حدث!

*****

الفصل الثاني عشر

اتكأ على مرفقه يسرح بمفاتن ملامحها الهادئة المستسلمة للنوم، أخذ يزيح تلك الخصلة الذهبية التي تمردت واستقرت على جبهتها، انتبه لتململها وتقطيبة حاجبيها وانزعاجها بنومتها وكأنها ترى كابوسًا، فربت على وجنتها برفق يوقظها مناديًا اسمها بهمس:

- إلينا، إلينا استيقظي.

لم تستجب، وتصاعدت وتيرة ململتها أكثر حتى بدأت تنفض رأسها يمينًا ويسارًا تقول:

- لا! لا!

فجلس والقلق أخذ مأخذه من ملامحه، ليجدها فجأةً انتفضت من نومها مفزوعة، عيناها ممتلئتان بدموع الخوف، وهتفت بصوتٍ مرعوب:

- ثلاثة وحوش يا هرماس! منهم من أخذني، والثاني أغرق شويكار، والثالث حلقَ بساقانا!

هزها «هرماس» برفق من ذراعيها ثم قال:

- اهدئي إلينا! اهدأي وحدثيني، ما هي الرؤيا التي رأيتها.

فلم تستجب، بل زاد ارتجاف جسدها وشحوب وجهها وهذيانها المستمر بنفس الجملة، مما جعل قلقه يتصاعد، ولكنه آثر التماسك أمامها قائلًا بصوتٍ جاهد أن يكون هادئًا:

- إلينا! هل أنتِ بخير؟ تكلمي، ما الذي رأيتِه؟

جلست تمسح دموعها وتقول:

- يجب أن نتأهب، فهناك وحوشٌ استدلَّت على طريقنا وعلينا مواجهتها،

أسرع يا هرماس، حذِّر البقية!

فخرج من الخيمة مسرعًا ينادي البقية يحذرهم، وخرج على صوته «آجن» وتبعته «شويكار» الشاحبة متعبة إثر تلك الحالة التي اعترتها بالتنبؤ، هتف «آجن» بـ«هرماس»:

- ماذا هناك؟ ما الذي يجري؟!

أجابه «هرماس»:

- إلينا كانت توًّا قد تنبأت بوجود وحوش، حاذر أنت وتوراك، يجب أن ننتقل لمكانٍ أكثر أمانًا.

هبت «شويكار» قائلة بوهن:

- نعم أنا كذلك، لقد رأيت ثلاثة وحوش!

رمقها «آجن» بحنان والقلق يعتريه على ما أصابها قبل قليل، كيف ستقاوم لو حدث ما تنبأت به؟!

وفي تلك الأثناء، خرج «توراك» مسرعًا ومعه «ساڤانا» يستفهمانِ عما يحدث هنا، وقبل أن يُجيبهما أحد، تفاجأوا بثلاثة وحوش! الأول كان ذئبًا هائل الحجم ركض مسرعًا نحو «إلينا»، وقبل أن يدركه «هرماس» أو أن تخلع «إلينا» سلسالها حملها بين أنيابه الكبيرة وهرول بها بعيدًا، اختض جسدها يرتجف خوفًا وصارت تهتف باسم «هرماس»، الذي أسرع بخلع خاتمه ليتحول إلى ذئب أكبر له قوائم طويلة يقف عليهما كالبشر بجسدٍ عريضٍ طويلٍ مكتنز العضلات وبعينين تنضح لهيبًا!

جاهدت «إلينا» وهي بين أنياب الوحش تحاول خلع السلسال، فلم تستطع! ليركض «هرماس» بسرعة خلفه والغضب يعتريه حتى صار بينهما خطوة واحدة، وفجأة تعثر الوحش بغصن شجرة كبير، ليتدحرج أرضًا ويُفلِت «إلينا» من بين أنيابه لتقع هي أيضًا، وبينما هو يتدحرج انتهز «هرماس» الفرصة لينقض عليه ويدخلا قتالًا دمويًا، أما «إلينا» التي ارتطمت بشجرة قد زادت

آلامها أكثر، وجلست لثوانٍ تتأوه حتى اندملت جروحها، وفجأة انتفضت وهي تخلع السلسال، وقررت أن تشارك بمعركة «هرماس»!

انقضت مباشرةً بعد التحول عليهما، تغرز مخالبها بظهر الوحش وهي تصدر مواءً عاليًا، فترك الوحش «هرماس» وتحول لـ«إلينا» يُنبِت مخالبه بخاصرتها، لتصدر «إلينا» مواءً أشعل نيران الغضب بصدر «هرماس» الذئب، والذي انقض عليه بغيظ فرفعه بيديه القويتين ورماه بقوة ليرتطم بالأرض، ليقفز الوحش مرة أخرى بنفس سرعة ارتطامه، ويرتدَّ لموقع «إلينا» ويباغتها يعضُّها من رقبتها، لتقع أرضًا ترفس بجسدها. ثم وقف يلهث والدماء تسيل من فمه يحدج «هرماس» الذي تحول لون عينيه إلى الأحمر القاتم، وبدأ يتقدم ببطء لمواجهته وهو ينظر إليه بانتصار، بينما وقف «هرماس» مشدوهًا لتبدأ ضرباتٌ قلبه تقرع بقوة خوفًا على «إلينا» المستلقية بضعف تتنفس ببطءٍ والدماء تسيل من رقبتها!

فعاد «هرماس» ينقض عليه، ولكن هذه المرة بكل ما أوتي من قوة، فغرز الوحش مخالبه برقبة «هرماس» وهو يحاول فك ذراعيه الذين حوَّطا رقبته كي يخنقه، تحامل «هرماس» على الألم والنزيف الذي بدأ يسيل من رقبته، وثواني تلت الثواني وقوة «هرماس» زادت وازداد معها غضبه وهو يسمع تأوهات «إلينا». بدأ الضعف يسري في جسد الوحش الذي كلما ضعف هو ازدادت قوة «هرماس»، حتى انزلق من بين يديه ليقع أرضًا يُعلِن نهايته بعد أن لفظ أنفاسه الأخيرة!

في تلك الأثناء وقرب البحر تحديدًا، كان «آجن» يتحضر لخلع الخاتم وليتحول لما يتأقلم مع المياه حتى يتوجه بـ«شويكار» لمكان آمن، لكن فجأة ظهر من الماء وحش أفعواني وبجسد يشبه جسد الفقمة، على جانبيه زعانف وله رأس يشبه الديناصور يحمل أنيابًا كبيرة! هلعت «شويكار» تتراجع إلى الوراء، وبصوتٍ عالٍ هتفت:

- آجن!

لكن الوقت كان قد فات، فقد حملها الوحش ورماها بعرض البحر، وبجزءٍ من الثانية تحول «آجن» لحيوان مائي مفترس كبير له جسم انسيابي كالسَمكة وبأربع زعانف كبيرة، رأسه يشبه إلى حدٍّ كبير شكل رأس التمساح، بأسنان كبيرة وبارزة تملأ فكيه. وبمهارة عالية وبغفلة عن الوحش، أدار جسده ذاهبًا نحو المكان الذي سقطت به «شويكار» مرمية تتقاذفها الأمواج وهي تصرخ باسمه، حاول أن يكون أسرع من تلك الأمواج حتى وصل إليها.

كانت تقاوم الغرق والتفاف الأمواج الغاضبة حولها، بينما اختفى الوحش فاستغل «آجن» الفرصة وسبح نحوها برشاقة ليجذبها ويُخرِجها من الماء، وبينما هو يسبح متجهًا للشاطئ، ظهر الوحش فجأة يرمي برقبَته ورأسه داخل الماء ليسد الطريق على «آجن»، والذي يسابق الزمن كي يخرج «شويكار» المتعلقة بين أسنانه ويضعها على الشاطئ. فغافله وجذبه من زعانفه بأسنانه، ليجاهد الثاني كي يفلت زعانفه من بين أسنانه وقد نجح بالفعل، وبينما هو يلتفت سابحًا نحو الشاطئ بعدما عرقله الوحش، أحس «آجن» بألم فظيع وتحول لون الماء الصافي حوله إلى اللون الأحمر، ليستشعر بأسنان ذلك الوحش تغرز بجسده!

وبجهد عظيم منه أفلت جسده، وها قد وصل للشاطئ بـ«شويكار» أخيرًا، ورغم الألم الذي أحاطه والدم الذي فقده، ودَّع «شويكار» بنظرةٍ أبكتها وهي مختنقة وتسعل من فعل المياه التي دخلت رئتيها، لتقف بعَدها بخوف تراقب ما يحصل معه وقد نهش الرعب أوصالها، نسيت لحظات الموت التي كادت تخطفها منذ لحظات. أما هو فقد خسر دماءً كثيرة وفقد أكثر من نصف القوة التي كان عليها قبل قليل، لكنه رجع إلى تحت المياه ليسبح ويصبح تحت الوحش مباشرة.

أخذ يعض إحدى زعانفه بأنيابه القوية ويجره منها، فانتفض الوحش يصدر صوتًا مرعبًا، هلعت «شويكار» على إثره وكل من كان على الجزيرة، ثم أخذت تجوب رمال الشاطئ ذهابًا وإيابًا تبكي بذعر وتهمهم متأملةً أن ينجو «آجن».

وبعد صراع كبير بين الوحش و«آجن»، أفلح «آجن» بإطاحة الوحش ميتًا يملأ المياه بدمه، بعدما غرز ذيله الحاد في بطنه ليشقه نصفين! ليعود بعدها «آجن» للشاطئ بهزل على مرأى من «شويكار» التي امتلأ وجهها بالدموع مختنقة بغصة، فضميرها يؤنبها، لقد تعرض للخطر بسببها، وها هو يسبح بضعفٍ ليصل إليها! وبثوانٍ ارتدى خاتمه بآخر قوة يملكها ليعود إنسيًّا، وجسده منٍ المنتصف تحديدًا ٍمن جانب بطنه الأيسر ينزف وبشدة، حتى وقع على الأرض يجاهد ألا يفقد الوعي، لتركض «شويكار» نحوه تجثو على ركبتيها والدموع تنهال من عينيها.

جالت بنظرها لجسده المخضب بالدماء، وبيدين مرتجفتين حملت كفه وبحنان ربتت على وجنته قائلة بصوت متقطع:

- آجن! آجن!

في تلك الأثناء، وحين رأى «توراك» «هرماس» وهو يركض باتجاه الوحش الذي أمسك بـ«إلينا»، دبَّ الرعب في قلبه، ولكنه حاول التماسك عندما وجد «آجن» يذهب بـ«شويكار» مسرعًا إلى البحر، فعلم أن هناك وحوشًا تطاردهما، فأسرع نحو خيمته ليأخذ أشياءه سريعًا ويتحول لطائر كبير يحمل «ساڤانا» على ظهره ويذهب بها سريعًا لمكانٍ آمن.

انتهى من جمع أشيائه وأشار إليها أن تسبقه للخارج، وبينما هو يسرعٍ خلفها انتفض على صرخةٍ عاليةٍ جعلته يركض سريعًا نحوها، ليجد وحشًا هائل الحجم يحوم فوقً الخيمةً و«ساڤانا» معلقة من ملابسها بمخالبه! نادت «توراك» برعب، فهتف بحزم والغضب سيطر عليه:

- عليكِ بخلع سلسالك «ساڤانا» وأنا سأُخلِّصك.

أدار ذلك الوحش المرعب جسده وطار متجهًا إلى باطن الجزيرة، نظر «توراك» نحوه بذهول يتفحص شكله الغريب حتى يستطيع التحول لوحش أخطر منه، رأسه يشبه اللقلق لكن بأسنان بارزة، وطول جناحيه يصل إلى الثلاثة أمتار بجسم مغزلي ضخم.

اكتفى «توراك» بذلك، وبأقل من الثانية خلع خاتمه ليتحول إلى طائر كاسر عملاق، نصف جسده نسر له أذن قطة بمنقار معقوف حاد، ونصفه الثاني جسد أسد بذيله الطويل، وبمنتصف جسده جناحين كبيرين جدًا، أطرافه الأمامية رجلي نسر بمخالب طويلة، وأطرافه الخلفية لأسد تنتهي بمخالب أيضًا ولكنها أشد حدة!

حلق «توراك» يتبع ذلك الوحش الذي كان بعيدًا جدًا، لكنه بنظره الحاد استطاع أن يميز المكان الذي قصده، دخل باطن الجزيرة المليء بالأشجار، وقد تاه عن نظره ذلك الوحش، فظل يحوم يبحث عن ضالته! وفجأة أتته ضربة جعلته يرتطم بجذع شجرة ويقع، لكنه وبلمح البصر استطاع النهوض والطيران نحو ذلك الوحش الذي غافله، انتبه «توراك» أنه لا وجود لـ«ساڤانا»، أين هي بحق السماء؟! ازدادت قوته أكثر حينما لم يجد «ساڤانا» معه، فانقض على الوحش يغرز مخالبه بجسده الخالي من الريش، فأرداه الوحش مرتطمًا بجذع شجرة أخرى.

وبكل ما أوتي من قوة انقضَّ الوحش عليه مرة أخرى بعدما رآه يسقط أرضًا، لكن «توراك» نهض وببسالة من على الأرض مادًّا ذيله ليلفه حول عنق الوحش حتى صار محلقًا يحركه يمينًا مرتطمًا بشجرة ويسارًا يرتطم بأخرى، ظل على هذه الوتيرة إلى أن فقد الوحش حياته، فأفلته «توراك» بعدما تأكد من ذلك، ليقع الثاني أرضًا!

ظل «توراك» يجوب الجزيرة يحوم طائرًا يبحث عن «ساڤانا»، فلم يجد لها أثرًا! اضطربت نبضاته والغضب اعتراه من رأسه لنهاية جسده، وبينما هو يحوم وجد جسدين أحدهما مطروح بلا حراك والثاني فوقه يتململ، تقرب بالنزول أكثر فاتضحت هوية الجسدين، هما «إلينا» و«هرماس»، نزل بسرعة للأرض فأثار بجناحيه هبوب ريح توقفت حال أن أوقفهما عن الخفق، ثم ارتدى خاتمه بطريقته المعتادةً فتحول لإنسي بهيئة غاضبة قلقة، وعيناه فيهما مشاعر جمة لا تفسر إلا بالرعب. انحنى يربت على كتف «إلينا» التي

كانت متعبة وشاحبة قائلًا:

- إلينا، هل أنتِ بخير؟

كانت «إلينا» تستلقي بنصف جسدها على «هرماس» الذي ينزف عند عنقه، فبعد المعركة الدامية التي دارت بين «هرماس» والوحش، وبعدما أنهى «هرماس» حياة الوحش بكلتا يديه، ارتدى خاتمه بطريقته المعتادة، وبحركات بطيئة سقط أرضًا ينزف عند نحره وجسده مليء بالجروح إثر مخالب وأنياب ذلك الوحش، فزحفت «إلينا» بوهن نحوه قلقة على حاله حتى خارت قواها، واتكأت بثقل جسدها على جسده!

أزاحها «توراك» من على جسد «هرماس»، ففتحت عينيها ببطء ثم اختنقت ببكاء مرير على حالها وحال «هرماس»، ربت «توراك» على كتفها وما حاله إلا أردى منها، ففقدان أثر «ساڤانا» كاد يصيبه بالجنون، وإن لم تُنهي بكاءها سيهب كالإعصار غاضبًا يُسمِعها أسوأ الشتائم! زاد شحوب «هرماس» وغدى تنفسه بطيئًا أكثر من ذي قَبل، فقال لها «توراك»:

- سأخلع خاتمي وأحملكما على ظهري أحلق بكما للشاطئ.

أومأت برأسها إيجابًا، ثم أخذت تنحني تحمل رأس «هرماس» من الأرض، وتمسح بكفها الدماء التي تنضح من نحره وتمسد بكفها وجهه الشاحب، ليظهر فجأة وميض أزرق من رقبة «هرماس» وبظهوره انقطع سيل الدم!

تفاجأت «إلينا» من بين دموعها لما حدث، فابتسمت لـ«توراك» الذي تحول لنسر توًّا، ثم رفعت يدها تنظر لها بدهشة لتعيد نظرها لـ«هرماس» الذي بدأ نَفسه ينتظم، وبعد ثوانٍ أفاق «هرماس» متألمًا، فنهض يجلس بتعب ينظر لعيني «إلينا» بقلق، ومدَّ كفه بوهن ليربت على وجنتيها التي فاضتً بالدموع، وقال بصوتٍ ضعيف:

- هل أنتِ بخير إلينا؟

أومأت برأسها إيجابًا مختنقة بعبراتها، ثم قفزت لأحضانه وهي تقول:

- كدتَ أن تموت.

ضحك بوهن وهو يربت على رأسها قائلًا بصوته الضعيف:

- آسف لأني أخفتكِ عليّ، لكن كيف اندملَ جرحي وانقطع سيل الدم؟!

أجابته وهي تبتسم بتعجب:

- لقد وضعت يدي على جرحك واندمل، أنسيتَ أن لي القدرة على الإشفاء.

فقال لها بصوت هزيل:

- أنا أعرف، لكن هذا بالنسبة لكِ فقط، هل من المحتمل أن تستطيعي شفاء الجميع؟

أجابته:

- لا أعرف! ما يهم الآن، هل أنتَ بخير؟

تاه بعينيها المليئتين بالدموع، فلها لون فيروزي جذاب، وعندما تتجمع الدموع حول حدقيتها تصبح كالماسة تتلألأ وتبث السحر، سألها وعينيه ما زالتا متعلقتان بحدقتيها الفيروزيتين:

- هل خفتِ عليّ؟

فأجابته من بين دموعها بترفع:

- لا أبدًا، لكن منظرك وأنتَ تنزف أرعبني.

ثم أردفت:

- قم لنذهب لننضم للباقين، فتوراك ينتظرنا منذ وقت طويل.

وأشارت بعد اتمامها جملتها إلى مكان توراك، وقالت:

- لكن! أين هو؟!

ابتسم «هرماس» وهو ينهض واقفًا، ألم تشعري بأنه طار منذ مدة، تنحنحت

بخجل متذكرة اللحظة التي ارتمت فيها بأحضانه، فاتسعت ابتسامة «هرماس» بتسلية ونظر لها نظرةً أذابت أوصالها، فرمش برموشه مرتين متتاليتين جعلتاها تقطب حاجبيها قائلة:

- هيا بنا لنقصد الشاطئ.

قال لها ممثلًا الضعف:

- لن أستطيع المشي، تعالي لأتكأ على كتفك.

هتفت بحدة:

- ماذا؟! هل تريدني أن أسند جسدكَ العملاق على كتفي؟ مستحيل!

ثم أردفت:

- لما لا تخلع خاتمك وتتحول لحصان وتضعني على ظهرك؟! إني متعبة.

هزَّ رأسه قائلًا:

- أريد أن أتمتع بالطبيعة.

قال جملته وهو يسترق النظر لعينيها، فامتثلت لرأيه ومشيا سويًّا متجهين للشاطئ، وحين صلا إلى هناك، وقفا مشدوهين حين وجدا «آجن» مطروحًا أرضًا و«شويكار» بجانبه، فركضا نحوهما ليجدا «آجن» مخضبًا بدمائه شاحبًا و«شويكار» تبكي رعبًا وذعرًا لحاله!

انتفضت «شويكار» لرؤيتهما وبدأت تتوسل:

- أرجوكما أنقذاه! فوضعه صعب جدًا، لقد فقد الكثير من دمائه.

هتف «هرماس»:

- إلينا اتبعيني، فلتحاولي معه كما فعلتِ معي.

وحمله «هرماس» ليدخل به إلى خيمتهما، فدخلت تتبعه «شويكار» تبكي

بصمت وأطرافها تنتفض من الخوف، جلست بقربه حتى دخلت «إلينا» مسرعة تجلس بجانبه، نظرت لـ«هرماس» الواقف بتأهب، فأومأ لها برأسه مشجعًا إياها، رفعت كفها تنظر له ثم أغمضت عينيها ووضعته مكان الجرح، مسَّدت الجرح، مرة، واثنتان، ما هذا!

*****

الفصل الثالث عشر

- ما هذا الألم البشع؟ وأين أنا؟

تساءلت «ساڤانا» وهي تعود لذاكرتها المشوشة تسترجع الأحداث، الوحش الذي اختطفها وألقى بها فجأة، أغمضت بسرعة ثم أعادت فتحها لتتلقى الصدمة، مكان مظلم بفعل الأشجار التي أخفته بأوراقها الكبيرة، ذراعيها مفرودين ومعلقين على غصنين متصلين داخل شجرة وفوق الأرض بعدة أمتار، وأحد هذه الأغصان يسكن لحم ساقها اليسرى، وعند هذا الاكتشاف هاجمتها الآلام بضراوة ضعف ما كانت تشعر به منذ قليل، حاولت تحرير نفسها ولكنها صرخت بشدة عندما أصدرت حركة بسيطة، ما الحل الآن؟!

رفست الشجرة بساقها المتحررة بغضب، فانقلب عليها بألم أشد، ماذا الآن؟! تتحول إلى قطة؟! كيف وذلك السلسال يتمسك بجيدها وأطرافها معلقة؟! صرخت بصوتٍ عال:

- أيها الوحش الغبي!

- هاي يا جميلة! أتريدين المساعدة؟!

نظرت «ساڤانا» إلى الأسفل، بالكاد تبينت «توراك» الواقف تحتها مباشرةً، عرفته من صوته، لتقول واللهفة تزين حروف اسمه:

- توراك، أهذا أنت؟!

- نعم قطتي التي كدت أجوب العالم بحثًا عنها.

- هل ستبقى تتحدث عندك كثيرًا؟! أنزلني!

- آه نعم، سأساعدكِ ولكن لدي بعض الشروط.

- توراك! هل تمازحني الآن؟!

- شرطي الأول أن تخفضي صوتكِ وتحترمي حديثكِ مع رجل قوي مثلي، أما الثاني سأفعله عند نزولك.

- توراك!

- حسنًا سأصعد، اصمدي.

وقف وسحب نفسًا عميقًا يهدئ به نفسه، بعد أن كاد يموت رعبًا عليها يبحث عنها في كل شبر في الجزيرة المهجورة، ولولا صرختها الأخيرة ما وجدها، تبدد كل خوفه عند رؤيتها حتى ولو معلقة هكذا، فهي بخير معه.

قرر التخلي عن تحوله الطائر والصعود بنفسه خوفًا من أذيتها بمخالبه، أحاط ذراعاه القويان بجذع الشجرة الطويلة، وبدأ في الصعود حتى وصل إليها، انخلع قلبه عند رؤية الغصن المخترق لساقها والدماء المتساقطة منها.

- ساڤانا أنتِ مصابة!

- حقًا؟! ظننت لوهلة أني أنال بعض الترفيه هُنا!

ابتلع سخريتها قائلًا وألم قلبه يتزايد:

- آسفٌ حقًا!

- لا وقت للأسف توراك، أرجوك أزِل ذلك الغصن بسرعة، الألم يفتك بي.

قالتها وهي تتألم بشدة، ليخبرها «توراك» وهو يصك أسنانه خوفًا:

- ستتألمين ساڤانا!

- أعرف، ولكنه سيزول بعدها، هيا لا تخف سأتحمل.

وقف توراك على الغصن المقابل لها وأمسك بذلك الغصن الغاشم ثم قال:

- استعدي.

قبضت «ساڤانا» كفيها وأغمضت عينيها ولكنها لم تتحمل الألم، فخرجت

منها صرخة عالية أدت لتوتر «توراك»، والذي اختل توازنه وهو يرفعها لأعلى ليحرر ذراعيها بعد تحرير ساقها فهبط الغصن به، أمسكَ بـ«ساڤانا» ووجَّه ظهره نحو الأرض ليضمن لها هبوطًا مريحًا بدون ألم، وتحمل هو السقطة وطقطقة فقرات ظهره.

أغمض عينيه وشدد بقبضته حولها، وظلا هكذا قليلًا حتى قطعت الصمت وقالت:

- شكرًا لك.

- هل أنتِ بخير؟

قال جملته وهو يحملها ليضعها برفق إلى جواره، رفع معصمها الذي تلون جلده ببقع حمراء وجروح بسبب الأغصان التي بدأت تختفي ببطء، فرفع ساقها بسرعة إليه ليجد الجرح قد اختفى ولا أثر سوى للدماء المحيطة به، فابتسمت له قائلة:

- يبدو أن جسدي تولى أمر جروحي.

سرح في ابتسامتها المشرقة التي ظن لوقتٍ قليلٍ أنه لن يراها مجددًا، وعند هذه الذكرى شدها إلى أحضانه يطمئن نفسه بوجودها الفعلي.

توترت «ساڤانا» ولكنها لأول مرة تترك نفسها، إلى أن ابتعد بنفسه قليلًا عنها قائلًا:

- كدت أُجنُّ عندما أخذكِ ذلك الحيوان مني ساڤانا، أنا آسف لتأخُّري.

- لا تتأسف، لقد أنقذت حياتي مرتين اليوم.

ابتسم وهو يردد:

- هذا سبب وجودي في الحياة.

احمرت وجنتاها وأخفضت عينيها، بينما جلس هو يتأملها بأعين لامعة مركزة

على منطقة واحدة في وجهها الفاتن، واقترب منها أكثر يلثمها، وفي اللحظة الأخيرة ابتعدت بوجهها عنه صارخة فيه:

- ماذا تفعل؟!

غمز لها بشقاوة:

- أنفِّذ شرطي الثاني.

ضربته في كتفه ليتأوه قائلًا:

- سأعطيكِ أوسكار أفضل هادمة للذات.

- اصمت! أين الجميع؟

- هرماس وإلينا كانا مصابين وذهبا إلى آجن وشويكار.

- إذًا هيا بنا إليهم.

هبت واقفة بينما هو رد معترضًا:

- ماذا عن شرطي أيتها القطة الناكرة للجميل!

زمجرت «ساڤانا» فأومأ برأسه رافعًا لها ذراعه:

- حسنًا حسنًا، ساعديني فقط، لا أستطيع الحركة.

مدت «ساڤانا» يدها له وسحبته بقوة نحوها فغافلها ووضع قبلة سريعة على وجنتها:

- نعتبره أول بنود الشرط الثاني.

وكزته في صدره ثم غادرته غاضبة، يتبعها هو بضحكات عالية يخفى عليه وجهها المزين بابتسامة واسعة الآن!

جثت «شويكار» على ركبتيها ثانيًا بعد أن قامت «إلينا» التي حاولت معالجة «آجن» ولكن دون جدوى، فصرخت بها «شويكار»:

- ماذا تقصدي بهذا؟! افعلي شيئًا أرجوك.

- لا أستطيع شويكار كما ترين.

التفتت إلى «آجن» الذي كان ينتفض حتى تفل بدمائه في وجهها، شهقت «شويكار» وزادت في بكائها، جثا «هرماس» بجوارها وقال:

- اهدئي شويكار، يجب عليك معالجته بنفسكز

- أنا؟! كيف؟! ليس لدي هذه الهبة، أرجوكِ إلينا حاولي مرة أخرى.

جثت «إلينا» ووضعت يدها على جسده المليء بالدماء، مسَّدت بيدها مرة واثنان، حاولت الضغط عليه، صرخ «آجن» فانتفضت «إلينا» وابتعدت، فهتف بها «هرماس»:

- شويكار! هيا ضعي يدك وحاولي مثل إلينا.

اقتربت «شويكار» مرة أخرى وفعلت المثل، ولكن دون جدوى أيضًا! فالتفتت نحوه:

- ماذا الآن؟! إنه يحتضر، هرماس افعل شيئًا!

- سأذهب وأبحث عن توراك لنطلب مساعدة.

- سآتي معكَ هرماس، وأنتِ شويكار ابقي بجانبه، لا تقلقي سننقذه.

خرج الاثنان وتركا «شويكار» التي اقتربت من «آجن» الذي ناداها بصوت ضعيف:

- نعم آجن، أنا بجوارك، هرماس وإلينا يجلبانِ المساعدة لنا.

- لا وقت لدي، يبدو أن النهاية أتت سريعة.

شهقت «شويكار» ووضعت يدها على فمه المليء بدمائه:

- لا تقل ذلك أرجوك، تماسك آجن من أجلي، لا أريد خسارة أحد آخر في هذه الدنيا، أرجوك!

ازداد بكاؤها وشهقاتها وبدأ آخر ضوء للحياة يخبو في عين «آجن»:

- لا! لا آجن! لا تغمض عينيك، ابقَ معي أرجوك!

صرخت به ولكن دون جدوى، لا حياة لمن تنادي! فهبَّت واقفة وخرجت من الخيمة تبحث عن أحدهم، لكن اختفى الجميع، جرت نحوه وهزته في عنف:

- لا، لن أتركك لتموت، لا آجن أرجوك!

وضعت يدها على جرحه القطعي في بطنه وبدأت في استدعاء قوة لا تعلم تحديدًا كيفية استخدامها، لكن بلا جدوى!

فأغمضت عينيها وسحبت شهيقًا ثم أخرجته زفيرًا لعدة مرات تهدئ نفسها وكررت المحاولة مرة أخرى، أحست بسخونة تجتاح يدها، ففتحت عينيها ورأت ضوءًا أزرق اللون يمر إلى جسد «آجن» الذي انتفض بشهقة العودة من الموت!

لم تصدق «شويكار» عينيها، بدأت تُمسِّد باقي جسده بنفس الطريقة حتى عالجته تمامًا، ثم انهارت باكيةً في أحضانه.

تلقَّاها بضعفٍ يضمُّها جالسًا في وقت دخول البقية، فزفر «هرماس» بارتياح:

- أخيرًا فعلتِها شويكار!

لم تلفت لهم «شويكار» بل ظلت على حالها.

- لنتركهم قليلًا يا رفاق.

خرجت الجملة من «توراك» الذي فضل ترك مساحة لـ«شويكار» حتى تهدأ، ألقى «آجن» نحوه نظرة امتنان، فآخر ما يحتاجه الآن هي الصحبة.

خرج الجميع فربت على ظهرها بحنان، وقال:

- ألن تكفِّي عن البكاء؟ أنا بخير الآن.

- لقد كدت أن أخسرك آجن!

قالتها متقطعة بشهقاتها وبكائها، رفع «آجن» رأسها عن كتفه واستقبلها بابتسامة هادئة:

- انظري إليّ، أنا بخير، لقد أنقذتِ حياتي أيتها القطة الثرثارة!

- لا، أنتَ الذي أنقذتني وكدت تفقد حياتكَ من أجلي.

- هذا هو سبب وجودي شويكار، حتى ولو مت يجب عليكِ ألا تلتفتي لي وتكملي مشوارك ومهمتك، اليوم مثال بسيط على ما سيحدث في الأوقات القادمة.

- لا آجن! أنا...

قاطعها:

- بل نعم، هذا هو قدركِ ومهمتكِ شويكار، أنا مجرد رد فعل وأنتِ الفعل نفسه، مصير البشرية كلها في يدكَ، أريدكِ قوية دائمًا، وإذا تكرر الموقف فلتنالي من الوحش وتأخذي بثأري، هل تفهمين؟

أومأت برأسها فابتسم مرة أخرى ومسح الدماء من وجهها ببطء أشعل حواسها، فأخفضت رأسها خجلًا من قربها الزائد منه، أخيرًا فطنت أنها تحتل حضنه، فدفعت نفسها لتبتعد عنه ولكنه جذبها أكثر نحوه، لفحتها أنفاسه الحارة لأول مرة بحياته، تلاقت أعينهما سويًّا وتشابكت شفاهمها في قبلة رقيقة مفعمة بمشاعر مختلطة!

ابتعدت «شويكار» عنه تلهث وكل شيء بها أحمر اللون، عينيها ووجهها وشفاهها! فهبَّت مسرعة وقالت بتلعثم:

- سأستدعي الآخرين.

ضحك «آجن» بعد خروجها، لأول مرة بحياته يقبل فتاة!

دائمًا طبيعته الباردة تسيطر على كل حواسه ولم تشعله إحداهن، وكان الشرف لتلك المجنونة الثرثارة، عاد بظهره مغمضًا عينيه، لقد أنهكَ الوحش

جسده تمامًا، على الرغم من شفائه لكنه يشعر بإجهاد عظيم، وسرعان ما عادت البرودة لتجتاح جسده.

عادت «شويكار» بهم وأول من اقترب منه كانت «إلينا»:

- حمدًا لله على سلامتك آجن، حاولت مساعدتكَ ولكن يبدو أن قدركَ مرتبطٌ بتلك القطة الباكية!

ضحك الجميع ونظرت إليها «شويكار» بغيظ، ليقول «هرماس»:

- كلامكِ صحيح إلينا، يبدو أن ثلاثتكن تمتلكن تلك الهبة لنفسها وحاميها فقط.

- وكيف عرفت ذلك «هرماس»؟

تساءلت «ساڤانا»، فأجابها:

- لأن إلينا أنقذتني، وعندما حاولت مع آجن لم يتقبل جسده قدرتها، وأخيرًا تشجعت شويكار وفعلتها، ولكن كيف؟

- نعم، لم أكن أعلم بقدرتي هذه، لقد واتتني الفكرة فجأة، يبدو أن توتري وخوفي كانا السبب، حاولت التحكم به فنجح الأمر.

فقال «توراك»:

- إذًا ثلاثتكن لديكن مواهب وقدرات غير مكتشفة بعد، على عكسنا نحن الحماة.

ليرد عليه «آجن»:

- نعم توراك، هذا ما كنت أريد قوله، الفتيات جاهلات تمامًا بقدراتهن وقدرهن، وهذا ما يريده ذلك الوحش تمامًا، لذلك يجب تولي تدريبهن على اكتشاف القدرات وكيفية التحكم بها.

- أوافقكَ تمامًا آجن.

خرجت الجملة الأخيرة من «هرماس» وأشار لهم «توراك» بالموافقة أيضًا، بينما وقفت الثلاث قطط يشاهدن حديثهم.

- وكيف يتم ذلك آجن؟

تساءلت «إلينا»، ليرد بقوله:

- كل حامٍ يتولى قطته، وستعرفن كيف، الأهم أنه متى سنفعل ذلك!

أجابت «ساڤانا» بحماسها المعتاد:

- الآن!

صدرت طقطقة معترضة من «توراك»:

- اهدئي أيتها الحماسية! كلنا منهكون ونحتاج إلى طعام وراحة حتى نستعيد نشاطنا المفقود.

- نعم توراك، أنا جائعة بالفعل، يبدو أننا نسينا أنفسنا في خضم الأحداث الماضية.

هتفت بها «إلينا»، فقال «هرماس»:

- علينا إيجاد مكان آمن آخر.

فرد عليه «آجن»:

- يبدو أن كل الأماكن غير آمنة هرماس، كل ما علينا فعله استغلال الوقت لصالحنا لو انتقلنا إلى مكان بعيد سنفقد باقي قوتنا.

ليقول «توراك»:

- إذًا سأطير أنا لخارج هذه الجزيرة المنحوسة لأجلب لنا طعام.

فسارعت «ساڤانا» تقول:

- وملابس أيضًا توراك أرجوك! كل ملابسنا ملطخة بالدماء وتقطعت.

غمزها «توراك» بعد أن مرر عينيه على معطف «آجن» الذي ترتديه وقد تقطعت أجزاء منه، وقال:

- أرى ذلك سافانا لا تقلقي.

- سأرافقكَ توراك.

- بالطبع قطتي، وعندما أعود سأصنع لكم سراويلَ تستر أجسادكم عند التحول مثلي.

فنهاه «هرماس» قائلًا:

- لا توراك، أنا سأتولى هذه المهمة، اترُك لي القماش فقط.

- حسنًا سأترك الحقيبة بخيمتك، هيا ساڤانا.

- وأنا، ما الذي عليَّ فعله؟

قالتها «إلينا» فأجابها «هرماس»:

- فلتساعديني إلينا، ولنترك شويكار وآجن للراحة قليلًا، ثم يتولوا منا المراقبة، علينا تقسيم أنفسنا.

غادر الجميع الخيمة وتركوا «شويكار» و«آجن» بمفردهما، استلقى في مكانه مرة أخرى بينما وقفت «شويكار» مترددة، رفع رأسه نحوها قائلًا:

- ألن تأتي؟ يجب أن ترتاحي.

- نعم قادمة.

تقدمت نحوه ببطء، أحس بإحراجها فأفسح لها المكان قليلًا، استلقت بجواره ولأول مرة تغمض عينيها بدون كلام كعادتها، ابتسم «آجن» بعبث يبدو أن تأثير قبلته لا يزال يسري بداخلها، تأوَّه كذبًا فانتفضت «شويكار» والتفتت نحوه:

- آجن ما بك؟!

بصوتٍ ضعيف:

- لا تقلقي، ألام بسيطة.

- حقًا؟ هل أستدعي هرماس؟

- لا أنا بخير، ولكن...

وصمت قليلًا، سألته بلهفة كاد أن يبتسم عندما وصل إليها، ولكنه تماسك قائلًا:

- أشعر ببرد شديد ينخر عظامي، أريد بعض التدفئة.

تلفتت «شويكار» حولها بحيرة ثم أمسكت بمعطفه الذي ترتديه:

- لا يوجد معي أي ملابس أخرى، سأخلعه لك وألتف بذلكَ المفرش.

- لا بالطبع، ستبردين هكذا! يمكنكِ مساعدتي بالاقتراب مني، جسدكِ سيبعث عليَّ بالدفء.

امتثلت «شويكار» لطلبه ووقعت في شباك مكره الكبير، استلقت بجواره ورفعت رأسها نحوه:

- هكذا؟

- اقتربي قليلًا فقط.

فاقتربت حتى التصقت به، ليقول:

- نعم، هكذا أفضل، هيا لنلحق ببعض النوم.

أغمضت عينيها تداري خجلها الواضح، نعم لقد استلقت بجواره من قبل، ولكن هذه المرة تشعر بأنه مختلف ونظراته مختلفة تكاد تلتهمها!

بينما هو استمر قليلًا يراقب احمرار وجنتيها الذي يزداد، ثم أغمض عينيه ولا تزال تلك الابتسامة العابثة تعلو ثغره.

دخل «هرماس» إلى خيمته مع «إلينا»، فتح حقيبة «توراك» الذي تركها له ثم أخرج ثوب قماش كبير وضعه أمامه، ثم أمسك بحقيبته وأخرج مقصًّا وقلمًا ملونًا وبدأ في رسم باترون موحد عليه، فسألته «إلينا»:

- هل تعرف المقاسات؟

ابتسم «هرماس»:

- لا يهم، توراك أخبرَني أن هذا القماش يتمدد ليأخذ شكل الجسد، سيكون قصيرًا ليكفي عددكم ولكنه في النهاية ساتر.

- من أين عرف نوعه؟

- ليس نوع قماش معين، إنه خليط من أقمشة حرارية متمددة وبعض المواد الكيميائية، إنها خلطة توراك السرية الذي رفض الإفصاح عنها.

أنهى جملته بغمزة ووقفت تراقب قصه للقماش بحرفية.

- إذًا فهذه هواية ومعرفة أخرى تُضاف لك!

- ما رأيك؟! قبل أن أعرف ماهيتي كنت أتمنى أن أصبح خياطًا، ولكن جدي وجهني نحو السيرك، ولأنه خشي تمردي أثناء مراهقتي أسندَ لي مهمة تصميم الملابس واختيار الأقمشة المناسبة.

- رائع! وماذا كنت تفعل في السيرك؟

- بالتأكيد لا يوجد أمهر مني في تدريب الأسود.

ضحكت «إلينا» برقة:

- نعم بالتأكيد.

قام «هرماس» فجأة واقترب من «إلينا» التي ابتعدت خطوة للخلف كرد فعل طبيعي، وبابتسامة مشاكسة اقترب أكثر ووضع مقياسًا حول محيط صدرها البارز ثم ابتعد فورًا وسجل قياسه.

- اممم! مقاس مثير.

شهقت «إلينا» وتخضبت وجنتاها بالحمرة واشتعلت عيناها بنظرات حاولت أن تكون غاضبة، صدحت لها ضحكات «هرماس» القوية قائلًا:

- نسيت لوهلة أنكِ ستحتجن قطعة أخرى بعكسنا.

وقبل أن تلتفت مغادرة، قاطعها مشيرًا إلى بقعة بجواره:

- هلا ساعدتني بالخياطة؟

أومأت برأسها واقتربت منه وبدأت في العمل تحت أنظاره الشغوفة بتلك الفاتنة التي تقبع أمامه، وأخيرًا انتهى عملهما، مطَّت «إلينا» جسدها متثائبة وقالت:

- ساڤانا وتوراك تأخرا!

- نعم، أرى أنكِ مجهدة، ارتاحي وأنا سأنتظرهما.

- لا سأبقى معك، لنخرج من الخيمة فهي تُعطيني شعورًا بالنوم.

ضحك «هرماس» وأمسك بكفها وخرج بها أمام الخيمة، جلسا سويًّا على الرمال وعادت «إلينا» برأسها تراقب النجوم، فاختل توازنها ورجع ظهرها للوراء، كادت تسقط لولا إحاطة «هرماس» لها بذراعه القوي ثم إسنادها إليه.

- ألم أخبركِ أنكِ بحاجةٍ للنوم؟!

ضحكت «إلينا» وقالت:

- لا، أنا بحاجة لمراقبة النجوم.

ثم أسندت رأسها لكتفه العريض، فابتسم وضمَّها إليه أكثر، لتقول:

- هل تظن أن ذلك الهدوء سيستمر كثيرًا؟

- لا، ولذلك اقترحت المغادرة، آجن معه حق، يجب علينا الراحة، وإذا استمر

الوضع هكذا وأخذنا راحتنا نغادر.

ثم تنهد «هرماس» مردفًا:

- سنرى ماذا سيحدث، الأحداث تزداد جنونًا!

فقالت «إلينا» وهي ترفع إليه طرف عينيها:

- ليست الأحداث فقط، المشاعر أيضًا وكل شيء يزداد جنونًا حولنا.

ابتسم قائلًا:

- التحول يزيد من كل شيء داخلنا، تأقلمي واتركي نفسكِ لكل ما تشعرين به.

تلاقت أعينهما في حديث صامت لتتصاعد حمرة الخجل إليها بسببه.

- أخبريني عما حدث عن رؤيتك كيف تحدث؟

أجابته وهي تتنهد:

- لا أعلم، بدأ الأمر معي منذ صغري، دائمًا كنت أتنبأ بحدوث الأشياء من حولي، عُرِفت وسط أهلي بذات الحاسة السادسة، لا أعلم هل كانوا يعرفون ماهيتي وموهبتي أم لا، ولكن كلما كبرت كان الأمر يزداد معي، إلى أن وصل لتلك الرؤى الواقعية كما رأيت، ولكن دون شعور أو تحكم مني.

- إذًا علينا جعلها بتحكم منك.

- كيف؟ الأمر صعب جدًا!

- نعم صعب وليس مستحيلًا، تحكمي بالجزء أولًا وبعدها يأتي الكل، أول خطوات الاستخدام هو الهدوء الكامل، ولا هدوء أكثر من هذا، هيا أغمضي عينيكِ واعرفي متى سيصل توراك وساڤانا.

- هرماس لا أستطيع!

- بل تستطيعين، هيا أغمضي عينيكِ الجميلتين وركزي تفكيركِ كله بالبحث

عنهما، هيا.

استقامت وسحبت نفسًا عميقًا وزفرته بهدوء، أغمضت عينيها وبدأت في التركيز كما أخبرها، دقائق معدودات وقالت:

- لا أرى شيئًا هرماس! قلت لكَ لا أستطيع الرؤية.

- بلى! أنا لستُ بجوارك، أنتِ وحدكِ في جزيرة نائية، من حولكِ المياه وأمواجها الصاخبة التي تطربَ أذنيكِ، تعلوها سجادة لامعة من النجوم، ابحثي فيها عن صديقيكِ الجددين، لأنهما في خطرٍ ولا بد من إيجادهما!

قبضت كفيها وزادت في إغلاق عينيها، ارتفع صوت أنفاسها وبدأ جسدها في الارتعاش، آتاها صوت «هرماس» من بعيدٍ يحثها على التقدم والبحث أكثر، حتى وجدتهما! نسرٌ ضخمٌ يحمل فتاةً تمسك بيدها حقيبتين كبيرتين ويطيرانِ فوق بحرٍ عرفت صوت أمواجه جيدًا، اكتفت بذلك وفتحت عينيها قائلة:

- إنهما قادمان الآن!

ثوانٍ معدودات وسمعا طنين طائر فوقهما، رفع «هرماس» رأسه واتسعت ابتسامته عندما صحَّت رؤيتها ثم احتضنها بفرحة:

- أحسنتِ قطتي!

هبط «توراك» وانتظر حتى نزلت «ساڤانا» ثم عاد من تحوله وبصوتٍ ساخر:

- يبدو أننا قطعنا لحظةً حميمةً هنا!

وكزته «ساڤانا» في صدره وحدقت «إلينا» فيه بغيظٍ بينما ضحك «هرماس»:

- لن تصدقا، لقد نجحت إلينا في أول تدريبٍ لها ورأت مجيئكما إلى هُنا.

فقالت «ساڤانا»:

- آه! رائع إلينا، أحسنت.

فأجابتها «إلينا»:

- شكرًا ساڤانا.

فخرج صوت «توراك»:

- أحسنت هرماس، بدأت في التدريب مبكرًا.

- نعم، وإذا أردت مساعدةً في تدريب ساڤانا فأنا بالخدمة.

أنهى «هرماس» جملته المشاكسة لـ«توراك» الذي ضم بذراعه «ساڤانا» له قائلًا بتملُّك:

- لن يساعد أحد قطتي سواي.

رفعت «ساڤانا» ذراعه الذي أحاطها به رغمًا عنها بغيظ، ووقفت بجوار «إلينا» قائلة:

- علينا إيقاظ آجن وشويكار لتناول الطعام ساخنًا، بينما أنتما أيها المدربان عليكما بتحضير المكان الذي سنأكل فيه.

صدحت ضحكات «توراك» بينما رفع «هرماس» يده إلى رأسه في إشارة احترام عسكرية وبدأ في التجهيز فعلًا.

دخلت «إلينا» إلى الخيمة بهدوء وانتظرتها «ساڤانا» خارجًا، كان «آجن» و«شويكار» ملتصقين ببعضهما، هو يضمُّها وهي تلف ذراعها حول رقبته، راقبتهما قليلًا ثم خرجت بهدوء:

- إنهما غارقان بالنوم، أرى أن نتركهما أفضل.

- ماذا؟! بالطبع لا، عليهم تناول الطعام ليستعيدا نشاطهما، وأيضًا نحتاج للراحة مثلهما.

- إذًا لنتناول الطعام أولًا ونعطيهما وقتًا أطول، وبعدها نوقظهما.

فكرت «ساڤانا» قليلًا ثم قالت:

- حسنًا، هيا بنا، أنا أتضور جوعًا منذ أن شممت رائحة الطعام.

ضحكت «إلينا» وعادا سويًّا إلى الحماة، تناولوا طعامهم وسط مشاكسة «هرماس» ووقاحة «توراك» بالطبع، وأخيرًا انتهوا وانتهت معهم آخر مؤشرات طاقاتهم وقرروا اللجوء إلى النوم.

سحبت «ساڤانا» الجزء المخصص لطعام «آجن» و«شويكار» وملابس لهما ثم اتجهت نحو خيمتهما، أيقظت «آجن» بهدوء واستجاب لها بعد تكرار مناداته، فك حصار ذراعي «شويكار» عنه بصعوبة، ثم قام وخرجا ليتحدثا خارج الخيمة، أخبرته «ساڤانا» بما عليهما فعله، ثم توجهت منهكة إلى خيمتها بجوار هذا الوقح الذي يستنفد مشاعرها ويتسرب إليها ببطء.

وجدته يستلقي أرضًا فاتحًا لها ذراعه بابتسامة، لتستلم بإرادتها هذه المرة وتتوسده لتغطَّ في نومٍ سريعٍ انتظرته كثيرًا.

وكذلك الحال عند «إلينا» التي لم تنتظر إشارة صريحة منه لتنام إلى جواره، يكفيها فقط النظر إلى عينيه ومعرفة ما يريد بصمت.

أحس «آجن» بالانتعاش بعد قيلولة النوم الذي كان في أمسِّ الحاجة لها، بدأت السماء تكشف عن أول خيوط الفجر الرمادية، إنه أنسب وقت له لممارسة رياضته المفضلة قبل أن يوقظ قطته الثرثارة، اقترب من المياه وألقى بنفسه بجسده البشري وذهب أبعد قليلًا عن الشاطئ.

بعد أن استعاد كامل عافيته وغسل جسده من آثار دمائه قرر الخروج، وعندما اقترب وجد قطته الصغيرة تنتظره على الشاطئ، فخرج وتوجه نحوها مبتسمًا:

- متى استيقظت؟

رمشت عدة رمشاتٍ بعينيها قائلة:

- منذ قليل، قلقت عندما لم أجِدك.

أخبرها وهو ينفض شعره من الماء:

- نعم، قليل من الانتعاش يفيد صباحًا، لقد أحضروا لنا طعامًا، هيا سأبدل ملابسي ونتناوله سويًّا.

ثم قيم جسدها بنظرة سريعة وأكمل:

- وأنتِ أيضًا، عليكِ بتبديل هذا المعطف.

فسألته وهي تخطو نحو الخيمة:

- هل أحضرت ساڤانا ملابسًا لي؟

أجابها:

- نعم، ولكن هرماس فاجأنا بملابس أفضل تصلح للتحول مثل ملابس توراك.

ثم مال بجسده وأخرج بنطالًا وقطعة صغيرة من نفس القماش ودفعه إليها:

- هذه هي.

تذمرت «شويكار» بطفولية:

- لا أريدها، أنا أريد ارتداء ملابس بشرية.

علت ضحكات «آجن» التي تسمعها لأول مرة بذهول قائلًا:

- ملابس بشرية؟ وما هذا إذًا؟!

- أقصد عصرية، لا بنطالًا وقطعة خرقة.

وقف أمامها وبحنان أبوي:

- إذا ما رأيكِ في ارتداء الاثنين؟ هذه أولًا وفوقها ملابسكِ العصرية، فلا نضمن ما سيحَدث، ولا أريد كشف ستر جسدكِ أمامهم ثانيةً.

ما هذا؟! هل انتهى العالم وذاب الجليد؟! هل هو «آجن» الملقب بالثلاجة ذات الثمانية عشر قدمًا حقًا؟!

راقب نظرات الذهول التي تحاصره بها بتسلِّي، ثم دفعها نحو الخيمة ومعها الملابس:

- هيا، أمامكِ دقيقتان لارتدائهم، وإلا سأدخل بنفسي لوضعهم عليك.

اختفت «شويكار» داخل الخيمة، وببراءة طفلة خائفة ارتدت الطقم الذي صنعه «هرماس» ثم فوقه بنطالًا آخر جلبته «ساڤانا» وله سترة رقيقة، يبدو أن ذوق «ساڤانا» بالملابس مثلها، وخرجت إليه بسرعة ووجدته يجلس بعد الخيمة بخطوات قليلة وأمامه أكياس طعام سريع، أشار إليها فجلست بجواره.

- اختيار ساڤانا موفق لك.

- نعم أعجبني أيضًا.

- هل نمتِ جيدًا؟

- نعم، وهل أنتَ بخير الآن؟

- لم أكن بخير مثل الآن أبدًا!

ابتسمت «شويكار» وبدأت في تناول طعامها ثم قالت بتلذذ:

- طعام! منذ متى لم أتناول طعامًا؟!

ضحك «آجن»:

- منذ ثلاثة أيام، منذ أن قابلتك.

- ثلاثة فقط! لماذا أشعر بأنه دهر كامل؟!

أجابها وهو يلتقط قطعة من الطعام:

- لكثرة الأحداث المتتالية، لقد مر ثلاث ليالِ من المهلة الموجودة بالنبوءة، علينا التحرك بشكل أسرع، فالوحش تفوق علينا مرتين إلى الآن، لذلك أحتاجكِ أن تُخبريني بما حدث لكِ قبل مجيء الوحوش، كيف رأيتِهم؟

زمَّت شفتيها:

- لا أعلم، فجأة بدأت أسمع أصوات الرعد كأنها تطرق بداخل أذني أنا فقط، ثم رأيتهم.

ضيق عينيه ليسألها:

- كيف؟ كانوا قادمين نحونا؟

هزت رأسها نفيًا:

- لا، لقد رأيت مكانهم وليس قدومهم على الجزيرة، كانوا في مكان غريب لم أرَ مثله من قبل، خرجوا فجأة من باطن الأرض!

ضم حاجبيه متسائلًا:

- وكيف عرفتِ أنهم متوجهين نحونا؟

تنهدت «شويكار» وهي تجيبه:

- سمعت أحدهم يقول القطط، فربط ذهني بالذي رأيته من قبل، وفهمت أنهم لنا.

ابتسم وهو يقول:

- حسنًا وقبل ذلك سمعتِ صوت حديث ساڤانا وتوراك بالخيمة البعيدة عنا؟

خجلت «شويكار» ثم قالت:

- بل رأيت ساڤانا تدخل إلى الخيمة، ولكنها اختفت كسراب.

ابتسم «آجن»:

- لم يكن سرابًا، بل كان حقيقة! لقد فهمت الآن عندما فزعت وقُلتِ بقدوم وحوش نحونا، عرفت أنكِ بطريقة ما ترين المستقبل، لكن تعجبَت كثيرًا عندما وجدت إلينا تقول نَفس الرؤية، واعتقدت أنه شيء مشترك بينكما، ثم بعد ذلك عرفت بأن رؤيتها مختلفة عنك، هي عرفت ماذا سيفعلون وأنتِ رأيت قدومهم فقط في مكان آخر.

- وماذا يعني ذلك؟

- يعني أنك ترين الحاضر وليس المستقبل مثل إلينا، الحاضر ولكن في مكان آخر بعيد أو قريب منك!

فغرت فاهها وردت بذهول:

- ماذا!

- نعم شويكار، هذا ما توصلت إليه أخيرًا، أنتِ الحاضر وإلينا المستقبل وساڤانا الماضي، لقد فهمت قدراتكم المكملة لِبعضها الآن، وهذا سيفيدنا في مهمتنا كثيرًا، ولكن يجب عليكن تطويع تلك القدرات.

- كيف ذلك؟

أشار إليها وقال:

- انهي طعامك وسنبدأ فورًا بالتدريب.

وقفت «شويكار» قائلة:

- لقد انتهيتُ بالفعل.

- إذًا هيا بنا.

نهض «آجن» ثم لملم أكياس الطعام ووضعها أمام خيمتهما، وعاد إليها يشدها ليمشيا سويًّا، فسألته بتعجب:

- إلى أين؟!

أجابها:

- إلى أبعد نقطة في الجزيرة.

اندهشت قليلًا ولكنها تبعته في هدوء غريب عليها، وبالفعل توجها نحو أبعد نقطة في الجزيرة ثم وقفا ليخبرها:

- أحتاج منكِ الآن محاولة رؤية إلينا وهرماس في خيمتهما.

شهقت «شويكار»:

- ماذا؟ كيف؟!

فغمز لها وهو يقول:

- فقط بالتركيز كما فعلتِ معي وأنقذتِ حياتي، الأمر كله يتطلب هدوءًا وتركيزًا، لقد اخترت مهمةً سهلة كبداية لَكِ، إنهم معنا بنفس الجزيرة، هيا شويكار.

وقفت «شويكار» ثم أغمضت عينيها وبدأت بالتركيز كما أخبرها «آجن» والذي كان يراقبها خوفًا من حدوث مضاعفات وأن تتحول عيناها للبياض كما حدث من قبل.

لكنها بعد دقائق معدودات، فاجأته بفتح عينيها بشكل طبيعي وإخباره بخيمة «هرماس» و«إلينا» وطريقة استلقاء كل منهما، والذي كان قد تأكد منها «آجن» عندما تركها تبدل ملابسها، ليعرف صحة رؤيتها، لقد ظن أنها سترهقه حتى تتحكم قليلًا بقدراتها ولكنها ما زالت تفاجئه!

- جيد جدًا شويكار، أحسنتِ الآن، أريد منكِ الوصول إلى منزلي ووصف شكل حجرة نومي، وبعدها سنوقظ الجميع لنبحث عن السلاح، لم يعد أمامنا سوى أربع ليالٍ فقط!

*****

الفصل الرابع عشر

أغمضت «شويكار» عينيها مرة أخرى بعد أن أخذت عدة أنفاس متتالية، لتبدأ وصف غرفته بدقة شديدة، ابتسمت «شويكار» لتتوقف عن سردها للرؤى، وهي تنظر نحو سريره العصري بلونه الأزرق الذي تتميز به الغرفة بأكملها، لترفع حاجبيها بغرابة من رؤية شراشفه البيضاء ناصعة! غرفته أنيقة ونظيفة ومرتبة، ثم توجهت سريعًا إلى خزانة ملابسه الملفتة للنظر، فضولها جعلها تخترقها لترى ما بداخلها، احمرَّت وجنتاها لرؤية ملابسه الداخلية التي تتميز بألوان الطيف، وبأكثر من مئة تصميم مختلف وغير متشابه!

هزة خفيفة من «آجن» جعلتها تفتح عينيها سريعًا وهي تتنحنح بقوة لتغطي على خجلها منه، أحاطها «آجن» بيديه قائلًا بقلق:

- هل أنتِ بخير شويكار؟ هل أرهقتك الرؤيا؟

أشارت له برأسها سالبًا وهي تردد:

- بل أرهقني ما رأيت!

ضم حاجبيه بغرابة وهو يقول:

- ماذا تقصدين؟

هزت رأسها وهي ترفع كفها أمامه قائلة:

- لا عليك آجن.

لتقف بعدها وهي تتفحص أرجاء الجزيرة بعينيها التي أصبحت ترى بهما ما يبعد عنها بمئات الأمتار، أشارت له وهي تخطو بعيدًا، هيا بنا نعود للبقية، يجب أن نتحرك سريعًا من هنا، لم يعد الوقت في صالحنا، فتح «آجن» عينيها عن آخرهما ذهولًا من هذه الفتاة التي منذ قليلٍ كان يعتبرها لا تصلح

لأي شيء سوى الثرثرة والتدليل، الآن وبعد لحظات قصيرة أصبحت تقوده، بعد أن كان يشعر أنها عبء ثقيل عليه! قام سريعًا يتبعها وهو ما زال على ذهوله من تحولها المفاجئ، لم يستطع إلا أن يُمسِك بكفها ليوقفها قائلًا:

- ماذا حدث لكِ شويكار؟

ضمت حاجبيها وهي تهز رأسها لا تفهم مقصده، ليُكمِل «آجن» سريعًا:

- أشعر كأنكِ أصبحتِ فتاةً أخرى لا تشبه أبدًا من قابلتها منذ ثلاثة أيام!

أجابته وهي تنظر لعمق عينيه الدافئتين التي لم تعد جليدية كما كانت تصفهما من قبل:

- كدت أن أفقدك!

لتهز رأسها بألم وهي تكمل:

- بل فقدتك للحظات، ولن أجازف بعيش نفس الشعور مرة أخرى.

ألجمته فلم يعد يشعر على أي أرضٍ يقف! تسارعت أنفاسه وهو يقترب منها ليضع يده على خصرها بتملك يمنعها من أن تبتعد عنه إنشًا واحد، لم يرغب بمقاومتها، أو بمعنى أدق لم يعد يستطيع! ليهبط على شفتيها بقبلة جعلت قلبها يتوقف عن الهدر ليستكين تمامًا بين يديه بعد لحظة واحدةً، وكأنها قبلته تخبرها أنها أبدًا لن تفقده وسيظل دائمًا معها. بدأت تتفاعل معه وكأن العالم لم يعد به أشخاصٌ سواهما، وبعد لحظاتٍ ابتعدت عنه لاهثة وهي ترهف بسمعها ليصلها صوت «ساڤانا» المرتفع وهي تبحث عنهما، وضعت كفها على صدره لتبتعد عنه برفق قائلة:

- يبحثون عنا، يبدو أننا لهَونا كثيرًا.

أمسك بكفها القاطن على صدره ليلثم باطنه برقة قائلًا:

- حسنًا، لنعود إليهم.

*****

قبل قليلٍ في خيمة «هرماس»..

تململت «إلينا» في نومها، هي تتمتم بكلمات بدت له غريبة، ففتح عينيه سريعًا لينتفض وهو يتحسس وجهها بقلق، ليجدها تتصبب عرقًا، أخرج يده التي كانت تحاوط خصرها بهدوء ليزيح خصلات شعرها التي تناثرت على وجهها والتصقت به بسبب التعرق، هزها برفق وهو يناديها بصوت رقيق حتى لا تستيقظ فزعه، لكن توقف «هرماس» عن مناداتها وهو يتأمل وجهها الأبيض الصافي ليمر بسبابته على أنفها المدبب الرقيق، فينتقل بعدها سريعًا إلى وجنتيها اللتين أصبحتا ورديتين بفعل الحرارة الزائدة من اقترابه منها، ارتعشت يده عندما وصل لشفتيها الحمراء القانية وكأنها تضع عليهما أحمر شفاه فاقع اللون! ثم أبعد سبابته عندما فتحت عينيها لترفع رأسها وهي تردد بوهن:

- ماذا تفعل هرماس؟

هز رأسه وهو يبتلع ريقه بتأثر:

- كنتِ ترين حلمًا مزعجًا إلينا، أليس كذلك؟

اعتدلت جالسة ثم عادت برأسها للخلف وهي تمرر أصابعها بخصلات شعرها وتغمض عينيها قائلة:

- لم يكن حلمًا هرماس، بل رؤى وأظنها حقيقية!

لم تشعر أن دموعها انسابت على وجنتيها، فاقترب منها «هرماس» وهو يمسح دموعها برفق من على وجنتيها ويردد بفزع:

- لماذا تبكين إلينا؟

بدأت تشهق بصوت مرتفع، مما جعل «هرماس» يقترب أكثر منها ليحتضنها بشدة على صدره ويمسد خصلاتها برقة، ثم قال بصوت متحشرج:

- ششش! اهدئي حبيبتي وقصي لي ما رأيت.

أبعدت رأسها عن صدره وهي تنظر لعينيه بلونهما الأزرق الهادئ، تحيطها

دائرة بلون العسل المصفى، لم ترَ مزيجًا هكذا من قبل، تنهدت براحة عندما شعرت فورًا بالأمان حين رأت انعكاس وجهها بعمق عينيه، وكأنها مرآة ترى فيها ملامحها كأجمل فتاة في الكون.

ابتسم «هرماس» برقة أسد يعشق لبؤته المجنونة، ليقول بسحر يأسرها:

- أنا أيضًا لم أرَ يومًا امرأة بجمال عينيك!

لم تعد تتعجب من فهمه الشديد لها وكأنه يقرأ ما يدور بعقلها، بل راق لها الأمر وشعرت لأول مرة أنها جزء هام وأساسي ومميز في حياة أحدهم.

وضع «هرماس» كفه على وجنتها ليقرب وجهه منها قائلًا:

- لا تخافي إلينا، لن يحدث لنا مكروه.

أجابته وقد تجمعت الدموع بعينيها مرة أخرى:

- لقد شاهدت موتنا جميعًا هرماس!

لتُكمل بصوت يؤلمه:

- اكتشفت الليلة أنني لا أرى المستقبل فحسب، بل أرى قدرنا، وقدرنا هو الموت!

لم يتحمل «هرماس» رؤيتها تتألم لهذا الحد، لتتعلق عيناه بشفتيها المرتعشتين فيلتهِمهما بنهم.

شهقت «إلينا» من ردة فعله، ولكنها للحظة شعرت بقلبها يهدر داخلها يحثها أن تتذوق طعم الأمان بشفتيه، فابتعد عنها بهدوء ظاهري بعدما شعر أنه يحتاج منها المزيد ليروي ظمأه.

تنحنح «هرماس» يحاول أن يخرج صوته وهو يرى شفتيها داميتين بفعل قبلته الجائعة فلم ينجح الأمر، فتكلم «هرماس» أخيرًا بصوت يحمل في طياته مزيجًا من الحنان والقوة:

- نحن من نصنع قدرنا حبيبتي.

ليُمسِك بكفيها بين يديه وهو يكمل:

- سنعبر هذه المحنة عن قريب وبعدها سنتزوج.

شهقت «إلينا» وهي تضع يدها على فمها، ليبتسم «هرماس» وهو يغمز لها قائلًا:

- مؤكد بعد موافقتك.

انحدرت دمعة تأثر على وجنتها وهي تهز رأسها إيجابًا، ليلتفت الاثنان نحو فتحة الخيمة المغلقة على صوت «ساڤانا» تنادي الجميع.

*****

وقبلها في خيمة «توراك»..

توليه ظهرها ليضع هو يده تحت عنقها ويده الأخرى تحاوط خصرها، قرَّب وجهه من رقبتها ليضم «توراك» حاجبيه وهو يأخذ نفسًا عميقًا فتداعب رائحة جسدها أنفه بقوة، فتح عينيه ببطء وهو يبتسم ابتسامته المسلية على طريقة نومها الغريبة التي تشبه الجنين!

اقترب من مؤخرة عنقها يستنشق رائحتها مرة أخرى بتعجب، لها رائحة مميزة وخطيرة! ليردد جملته بهمس فيتفاجأ بها تلتفت برأسها سريعًا وهي تقول:

- جبال الإنديز!

ضم «توراك» حاجبيه ليبتعد قليلًا عن وجهها، فتكمل «ساڤانا» وهي تنظر لعينيه بتيه:

- حضارة الأنكا!

خلل بأصابعه خصلات شعرها القصيرة وهو يقول:

- اهدئي ساڤانا، أنا لا أفهم شيئًا.

أغمضت عينيها بقوة لتفتحهما سريعًا وهي تردد:

- ماسكايباشا!

اعتدل «توراك» جالسًا وهو يمسك ذراعيها برفقٍ يجعلها تعتدل في مواجهته، ليحتضن وجهها بكفيه قائلًا:

- التقطي عدة أنفاس بهدوء ساڤانا.

فعلت ما أمره بها على الفور ليشجعها:

- أحسنتِ قطتي.

توقفت «ساڤانا» وهي تقول:

- هرمٌ كبيرٌ وضخم، له عدة درجات، مصمم بأحجار كبيرة جدًا لا يوجد بينها فراغات، لن نستطيع مهما حاولنا اختراقه، مستحيل!

أكملت وهي تصف ما تراه تحت نظرات «توراك» الذي ينتبه بشدة ليحفظ كل حرف من سردها:

- لكننا لو نزلنا لأسفل ونظرنا لأعلى سنجد حجرًا في قمة الهرم يوجد به فتحة صغيرة جدًا، وفوق قمتها جزء مخفي به حجرٌ صغيرٌ يحتوي على جزء من الماسكايباشا.

لتفزع «ساڤانا» وهي تجحظ عينيها قائلة بأنفاس لاهثة:

- لم يخرج منها أحد حي!

أزاح يديه من على وجهها ليحتضن كفها بيديه مطمئنًا إياها وقال:

- لا تفزعي قطتي، اهدئي قليلًا حتى أفهم رؤياكِ وما تقصديه!

تحجرت عيناها لتتلألأ بدموع حاولت جاهدة ألا تسقط وهي تقول:

- لن ننجو توراك، أعلم هذا جيدًا!

اقترب بوجهه منها وهو يقول:

- انظري إليَّ ساڤانا.

لم تستجِب له فأعاد عليها:

- هيا قطتي انظري إلي.

أطاعته هذه المرة وهي توجه نظرها إليه، وقبل أن يتكلم ألجمته بقولها:

- قبِّلني توراك!

فغر فاهه ليجزم بعدها أن «ساڤانا» ما زالت نائمة وتهذي! فكررت جملتها، ولكن هذه المرة برجاء قائلة:

- أرجوك!

لم ينتظر لحظة أخرى بعد هذا الرجاء المميت لحواسه، ليقترب منها بهدوء يقبلها بكل رقة حتى ذابت بين شفتيهٍ بنعومة شديدة، أنهى قبلته الرقيقة ليعود لمشاكستها وهو يغمز بعينه قائلًا:

- هل تريدين المزيد؟!

ابتسمت «ساڤانا» وهي تحرك رأسها بمعنى لا فائدة، لتقول بعدها بجدية:

- عندما كنت أصاب بنوبة ذعر وخوف، كان أبي يحتضني وأمي تقبلني لأشعر بعدها بالأمان.

تذكر «توراك» عندما رآها أول مرة، عرف على الفور أنها القطة المنشودة لقوة نظراتها وسرعة بديهتها، ولكنه لم يكتشف إلَّا الآن أنها ضعيفة وهشة لهذه الدرجة! قطع أفكاره نحوها ليعود سريعًا لوقاحته وهو يهمس قائلًا:

- أتريدين شيئًا آخر يبدد خوفك نهائيًّا؟!

ضربته بقبضتها بقوة على صدره العاري وهي تعتدل واقفة، ليتأوه «توراك» بألم وهو يردد:

- قاسيةٌ أنتِ!

كادت أن تخرج من الخيمة لتنادي على البقية، فأوقفها «توراك» قائلًا:

- انتظري ساڤانا.

امتثلت لأمره فوقف أمامها قائلًاك

- أخبرني أبي عن سلاح مكتمل بعد إطلاقه يجدد الطاقة الحامية على غلافنا الجوي، فمهمتكم هي إيجاد السلاح وتشغيله، ومهمتنا هي الإتيان به، أنتِ الآن تتحدثين عن جزءٍ واحد!

أجابته «ساڤانا» بعملية:

- آخر سلالة من القطط والحماة قرروا تقسيم السلاح لثلاثة أجزاء، وخبأوا كل جزء في مكان مختلف حتى لا يعرف الوحش بمكانه، بعد حادثة مأساوية حدثًت لهم آخر مرة، حين كاد الوحش أن يفتك بالسلاح، لولا تصدي الحامي له بكل ما أوتي من قوة حتى أطلقت القطة السلاح وتخلصوا من تهديده، بعدها لم تجازف جدتي بوجود السلاح في مكان واحد، بل قسمته لثلاثة أجزاء كما قسمت السلاسل أيضًا.

أمسك بيدها يجرها خلفه لتجلس بجواره على الأرض ليفتح حاسوبه سريعًا وهو يقول:

- لقد قلتِ جبال الإنديز وشعوب الأنكا، صحيح؟!

ضمت حاجبيها بتعجب قائلة:

- ذاكرتكَ مذهلة!

أجابها وهو يفتح محرك البحث ليكتب: «جبال الإنديز وشعوب الأنكا»، ثم قال:

- ستفاجئكِ ذاكرتي كثيرًا.

ضيقت عينيها وهي تراه يقرأ بتركيز تام، وفي ثوانٍ معدودات لم تستطع فيها قراءة سطرين من المعلومات المهولة التي ظهرت لهما، وجدته أغلق الحاسوب قائلًا:

- حسنًا، لقد حفظت كل شيء، أحضري البقية حتى أجمع أشياءنا.

لم تتحرك «ساڤانا» وهي تقف بتعجب، هل حفظ كل هذه المعلومات في هذه الثواني!

انتفض جسدها وهو يصيح بها:

- هيا ساڤانا، لا وقت لدينا لوقفتكِ هذه!

ثم غمز لها وهو يكمل:

- ألا تريدين أن أطمئنك مرة أخرى؟!

التفتت بحدة تضرب الأرض بقدميها وهي تتمتم: «أستحق أكثر من هذا على غبائي وأنا أطلب من هذا الوقح أن يُقبِّلني!»، لتبدأ بترديد أسمائهم بغيظ شديد، حتى وصلت نداءاتها حد الصراخ، متلاهية عن «توراك»، والذي توقف عن لملمة أشيائه ليجلس ممددًا على الأرض لا يستطيع التقاط أنفاسه من هستيريا الضحك التي أصابته وهو يسمعها تصرخ هكذا من الغيظ.

خرجت «إلينا» بفزع يتبعها «هرماس» المتعجب، لتتكلم «إلينا» بهدوء وهي تقترب نحو «ساڤانا» التي ما زالت تنادي على «شويكار» بعلو صوتها:

- ما بكِ ساڤانا تصيحين هكذا؟! اهدئي قليلًا!

أوقفت نداءها لتزفر بضيق قائلة:

- يجب أن نتحرك حالًا!

أبعد «هرماس» «إلينا» قليلًا من أمامه ليقف بجوارها قائلًا:

- ماذا حدث؟

أجابه «توراك» وهو يحمل حقيبته ليقترب منهم بخطوات واسعة، وهو لم يتخلص بعد من هستيرية الضحك التي أصابته:

- أين آجن وشويكار؟

بحثوا بأعينهم يمينًا ويسارًا ليرددوا جميعهم:

- لا أعلم!

وقبل أن يتفرقوا للبحث عنهم بذعر، كان «آجن» أمامهم وهو يمسك بيد «شويكار» قائلًا:

- نحن هنا، ماذا حدث؟

توقف الجميع عن البحث ليتكلم «هرماس» ببعض الحدة:

- أين كنتما؟! كان يجب عليكما المراقبة.

أجابته «شويكار» بهدوء:

- كنا نراقب هرماس، لا تخف، إن آجن كان يدربني فقط حتى أستطيع تطويع رؤياي.

تكلم «توراك» سريعًا وبجدية هذه المرة:

- يجب علينا الانتقال حالًا لجبال الإنديز.

نظر بعضهم لبعض لتتكلم «إلينا»:

- لمَ جبال الإنديز تحديدًا؟

فأشار لهم «توراك» نحو إحدى الخيمات قائلًا:

- هيا بنا نجلس لأشرح لكم الأمر.

تبعه الجميع نحو الخيمة ليجلس كل حامٍ بجواره قطته، ثم بدأ «توراك»:

- لقد اكتشفنا أن رؤى ساڤانا تخص الماضي.

تدخل «آجن» سريعًا:

- لقد اكتشفت الأمر أنا أيضًا، ليُكمل والجميع منتبه له:

- إلينا ترى ما سيحدث في المستقبل، وشويكار ترى وتسمع ما يحدث في حاضرنا، وساڤانا تخبرنا بما حدث في الماضي.

أضاف «هرماس»:

- وقدرتهم القوية على الشفاء.

أكمل «توراك» قائلًا:

- لقد رأت ساڤانا مكان أول جزء من السلاح.

أوقفته «شويكار» قائلة:

- أي سلاح؟

أجابها «آجن»:

- السلاح الذي يحمي كوكبنا من الوحش.

فعلق «هرماس»:

- أي جزء توراك؟! أخبرني جدي أن السلاح جزء واحد!

زفر «توراك» بضيق قائلًا:

- لو استمعتم إليَّ قليلًا ستفهمون كل شيء.

رفع «هرماس» يده باستسلام قائلًا:

- حسنًا، لن نقاطع مرة أخرى.

تنهد «توراك» قائلًا:

- لقد رأت ساڤانا جدنا وجدتنا يقسمان السلاح لثلاثة أجزاء ويضعان أول جزء بجبال الإنديز، وقتها من كان يسكن هذه الجبال هم شعوب الأنكا، والتي عُرفت فيما بعد بحضارة الأنكا...

قاطعته «إلينا»:

- لقد سمعت بهم من قبل ودرست حضارتهم.

نظرت لها «ساڤانا» بفرح قائلة:

- مؤكد سنحتاجكِ هناك إلينا.

أكمل «توراك» بتركيز قائلًا:

- هي إمبراطورية قديمة بنتها شعوب من الهنود الحمر في منطقة أمريكا الجنوبية، كانت أكبر الإمبراطوريات في أمريكا الجنوبية في العصور القديمة، وتشمل أرض الأنكا بوليفيا والبيرو والإكوادور وجزءًا من تشيلي والأرجنتين، وقاموا ببناء عاصمتهم كسكو وهي مدينة مترفة ومليئة بالمعابد والقصور، وتقع على ارتِفاع إحدى عشر ألف قدم فوق مستوى سطح البحر في جبال الإنديز، وقد أُطلِق عليها اسم مدينة الشَّمس المقدسة، هذه كل المعلومات التي لدي عن شعوب الأنكا.

فغرت «ساڤانا» فاهها بذهول وهي لا تصدق أنه حفظ كل هذه المعلومات في اللحظات القليلة التي فتح فيها حاسوبه!

نظر «توراك» لـ«ساڤانا» قائلًا:

- أغلقي فمك ساڤانا، ستكونين عرضة للحشرات.

لكزته بغيظٍ ليتدخل «آجن» قائلًا:

- أكمل توراك، أين جزء السلاح بالتحديد؟

تدخل «هرماس»:

- أنتَ تتحدثُ عن حضارة من آلاف السنين، هل هناك أثر لها إلى الآن؟

فأجابه «توراك»:

- نعم هرماس، لقد بنى الأنكا هرمًا مدرَّجًا واحتفظوا بوجوده حتى الآن.

انبهرت «ساڤانا» و«شويكار» بكم المعلومات القيمة التي يتحدث بها «توراك».

- هذا غريب جدًا! كيف استطاعوا بناء هرمٍ توراك؟ وهل هو موجود إلى الآن؟

قالتها «شويكار» بتعجب، فأجابتها «إلينا» بعملية:

- عُرف الأنكا بهندسة مقاييس دقيقة تجلَّت في وجود نحاتين، قلما عرفت الحضارات القديمة مثلهم، لأنهم ببساطة لم يُتح لهم الأخذ من أي من الحضارات في منطقتهم، مما أوجد الأساطير والخرافات عن كيفية نقل ونحت الصخور بتلك الدقة، وكأنهم استعانوا بسكان كواكب أخرى، فبنوا معابد الشمس (الواكاس)، والكباري المعلقة (الشاكا) بٍين ممرات الجبال الشاهقة ومجاري الأنهار الجبلية الهادرة، مستخدمين حبالًا منسوجة ومدعمة بالمعادن على سقالات خشبية ضخمة، وأنا أعتقد كما قال المؤرخون إنهم استعانوا بإحدى الكائنات الفضائية.

تكلم «آجن» وهو يضم حاجبيه:

- وما ماهية هذا السلاح توراك؟

فأجابه «توراك» وهو يخلل أصابعه في شعره بتركيز تام:

- كان من طقوس ظهور الملك أنه يحمل صولجانًا ذهبيًّا ذا ثلاثة صقور، ويرتدي قناعًا ذهبيًا على شاكلة شمس يسمى (ماسكايباشا)، ويتدلى منه حبل ذهبي مجدول يسمى «لولايتو»، لَقد رأت ساڤانا جزءًا من القناع الذي يسمى ماسكايباشا وأخبرتني أنه هو السلاح.

وقف «هرماس» قائلًا:

- إذًا فلننطلق سريعًا قبل غروب الشمس، لم يعد لدينا وقت كثير.

اعتدل الجميع مستعدين للتحرك، لتقف «إلينا» تمسك بيد «هرماس» قائلة:

- يوجد وحش هناك سيؤذينا!

وجه «آجن» نظراته لـ«شويكار» قائلًا:

- حاولي تفقد الوضع هناك شويكار وصفيه لنا.

تنفست «شويكار» عدة أنفاس سريعة لتغمض عينيها قائلة:

- إلينا معها حق، يوجد وحش حامٍ ينام في غرفة سرية أعلى الهرم.

اقتربت «ساڤانا» من «توراك» تتشبث بيده وهي تقول:

- جزء القناع في غرفة علوية في آخر نقطة أعلى الهرم، وهناك ثقب ضيق لن يستطيع أحد اختراقه.

لوت «شويكار» شفتيها بحزن:

- لن يستطع أحد الدخول، الوحش خطير جدًا.

لتخبرهم «إلينا» بنفس الخوف:

- لقد رأيتكَ توراك مصابًا بشدة!

تأفف «هرماس» بغضب قائلًا:

- حسنًا، فلنجلس مرتعبين هنا ولا نتحرك إلى أن يأتي الوحش ويتخلص من كوكبنا في طرفة عين.

ليبدأ بالصراخ بهم وهو يخبط كفيه:

- هذا قدرنا ويجب علينا المحاربة حتى لو متنا ونحن ننفذه.

تحدث «توراك» بهدوء:

- اهدأ قليلا هرماس! الفتيات مذعورات من الرؤى فهي جديدة عليهم ولم يختبروها هكذا من قبل.

كادت أن تتكلم «شويكار» فأوقفها «آجن» بسبابته وهو يقول:

- هيا بنا، سنذهب إلى هناك ومؤكد سنجد حلًّا.

أوقفهم «توراك» قائلًا:

- انتظروا قليلًا.

انتبه له الجميع ليتكلم «توراك» وهو يمسك بساعة يده يحرك مفاتيحها:

- أريد منكم أن تضبطوا ساعاتكم من الآن على آخر دقيقة في المهلة المكلفة لنا، وهي سبعة وتسعون ساعة وخمس عشرة دقيقة وثلاثون ثانية.

فعل الجميع ما أمرهم به «توراك»، لينطلقوا بعدها كل قطة مع حاميها بعد تحولهم نحو جبال الإنديز. وصل «توراك» و«ساڤانا» أولًا، ليبدأ «توراك» بتفقد المكان جيدًا تتبعه «ساڤانا» التي تحفظه من رؤاها، وأشارت له نحو باب خلفي مطمور تحت الصخور قائلة:

- هنا توراك، الدخول من هنا.

وصلت «إلينا» و«هرماس» يتبعهما «آجن» و«شويكار»، لتقترب «إلينا» من المعبد خلفها «هرماس» متسائلًا:

- عماذا تبحثين إلينا؟

أجابته وهي تمشط الأحجار بعينيها:

- أبحث عن مدخل.

تقدمتهم «شويكار» تاركة «آجن» خلفها يدور في المكان بترقب، لتقترب

من الأحجار بحذر تتحسسها برفق وهي تُزيح الغبار من عليها، لتقف وهي تنادي الجميع قائلة:

- تعالوا وانظروا هنا، نقوش غريبة على هذا الحجر بالتحديد.

اقتربت «إلينا» من النقوش تحاول تهجئة حروفها ولكنها فشلت، حيث أنها لم ترَ مثل هذه اللغة من قبل، ووقفت «شويكار» خلف «إلينا» قائلة:

- مؤكد هذه لغة شعوب الأنكا ونحن لا نفقهها.

أشارت لها «إلينا» رفضًا قائلة:

- اللغة الرسمية لشعوب الأنكا سُميت (روناسيمي)، وهي لم تُكتَب إلى الآن بل تمَّ توارثها شفاهية.

اقترب «توراك» من «ساڤانا» قائلًا:

- هل تستطيعين العودة لترَي كيف لنا أن ندخل هذه الغرفة؟

أجابته «ساڤانا» بتوتر:

- لا أستطيع توراك، لم أتدرب مثل إلينا وشويكار.

أمسك بكفيها محاولًا طمأنتها وقال:

- خذي عدة أنفاس كما تفعلان وحاولي التركيز.

أغمضت عينيها بقوة لتعلوا دقات قلبها وهي تشعر أن أحدًا ما أخذها من مكانها الحالي عائدًا بها نحو زمن سحيق، أبحرت «ساڤانا» للماضي لتنفصل تمامًا عن حاضرها وهي تدور حول نفسها بغرابة، كاد «توراك» أن يهزها فأوقفه «هرماس» وهو يهمس له:

- انتظر قليلًا توراك.

تركت «ساڤانا» يد «توراك» التي تمسك بها وتقدمت نحو باب المعبد تضع

يدها على النقوش التي وجدتها «إلينا» قبل قليلًا، وأخذت تردد بلغة غريبة جدًا لم يسمعها أحدٌ منهم من قبل، قائلة:

«أفسحي لي يا أحجار طريقًا كي أنال المنال

وتفككي وأطلقي العنان لتراصُّكِ ليُفتَح لي المجال!»

انتفض الجميع عندما أصدرتِ الأحجار صوت صرير مزعج، لينطلق «تورِاك» مسرعًا نحو «ساڤانا» ممسكًا بخصرها يُبعِدها عن مصدر الضوضاء قائلًا:

- أحسنتِ قطتي.

فتحت عينيها ببطء لتسعل بشدة من الأتربة الناتجة عن فتح باب معبد لم يقترب منه إنسانٌ منذ آلاف السنوات، وشهقت «شويكار» وهم يدلفونَ للداخل وهي ترى شكل الأحجار المتراصة مرسوم عليها زخرفة تحوي أشكالًا لحيوانات وطيور عجيبة برسومات تخطف الأنفاس، لتتوقف «ساڤانا» مشيرة إلى الأعلى قائلة:

- هناك!

نظر الجميع حيث أشارت «ساڤانا»، ليقترب «هرماس» من أول درجة يحاول الصعود، فأمسكت «إلينا» يده بقوة تمنعه من الحركة لتقول بعدها بذعر:

- الأمر يتكرر هرماس! توقف أرجوك!

التفت «هرماس» إليها مبتسمًا وهو يقول:

- اهدئي إلينا، لن يحدث لنا مكروه.

صرخت به بغضب:

- قلت لك الأمر يتكرر، أتريد لي أن أقصَّ عليكم ما سيحدث بعد قليل؟!

أحاط «هرماس» بكفها قائلًا:

- اهدئي إلينا!

ليتدخل «آجن»:

- أخبرينا برؤيتك إلينا!

ابتلعت ريقها لتبدأ بسرد رؤيتها:

- كنت أقف في مكاني هذا، حاول هرماس أن يصعد لأعلى فكاد أن ينزلق، خلع خاتمه وتحول لوزغٍ كبير الحجم، وتبعه توراك ليدخل الاثنان للغرفة التي أشارت لها ساڤانا.

أخرجت «إلينا» عدة أنفاس متوترة لتُكمِل بعدها:

- سمعنا أصوات اشتباكهم مع وحشٍ صوته مفزع جدًا، وآخر ما سمعته هو صراخ توراك بأن هرماسٍ أصيب إصابةً بالغة وهو أيضًا أصيب بشدة، وعلينا الخروج من المعبد حالًا لاقتراب الوحش منا.

أمسكت «ساڤانا» بيد «توراك» تتشبث به كما فعلت «إلينا» التي نظرت لـ«هرماس» قائلة:

- لن تصعد هرماس صدقني.

أغمض عينيه ليحاوط وجهها قائلًا:

- قلتها لكِ من قبل إلينا، نحن من نصنع مستقبلنا، أعدكِ لن يحدث لي مكروه.

هزت رأسها نفيًا لتتكلم «شويكار» بقلق:

- مؤكد هناك شيء تركه لنا الأجداد لنتخطى هذا الوحش!

أغمضت «ساڤانا» عينيها لتستطيع رؤية ما حدث من قبل، لتحاول البحث عن مدخلٍ آمن يستطيعون به تجاوز هذا الحامي، حاول «توراك» أن ينزع يده من يدٍ «ساڤانا» التي تتشبث به فلم يفلح الأمر، فأمرها بهدوء:

- اتركيني ساڤانا لم يعد لدينا وقت.

فتحت عينيها سريعًا قائلة:

- خذني معك.

وقبل أن يعترض أكملت:

- أعرف طريقة ستجعله يتركنا لنأخذ السلاح، كما أنكَ لن تستطيع عبور الفتحة الضيقة.

تأفف «توراك» قائلًا:

- سأعبر الفتحة كطائر طنان، وهو أصغر الطيور في العالم، أخبريني كيف آخذك معي؟!

أجابته:

- لن تستطيع أخذ السلاح بدون ڤينون يا توراك، أنا أعرف تعويذة كالتي ألقيتها على باب المدخل.

اقترب «آجن» نحوهم بحماس قائلًا:

- عندي فكرة!

انتبه الجميع له، فأكمل «آجن»:

- تستطيع التحول لطائر ضخم توراك، وتأخذ ساڤانا على ظهرك لتواجه هي الفتحة الصغيرة وتلقي هي تعويذتها، وتتركها تنزل لأسفل وتتحول أنتَ لطنان فتأتي بالسلاح وتخرج سريعًا.

شجع «هرماس» الفكرة كما فعلت «إلينا» و«شويكار»، لينفذ «توراك» فكرة «آجن» سريعًا ويتحول بعدها لتنين ضخم بالكاد تسعه الغرفة، واعتلت «ساڤانا» ظهره ليرفرف بجناحيه لأعلى يحاول توجيه «ساڤانا» نحو الفتحة الصغيرة، بدأت بعدها بإلقاء الكلمات بنفس اللغة الغريبة التي حفظتها من

الرؤى.

«أنا المكلفةُ ومعيَ الحامي المختار

ليسَ لكَ عليَّ جاهٌ ولا سلطان

تنحَّى جانبًا وابتعد عن مناي

اغرَق بفكركَ ودَعكَ مني آخذ مبتغاي!»

نزل «توراك» بسرعة شديدة عندما سمع صوتًا لكائن ضخم يتحرك باتجاه شمال الهرم، تحركه جعل بعض الأحجار الصغيرة تسقط على رؤوسهم، ليتوجه كل حامٍ نحو قطته محاولين الاختباء في مكانٍ آمن.

ثم وضع «توراك» إحدى أجنحته فوق رأس «ساڤانا» حتى لا يطولها أي أذى، ليتكلم بعدها بلغتهم الخاصة قائلًا:

- احتمي معهم، سأتحول الآن وأذهب لأجلب السلاح.

أطاعته مرغمة وهي تشعر بقلبها ينقبض بشدة وبخوف من أن يصيبه مكروه، وقف الجميع في حالة تأهب قصوى ينتظرون رجوع «توراك» ومعه جزء من الماسكايباشا.

دقائق معدودات مرت ليخرج «توراك» من الفتحة التي دخل منها يحمله برجليه الهزيلتين، فاختل توازنه ليترك جزء القناع يقع على الأرض، وقبل أن يسقط التقفه «هرماس» بحركة سريعة. هبط «توراك» يخلع خاتمه ليتحول مرة أخرى لهيئته ويتنفس الصعداء، ليتفاجأ بـ«ساڤانا» ترتمي في أحضانه وهي تهمس له:

- كدت أموتُ رعبًا عليك!

وقبل أن يذهلها بوقاحته، سأل «آجن»:

- ما كان ذلك الوحش توراك؟!

أجابه وهو يزيح يد «ساڤانا» من على عنقه:

- إنه وحش بجسد حصان ورأسه رأس نعامة، يُخرج من فمه مادة لزجة، أعتقد أنها تحرق الجسد حيًّا.

تكلمت «إلينا» وما زال الرعب يسيطر على صوتها:

- هيا نخرج من هنا أرجوكم، ما زلت أشعر بالسوء.

توقف «هرماس» أمامها وهو يرفع حاجبه بتسلية قائلًا:

- لا تقصي علينا رؤياكِ بعد ذلك إلينا، فمن الواضح أنها عن مستقبل أشخاص غيرنا!

ضحك الجميع بينما رفع «توراك» معصمه ينظر لساعته قائلًا:

- باقي من الزمن خمس وتسعون ساعة وأربع عشرة دقيقة وسبع ثوانٍ.

شهقت «شويكار» بفزع عند سماع صوت الوحش يصيح بشدة، لتتساقط بعدها عدة أحجار متوسطة الحجم، ابتعد الجميع عن منتصف الهرم ليقف كل حام بركن يحتمي به هو وقطته، ليتفاجأ الجميع بسقوط سائلٍ أزرق من سقف الغرفة السرية يمشي بمحاذاة باب الخروج، ليستقر ساقطًا على الأرض فيأكل الأحجار الصخرية الضخمة كما تأكل النار الهشيم!

التفتت «إلينا» نحو «هرماس» المصدوم من رؤية ما يحدث، لتقول له بثبات:

- أخبرتكَ أننا لن ننجو منها!

*****

الفصل الخامس عشر

تعالت أصوات الصراخ من ذلك الذي تأذى بحجارة، وتلك التي ارتعبت من صوت الوحش، إلا أن صرخة دوت برعب! فالتفتت «ساڤانا» لـ«توراك» الذي احتضنها مُبعدًا إياها عن ذلك السائل اللزج الذي انحدر من الغرفة السرية وسقط على الأرضية ليذيب بطريق مجراه كل شيءٍ تلامس به، حتى...

- أوه!

شهقت «ساڤانا» لما رأته، لقد تأذى جلد «توراك» من ناحية يده اليسرى بفعل ذلك السائل اللعين، وفي صخب اللحظة والأصوات، وبينما «توراك» يصرخ متألمًا، أخذت «ساڤانا» تنادي البقية بصوت مستنجد، لكن لا فائدة، لن يستطيعوا الخروج من زواياهم التي اتخذوها مأمنًا من تلك الحجارة المتساقطة.

التصقت «إلينا» بـ«هرماس» مغلقةً عينيها تهتف بصوتٍ عالٍ:

- ألم أقل لكَ يا هرماس لن ننجو؟! لقد رأيتُ هذا!

أجابها بهتاف:

- اهدئي إلينا ولا تجزعي، سنخرج من هنا أحياء، أعدكِ بهذا!

وبينما هو واقفٌ يتكئ على الجدار يحمي «إلينا» الملتصقة به، ارتخى الجدار وانفتحت الحجارة من ورائهما ليظهر لهما سلم من الحجارة يتجه إلى الأسفل، تعجبت «إلينا» وأخذت تسأل:

- كيف انفتح؟! يا إلهي!

نادى «هرماس» بصوته الجهوري:

- آجن! توراك! لقد وجدت منفذًا، حاولوا الوصول إلى هنا.

وبينما هو يناديهم، سكن الصوت وتوقفت الحجارة المتساقطة من أعلى الهرم، فتقدم «آجن» ليُرجع «شويكار» إلى الخلف وهو يمشي برويَّة إلى الأمام متحذرًا من ذلك السائل لئلا يسقط عليهم، مشى خطوتين وعينيه لم تبرحا المكان الذي ظهر منه الوحش، والذي تبين أن سلاحه هذا السائل اللزج، ثم أمسك بكف «شويكار» التي تنتفض رعبًا، وكان صوت «توراك» المتألم وحده يصدح بالمكان.

جذبها من كفها وأخذ يمشي بخطوات بطيئة متجهًا صوب «هرماس» و«إلينا»، ووصلا لهما بشق الأنفس، ليقفوا جميعًا ينادون على «توراك» و«ساڤانا»، لتجيبهم الأخيرة وقلقها يتزايد بشكل هستيري أن «توراك» أُصيب إصابة بالغة ويجب عليها أن تحاول إشفاءه أولًا.

وفي تلك الأثناء، كان «توراك» يتألم وجبينه يتصبب عرقًا وجسده ينتفض مرتجفًا، فيده التي نال منها ذلك السائل قد تأذت بالجروح كثيرًا، أما «ساڤانا» قلبها تفطَّر ألمًا على تألمه، فأخذت تمسد الجرح بيدها بغية التئامه وشفائه، لكنه لم يمتثل لها، كان «توراك» يراقبها بجزع، فقال لها من بين آلامه:

- ركزي حبيبتي قبل أن تبدئي.

مسحت دمعات فرت من مقلتيها برعب، ثم أغمضت عينيها تعيد الكرة، الجرح يتسع وكأن السائل هذا ينتشر في الجسد بسرعة رهيبة! لم يستجِب الجرح بسبب خوفها وتوترها الشديد، فهمس لها بنفسٍ متقطع:

- اقتربي ساڤانا.

حدجته بنظرة عدم فهم، ثم قالت له من بين شهقاتها ودموعها:

- لمَ؟ اصبر توراك، سأعيد الكرة علها تفلح.

فجذبها «توراك» واحتضنها بجزئه السليم ليبث بها هدوءًا وسكينةً لا يعلم من أين آتى بهما!

هدأ تنفسها الهادر واستقرت نبضاتها رغم ما ظهر على ملامح «توراك» من ألم، وقال لها:

- والآن أعيدي الكرة.

أومأت بإيجابية، ثم رفعت يدها ببطء توجهها ناحية يده اليسرى فأخذت تمسدها بحنانٍ مغمضةً عينيها لا تفكرً سوى بشفائه، ما هي إلا ثوانٍ وظهَر الوميض الأزرقً يتوهج على ساعد «توراك» المصاب ممتدًّا إلى كتفه وعضده وجزء من صدره، حتى التأم جرحه وبرأ بعدما كاد أن يفقد حياته من هذا السائل العجيب!

أخذ «هرماس» ينزل الدرجات الأولى للسلم، وبحذر يتفحص المكان، الظلام وحده يلف المكان بأكمله إلا من تلك الفتحة الموجودة في الأعلى وينفذ منها ضوء السماء، إضافةً إلى رائحة الرطوبة ومزيج من روائح ثانية تدل على أن هذا الباب لم يُفتَح منذ زمن بعيد.

دخل «هرماس» أولًا ثم «إلينا» التي انعكس الضوء في عينيها، فأضاءت بوهج أزرق وصنعت لهم شعاعًا يُنير ما تحت أرجلهم، ليهتف «هرماس» متعجبًا:

- ما هذا؟!

ضحكت «إلينا» وقالت:

- خاصية عين الهرة، ألم تدرسها في حياتك؟!

ضحك «هرماس» وقال:

- بلى أيتها القطة اللامعة!

ثم هتف بالبقية لينزلوا من بعده، وبحذر شديد بدأ الجميع الامتثال له، كانت الدرجات تفترشها مادة لزجة خضراء إثر الرطوبة، فتمسكت كل فتاة بحاميها جيدًا.

التفت «هرماس» يمينًا ويسارًا ليرى الجدران الحجرية منقوش عليها رسومات غريبة توضح قوانين الحضارة ومعتقداتها، فهتف «توراك» بهم:

- لا تحاولوا لمس النقوش والحجارة حتى نفهم معانيها.

سأله «آجن» عن حالته فأخبره وهو يغمز لـ«ساڤانا»:

- أنا بخيرٍ تمامًا.

فتمتم الجميع بسلامته، لتتكلم «شويكار» بتمرد قائلة:

- وما الذي تعنيه هذه النقوش توراك؟ فهي مجرد جوامد، فما الذي سيحدث لو لامست يدي جدرانًا منقوشة منذ سنوات كثيرة مرت؟

لكزها «آجن» من مرفقها برفق قائلًا:

- احذري شويكار، لا نريد أن ندخل بمتاهة جديدة.

وبينما هم يمشون بتربص وحذر، سمعوا حركةً من ورائهم، وثوانٍ وازداد الصوت فالتفتوا ليروا مصدره، لتقول لهم «شويكار»:

- هذا صوت انغلاق الباب الذي دلفنا منه قبل قليل.

لتشهق الفتيات خوفًا بصوت واحد، فقال «هرماس» بحدة:

- لا تأبهوا لذلك، فهي مثلما انفتحت بغرابة بالتأكيد ستنغلق بنفس الطريقة.

دعونا نكمل هذا القبو المزعج ونخرج بسلام، أجابته «إلينا» بصوت يكاد يكون همسًا:

- لا أعرف، قلبي غير مطمئن يا هرماس!

ربت على كتفها بحنان وقال:

- لا بأس حبيبتي، سيزول وسنخرج بسلام.

ليلكزها برفق مبتسمًا ويردف:

- ونعلن خطبتنا!

رفعت رأسها بسرعة ترمقه بنظرةٍ ممزوجةٍ بالحب والخجل، قابلها هو بنظرة ملأت قلبها المعتِم بظلام الخوف بنور قنديل الأمان، فاطمأنت وابتسمت له ممتنة.

احتضن «توراك» يد «ساڤانا» التي كانت ترتعش خوفًا وبردًا، قائلًا لها بهمس في أذنها:

- أنا الوحيد من بينهم الذي يتمنى أن يطول طريق الخلاص من هذا القبو.

لكزته بمرفقها مبتسمة بخجل، ليتأوه مصطنعًا الألم.

وبين «هرماس» وشهامته و«تـوراك» وعشقه، تاهت «شويكار» بذلك الـ«آجن» الذي لم تعرف طريقه، حيرتها مشاعره، فهو تارةً يهيج كأمواج بحر بليلةٍ عاصفة، وتارةً أخرى يخمد ويهدأ ويصبح باردًا، كم هو محير هذا الـ«آجن»، وإذا بها تتنحنح قائلة علها تظهر عواصفه:

- إني خائفة! كيف سينتهي هذا الطريق الطويل؟!

اضطرب قلبه الهادئ ثم ببطءٍ شديد التفت برأسه ناحيتها، وبنفس الوتيرة أخذ يُلامس كفها ليحتضنه بكفه الخشن معتصرًا إياه بحركة يطمئنها، اقشعر بدنها لتلك الحركة التي صاحبت سرعةً بنبضها جعلتها تطمئن لمشاعره الهادئة، بالرغم من أنها كانت تنتظر ارتطام أمواجه، لكنها ارتضت بذلك المد والجذر الذي أنعش مشاعرها.

بعد ثوانٍ هتف «آجن» وكأنه خرج من عالمه الحالم مضطرًا:

- شويكار، لمَ لا تحاولين رؤية ما في نهاية هذا القبو؟

فأومأت بإيجابٍ قائلة:

- سأحاول.

نبَّه «آجن» الآخرين بأن يتوقفوا، لتنظر «شويكار» كيف سينتهي القبو

برؤيتها، توقف جميعهم يُحيطونها وهي تقف ومن خلفها «آجن» تتحضر للرؤية. أسبلت جفنيها لتغمضهما ببطء ثم زفرت متأهبة، ثم أحسَّت بدوار خفيف، وكالدوامة بدأ الدوار يزيد إلى أن استقر، وكالرياح مرت خلال القبو بسرعة إلى أن وصلت لنهايته المتمثلة بسلم، والذي ينتهي بحجارةٍ مرصوصةٍ جيدًا، لكن يظهر بعض الوميض من بين فتحاته الصغيرة.

وما هي إلا ثوانٍ وفتحت عينها وهي تخبرهم بما رأت، ضحك الجميع وضربوا كفوفهم بكفوف بعضهم تعبيرًا على نجاح مهمتهم بالخروج من ذلك المكان، مشى «هرماس» وخلفهم «توراك» مطمئنين بعدما كان القلق مسيطرًا عليهم.

خلا المكان وظل «آجن» يقف مقابلًا لـ«شويكار» التي التمعت عيناها بوهج خفيف انعكس على بشرتها لتبدو كنجمات تتوسط سماء الصيف، هتافً الآخرين بأسمائهما أوعزهم للتقدم لئلا يتوهًا، ثم ابتسم لها بحنان يزيح خصلةً متمردةً من على جبينها لتلألأ عيناها بذلك الوميض الساحر.

أغراه هذا المنظر، بدت كأنها ملاك، فقلب موازينه كلها حتى صار يتلعثم بكلامه قائلًا:

- اممم! هيا بنا نتبعهم حتى لا نضيع وحدنا.

ثم سكت برهةً ليُردف بعدها:

- لكن سحر عينيكِ سيوصلنا لبر الأمان.

رفع يديه يلامس وجنتيها المضيئتين بفعل ذلك الوهج، فابتسمت هي الأخرى لتطرق برأسها خجلًا، فجذبها من ذراعها برفق وأخذ يمشي معها متجهين للبقية.

*****

وفي خضم تلك الأمور، وهناك بعيدًا بين الأدغال في آثار مدينة (ماتشو بيتشو) التي تُلقَّب بالقلعة الضائعة، والتي كانت محاطةً بالغابات والأشجار الكثيفة وكأن أهلها تعمدوا إخفاءها وتكريسها لتكون مزارًا يُقدِّمون فيه

القرابين، كما ارتأى علماء الأثار حين وجودوا جماجمًا وهياكل عظمية تعود لنساء شابات، لأن شعوب الأنكا كانوا يعتقدون أن النساء هم بنات الشمس، لذلك كانوا يقدمونهن كقرابين لنيل رضى الآلهة!

كانت العجوز العرافة «ماتشي» تُحضِّر سحرًا لنيل غايتها، وهو قرص الشمس الذهبي، لتسترجعه لقريتها حتى تعيد لهم الأمجاد، ولكي يكون إله الشمس راضيًا عنهم، والذي سيدلهم على قرص الشمس يجب أن تُحضِر قبل السحر ثلاث فتياتٍ عذراواتٍ يتيمات حسب الأسطورة القديمة لكي تَقدمنهن قربانًا له.

نادت العجوز «ماتشي» على صبيانها لتأمرهم بما سيعملون، فقد أوشك الوقت على الاقتراب، شكلها كان مفزعًا من كثرة التجاعيدِ والحلي التي أحاطت بأذنيها الكبيرتين حسب عاداتهم، منحنية الظهر دليلًا على عمرها الكبير، مبسمها خالٍ من الأسنان، محاجر عينيها بارزين حد القبح ولها جديلتان تتدليان إلى خصرها بلون أبيض لامع.

قالت العجوز بلغة الأنكا (روناسيمي) وبصوتها المبحوح تأمر صبيانها، فصاح أحدهم والذي يدعى «ريكانشا»:

- نعم!

ثم أردفت تهتف على الآخر «تاهوكومي» فلم يُجِب، لتهتف بعدها:

- أين هو؟

أجابها «ريكانشا»:

- سيدتي سيحضر حالًا، لقد ذهب ليحضر العدة.

كانت تنظر بمرآة تضعها بجانبها مع عدتها للسحر من أحجار وأوراق نباتات غريبة وعظام حيوانات مختلطة مع عظام إنسان، وبجوارهم خنجر حاد، كلها موضوعة على قطعة قماش حريرية حمراء يتوسطها رسمة لقرص شمس كبير

له وجه.

وبعد دقائق حضر «تاهوكومي»، فبدأت تحرك يدها بانسيابية أمام المرآة وهي تقرأ تعويذة بلُغتهم، وما هي إلا ثوانٍ ثم ظهرت صورة ضبابية بالمرآة، وبينما هي مستمرة تُرتِّل تلك التعويذة، تدريجيًا اتضحت الصورة، فسأل «ريكانشا»:

- هل نذهب لشيخ القبيلة لنأخذ الفتيات الآن؟

فقالت لهما وهي تحمل المرآة بيدها:

- اسمعا، لقد غيرت الخطة، فالمرآة تخبرني بوجود ستة أشخاص في الهرم، وما أريد سوى نصفهم.

فهتف قائلًا بعد أن عرف أنها تقصد بنصفهم النساء:

- ما مواصفاتهن؟ هل هن سائحات أمريكيات؟

فلكزه «تاهوكومي» قويًّا بمرفقه، لترفع العجوز عينيها الفاقعتين تحدقه بنظرة مرعبة، ليزدرد ريقه ويتأسف، ثم أردفت:

- ستجلبونهن من غير ضجيج، ولا تمسُّوهن ولو بشعرة، أفهمتم؟! فسيكونن قرابين إله الشمس.

ثم ختمت جملتها بانحناءة نصف جسدهم إلى الأمام حركة منهم تعبيرًا لاحترامها، انتهت من كلامها معهما فأشارت لهما بيدها تأمرهما بالانطلاق.

*****

وعلى الجانب الآخر..

قال «هرماس» بنبرة فرحة:

- ها قد وصلنا إلى السلم، آجن! توراك! تعالا معي نزيل هذه الأحجار.

وبالفعل، تقدم الاثنان يساعدانه على إزاحة الحجارة ليخرجوا من هذا

المأزق، وهتفت «إلينا»:

- ما رأيكم أن أبصر برؤيا ما سيكون من مفاجآت بعد هذا الباب على المدى البعيد.

نهرها «هرماس» بصوت حاد:

- إياكِ ثم إياكِ إلينا، دعينا نخرج أولًا ولكل حادثٍ حديث.

أيَّده «توراك» قائلًاك

- لن نستفاد شيئًا إذا تنبأتِ الآن يا إلينا فنحن عالقون.

هزت «إلينا» رأسها بإيجابية قائلة:

- حسنًا، لن أفعل.

وقف الثلاثة شباب على صحن السلم يحاولون إزاحة الحجارة، وبعضلاتهم وأجسادهم الضخمة ظلوا يحاولون، هتفت «ساڤانا» قائلة:

- هل يمكنني إلقاء التعويذة عليه كالتي ألقيتها عند باب الغرفة السرية تلك؟

أجابها «توراك» قائلًا:

- قطتي هذا ليس بابًا، هذا سدٌّ من الحجارة مبني بحرفية تامة.

فقالت بتعنت:

- فلأجرب، لن أخسر شيئًا.

نزل الدرجات متقربًا منها يضم وجنتيها بكفيه العريضين وعروق ساعديه بارزة بفعل القوة التي بذلها ليزيح الصخور، تبادلتٍ «إلينا» و«شويكار» النظرات مع ابتسامة لمنظره المتصبب عرقًا وانهماكًا، ليتغزل بـ«ساڤانا» بوضعه هذا، ثم قال بنبرة حانية ورقيقة:

- اتركي عنكِ السفر إلى الماضي لأنه يرهقك، سنتدبر أمرنا!

احمرَّت «ساڤانا» خجلًا لتُطرِق بعينيها أرضًا وهي مبتسمة: ثم قالت بصوت خفيض:

- حسنًا توراك، كفاكَ لهوًا واذهب ساعد صديقيك.

قاطعها هتاف «آجن» بنبرة انتصار:

- لقد فتحنا الصخور.

عاد «توراك» إليهما سريعًا ليُزيلوا جزءًا من الصخور المبنية، وبهذا قد نجحوا بالخلاص.

خرج «هرماس» أولًا من بين أكوام الحجارة التي أوقعوها، ثم تبعه «آجن»، كان الوقت قد شارف على الغروب، والسماء تلبَّدت بالغيوم فأخفت أشعة الشمس التي على وشكِ المغادرة من بين أهدابها.

قال «آجن» موجهًا كلامه لـ«توراك» و«هرماس»:

- يجب أن نريح أبداننا، فاليوم كان مضنيًا، ما رأيكم؟

هتفت «إلينا» قائلة، هناك معبد اسمه معبد الشمس يقع على جانب الجبل، ثم تمتمت بخفوت وهي تنظر للهرم وتدور برأسها ذات اليمين وذات الشمال: «إذا كان الهرم هنا شمالًا فمدينة ماتشو بيتشو والقمة القديمة ستكونان هناك شرقًا»، ثم استطردت بصوتٍ عالٍ:

- إذًا المعبد هناك بجانب الجبل.

وأشارت بسبابتها إلى جهة الشرق أيضًا، قال «توراك» يثني على جهود «إلينا»:

- أوه! لدينا دليلٌ سياحي معنا، أحسنتِ عزيزتي، جميل!

وما إن رفع رأسه حتى تلقى نارًا من جانب «هرماس» الذي استشاط بنار الغيرة، فتلعثم بحروفه ثم احمرَّ وجهه ليقول متنحنحًا:

- آه! أقصد أنها تعرف بالأماكن السياحية وهذا أفادنا، اممم! احم.

ثم أخذ يلهو بقدمه يلعب بالتراب مطرقًا رأسه يشغل نفسه عن نيران نظرات «هرماس»، بينما «ساڤانا» تماسكت تمامًا ولم تبالِ ظاهريًا بما حدث!

وبعد ثوانٍ اتجه الجميع إلى المكان الذي شرحته لهم «إلينا»، كان المكان ساحرًا، معٍ تلك العتمة المكحلة بلونٍ ذهبي لخيوط الشمس المغادرة، وأشجار الكروم المنتشرة التي تبعث عبقًا مميزًا مع نفحات الغروب.

وصلوا إلى مكان المدينة القديمة (ماتشو بيتشو)، والتي تتوسط الجبلين، القمة القديمة والقمة الشابة، صدح صوت «إلينا» قائلة:

- أعتقد أن ذلك هو المعبد، لقد درست هذه الحضارة جيدًا وبالذات هذه المدينة ماتشو بيتشو، المدينة المفقودة ومعبد الشمس، لأنه كان يتم فيه تقديم القرابين لإله الشمس.

أكملت شرحها المسهب ليسألها «آجن»:

- ولماذا سميت بالمدينة المفقودة؟

أجابته بنبرة واثقة:

- لأنهم تعمدوا إخفاءها لاعتبارها مكانًا مقدسًا بالنسة لهم ويتم تقديم القرابين فيه، وأيضًا زرعوا حولها الأشجار خوفًا عليها من الاستعمار الإسباني بأن يقربها، لشدة خصوصيتها لديهم...

قاطعها «هرماس»:

- والآن لم يتبقَّ غير ثلاث ساعات قبل الرحيل، سنستغلها للراحة.

وافقه الجميع وتحركوا متوجهين صوب المعبد الذي لم يكن بعيدًا عنهم، كان شكله غريبًا ويدعو للريبة، الحجارة المصطفة بعناية بدون أي مادة للتثبيت هي ما ميزه، وذلك الشكل غير المنظم أيضًا محير.

أخذوا يصعدون الدرجات المؤدية لبوابته، والذي انتشرت النقوش حول جدرانه وكان ضخمًا وكبيرًا، ثم دلفوا إليه منبهرين بفن العمارة وعصرية

بنائه بالرغم من قدامته، لكنه بدى حديثًا كتلك الأبنية والشوارع التي مرُّوا بها عند قدومهم لهذه الحضارة التي لم يعرف عنها الكثيرون.

نهى «توراك» الجميع من لمس أي شيء حتى لا يفتحوا عليهم بابًا من المصاعب هم في غنى عنه، قال «هرماس» بنبرة حازمة:

- سأجلبُ شيئًا يؤكل.

لفَّت «شويكار» يدها حول نفسها تصك بأسنانها قائلة:

- الجو بارد هُنا.

رد «آجن»:

- انتظِر هرماس سآتي معكَ لأجلب بعض الحطب.

أدار وجهه لـ«شويكار» المبتسمة قائلًا لها:

- لن أتأخر، إن حدث لكِ مكروه اخلعي السلسال سريعًا، وأنتَ توراك ابقَ مع الفتيات.

خرج «هرماس» يتبعه «آجن» تاركين «توراك» والفتيات بالمعبد.

وبعد دقائق وقبل وصولهما، كان «توراك» منهكًا فأخذ يفترش الأرض يمدد جسده واضعًا يده فوق جبينه، لينادي «ساڤانا» التي كانت تتجول مع «إلينا» و«شويكار» قريبًا منه:

- تعالي ساڤانا واجلسي بقربي.

أجابته بتحذير:

- لا، سأبقى بجوار الفتيات.

لم يُطِل معها لكنه ابتسم لها، فأشاحت برأسها عنه مبتسمة تعض شفتها ألا فائدةَ من وقاحته!

لكزتها «إلينا» بمرفقها قائلة وهي تغمزها:

- هييه أنت! أظنكِ تستمتعين بتلميحاته.

ارتبكت «ساڤانا» لتجيبها بتلعثم قائلة:

- ماذا؟! لقد أسأتِ الفهم إلينا، هو لم يقصد شيئًا، إنه فقط يحب المزاح كثيرًا.

ضحكت «شويكار» عاليًا و«إلينا» أيضًا ليحمَرَّ وجه «ساڤانا» خجلًا وهي تتمتم ونظرها على ذلك الذي افتعل لها فضيحة للتو: «سأقتلكَ بيدي أيها الوقح!».

وصل رجال العجوز «ماتشي» إلى الهرم، لكنهم تأكدوا من خلوه من أي بشر، فاتجهوا للمعبد مثلما أوصتهم العجوز، فلقد عرفت بوجهتهم كما أظهرت المرآة لها! وبحركات بطيئة تقدم الثلاثة بالدرجات كي يدلفوا المعبد، كانوا مسلحين بسهام وأقواس وخناجر ومعهم قطع من القماش تحوي على مخدرٍ حضرته العجوز مسبقًا كي لا تعرقلهم المقاومة عند خطفهم، اتفقوا بالإشارةً بعدما تأكدوا أن رجلًا واحدًا معهم يستطيعون تكميمه حتى يتخدر ولا تصعب عليهم المهمة.

وبالفعل دلفوا إلى المعبد، ثم بحركات سريعة وخفيفة اتجه أحدهم نحو «توراك» النائم ليُكمِّمه بقطعة القماش، ظن «توراك» أن هذه «ساڤانا» فلم يُبدِ أي مقاومة، ولشدة فعالية المخدر خلال ثوانٍ من استنشاقه، غاب عن وعيه. بعدها اتجهوا للفتيات اللاتي هن أيضًا افترشن الأرض يمددن أجسادهن مرهقات، حيث انضمت «ساڤانا» و«إلينا» إلى جوار «توراك» كما طلب منهن، ولكن «شويكار» تمردت بسبب شعورها بالبرد واتخذت مكانًا قصيًّا في المعبد ونامت وسط ظلال الحجر الجيري.

مر وقت قليل سمعت فيه اقتراب أقدام من خارج المعبد، فتحت عينيها مع اقتراب الصوت الذي اخترق طبلة أذنها، فنهضت مسرعة ووقفت في مكانها.

رأت ثلاثة رجال يرتدون ملابس ذات أقمشة ملونة بألوان غريبة وحلي كثيرة تتدلى من آذانهم، وبشرة سوداء متفحمة، اثنان يضعان أقمشة على وجوه أصدقائها، بينما الثالث تدور عيناه بسرعة في المكان بحثًا عن شيء ما، يبدو أنه يبحث عنها، وها هو وجدها وتقدم نحوها!

تفاجأت في مكانها للحظات لتنسى أمر السلسال بسبب ارهاقها الشديد وعدم إفاقتها بشكلٍ كامل، شوَّش تفكيرها فلم تستطع إلا أن تشتعل غريزتها.

قررت المقاومة بالشكل الطبيعي، وبعد أن اقترب منها أحدهم بلغة غريبة لم تفهمها، قامت بركله في معدته قبل أن يُمسِك بها عائدًا على إثرها عدة خطوات إلى الخلف.

انتبه البقية له وركضوا نحوها باتجاهات مختلفة، أمسكوا بها بعد أن ضربته مجددًا وانقضت عليهم، ولكن الكثرة تغلب الشجاعة، فقد كبَّلوها جيدًا بعد أن كمَّموها ثم غادروا مسرعين. ضحكت العجوز بضحكة مقرفة دليل الانتصار حين رأت رجالها قد نجحوا بمهمتهم، ويقفون أمامها يحمل كل واحد منهم إحدى القرابين على كتفه فاقدة لوعيها، وبإشارة من إصبعها جعلتهم يلفُّونهن بحبال مكممين أفواههن حول جذع شجرة كبيرة مقابلٍ لجلستها.

وفي تلك الأثناء، كان «هرماس» و«آجن» وأيضًا «توراك» يقفون خلف شجرة يراقبون هؤلاء الأوباش بعد ما تتبعوهم منذ خروجهم من المعبد، فقد دلف «آجن» يوقظ «توراك» من غيبوبته القليلة، ليهب الأخير واقفًا ويكتشفوا ما حدث، ولولا آثار الأقدام في الأرض الطينية التي بُنيَ عليها المعبد ما توصلوا قط للقطط! في أول الأمر تخيلوا أنه أحد الوحوش، ولكنهم تفاجئوا بهؤلاء البشر ذوي اللغة الغريبة!

لم يتحمل «توراك» المراقبة كثيرًا، خاصةً وهو يرى تحرش الرجال بقططهم، وقبل أن يخلع خاتمه أمسكه «آجن» هامسًا:

- لم نُأمَر بخلع خواتمنا سوى للوحوش توراك! تذكر العهد، هؤلاء بشر!

كظم «توراك» غيظه لدقائق معدودات وهو يتذكر عهد الحماة بألا يستخدموا قوتهم نحو البشر نهائيًّا! لكن طفح كيله بعد لحظات عندما رأى أحدهم يتحرش بجسد «ساڤانا» بشكل سافر.

انفجر البركان واتجه نحوه منقضًا عليه يُدير فيه الضرب بكل الأشكال والألوان ويشاركه في ذلك «هرماس» يحاول التغلب على الرجال الذي يحاوطون العرَّافة. بينما توجه «آجن» نحو رأس الأفعى وأمسك بالساحرة واضعًا سلاحًا حادًا حول جيدها مهددًا البقية بقتلهم، وبلغة إنجليزية سليمة تحدثت الساحرة أخيرًا وأمرتهم بالتوقف عن القتال، وبنظرة خبيثة إلى خاتم «توراك» والبقية قالت:

- إذًا يبدو أن مرآتي أصابها البكم ولم تتحدث لي بكل المعلومات عنكم، من أنتم بالضبط؟!

بصوتٍ خشن رد «آجن» نحن حماة الأرض، فشهقت الساحرة وانحنى رجالها تحيةً لهم فورًا:

- آسفة حقًا سيدي، لم أعلم بأنه أنتم!

التقت عيون الثلاثة حماة بتعجب، فردد «آجن» وراءها:

- سيدي؟!

لتُجيبه:

- نعم، فعندما رأيت خواتمكم حسبت أنكم أحد الأغنياء، لم أكن أعرف أنكم الحماة، ولكن كيف ثلاثتكم حماة؟! إنه واحد فقط!

- إنها طفرة عصرية ألمَّت بنا وأصبحنا ثلاثة حماة لثلاث قطط.

أجابها «توراك» بسخرية غاضبة، حاولت التملص من «آجن» القابض عليها، فاستأذنته ليتركها، لكنه قال:

- أأمري رجالكِ بفكِّ حصار الفتيات أولًا!

وقد كان رفعوا عنهم الحبال الغريبة التي لم يستطع «توراك» أو «هرماس» فكها، ووضعوهم بسلام أرضًا، انحنى كل منهم على فتاته يتأكد من سلامتها، بينما أرخى «آجن» قبضته، ثم بهدوء فكها ووقف يراقبهم في حذر.

- تفضلوا معي في منزلي، سأعد مشروبًا خاصًّا ليساعدهن على استرداد وعيهن بشكل أسرع.

فذهبوا معها واكتشفوا أن منزلها هذا ما هو إلا معبد آخر، ولكنه أقل في الحجم، فهو بناء من ثلاثة جدران وسقف من طوب ملون، استُخدِم في بنائه الحجارة الضخمة ذات الأسطح المضلعة، وفي منتصفه وُضِع قِدر كبير يتصاعد منه أبخرة بألوان غريبة، وحوله مقاعد حجرية وُضِع عليها قش يعلوه قماش ملون. وضع الحماة الثلاث فتيات على المقاعد، وأعدت الساحرة مشروبًا غريب اللون وأمرت رجالها بوضعه في أفواههن.

- ليوقفهم «هرماس» بعد أن قرر تجربته بنفسه أولًا، أخذ رشفة كانت سيئة الطعم للغاية، ولكنه تحمل من أجل معرفة مدى تأثيرها، وبعد أن اطمئن تولى «توراك» وضع الشراب في فم كل منهن.

دقائق معدودات وشهقت كل منهن مستعيدةً لوعيها، نظرات خوف تحولت لاطمئنان بوجود الشباب ثم تعجب مما حولهم، وباختصار شديد شرح لهم «توراك» الموقف ثم التفت نحو الساحرة وسألها عن سبب الاختطاف، لترد عليه قائلة:

- إنه طقس لقبيلتنا لنيل رضا الشمس لتسطع وتنير بلدتنا بالدفء، فكما ترى الطقس بارد.

التفت الجميع لبعضه في تعجب واشمئزاز، حسم «توراك» الموقف وقال:

- هيا بنا لنغادر.

أوقفته وقالت:

- إلى أين؟! أنتم ضيوفنا الليلة.

- لا وقت لدينا سنغادر الآن.

التفت «هرماس» إلى «توراك» يتساءل بعينيه: «سيذهبون إلى أين؟»، فهمس لهم «توراك» بعد أن استشعر سؤالهم:

- سنعود إلى المعبد ونتفق على وجهتنا.

ابتسمت الساحرة وقالت:

- كما تريدون.

تعجب «توراك» من سماع العجوز لكنه لم يأبه لها، لتردف:

- سأترك معكم رجالي يوصلونكم إلى المعبد ومعكم بعض الأغطية، فالجو سيزداد برودة.

فعاد الجميع إلى المعبد، وبعد أن غادرهم خدام الساحرة وقف «توراك» محني الرأس يردد في ضيق:

- آسف! أنا السبب فيما حدث لكن.

هتفت به «شويكار»:

- لا توراك، لا ذنب لك، لقد خدروك أولًا ثم إلينا وساقانا، وكلنا كنا منهكين ولا عتب على أحد.

تعجب «آجن» وسألها:

- ولكن كيف عرفتِ ذلك.

تنهدت شويكار وقالت:

- لقد كنت بعيدة عنهم وسمعت خطواتهم في الصعود، حاولت المقاومة

ولكنهم كانوا أكثر مني.

أحاط «آجن» كتفها بغضب:

- ولمَ لم تخلعي سلسالك؟ لقد نبهتكِ قبل أن أمضي شويكار!

تلعثمت بتوتر قائلة:

- لم أنتبه وقتها ونسيت أمر السلسال نهائيًّا.

أشفق عليها لأنها لم تتعرض من قبل لمثل هذه المواقف، فمازحها قائلًا:

- يبدو أن لدينا قطة شهرت مخالبها أخيرًا!

لكزته غيظًا بينما ضحك الجميع أخيرًا، ثم هتفت «إلينا»:

-أنا جائعة للغاية!

تحرك «آجن» وقام بإشعال الحطب للتدفئة، ثم بدأ الجميع في تناول الفاكهة التي أحضروها من الأشجار المحيطة بالمكان، أمسك «هرماس» بساعته قائلًا:

- شويكار! لقد ضيَّعنا وقتًا كثيرًا، لم يتبقَّ لنا سوى اثنين وتسعين ساعة وثلاثين دقيقة!

تكلم «آجن» قائلًا:

- يجب أن ننال قسطًا من الراحة هرماس!

ليقرر الجميع النوم لساعتين قبل تحديد مكان التوجه الجديد، واستلقى كل حام بجانب قطته كما هو المعتاد، وكان أكثرهم قربًا للنار الثنائي «شويكار» و«آجن» الذي ازرقَّ جسده من فرط برودته، وحاولت هي تدفئته حتى غلبها النوم بأحضانه، تاركة احمرارًا بسيطًا في وجنتيها وابتسامة واسعة على شفتيه. وقبل مرور الساعتين، استيقظ الجميع على صوت صراخٍ وانتفاضاتٍ آتية من القطة الشرسة «ساڤانا».

*****

الفصل السادس عشر

انتفض الجميع وكونوا دائرة حول «توراك» الذي يحتضن «ساڤانا» الصارخة مرتعشة الجسد، صامتين بأمر من «توراك» الذي يستمع ويسجل كل حرف تقوله «ساڤانا» في ذاكرته الخارقة، وبعد أن انتهت من سرد رؤيتها شهقت باكية تشد في كتف «توراك» قائلة:

- المايا توراك! هذه المرة هم المايا، إنهم أناس دمويون للغاية، لقد، لقد رأيت تضحياتهم البشرية بنفسي.

- ششش! اهدئي ساڤانا! إنها شيءٌ قديمٌ بالتأكيد.

- بالفعل ساڤانا، حضارة المايا ومثلها الأنكا يعتمدون على التضحيات والقرابين البشرية!

خرج الكلام من «إلينا» التي رفعت يدها إلى جبهتها محاولة تذكر معلومات أكثر وأكملت:

- كانوا يُقدِّمون أسرى الحرب كقربان بعد تلوينهم باللون الأزرق كعلامة، ثم يتم وضعهم على مذابح في معابدهم ويستخرجون أحشاءهم بعد قطع رؤوسهم.

- كفى إلينا! هل تطمئنينها أم تزيدين في تفاصيل أكبر؟!

هتف بها «توراك» غاضبًا بعد أن زادت شهقات «ساڤانا»، رمقه «هرماس» بنظرة محذرة ثم همس «هرماس» قائلًا:

- نعم إلينا، إن توراك على حق، لا داعي لتلك التفاصيل المقززة.

رددت «إلينا» بخجل:

- آسفة لم أقصد!

- إذًا هي حضارة المايا هذه المرة، وأين مكانها بالتحديد؟

خرج السؤال من «آجن» فهز «توراك» رأسه:

- سأبحث حالًا عن مكانها بالتحديد.

ثم ربت على كتف «ساڤانا» برقة مقبلًا جبينها وقال:

- هيا ساڤانا، أنتِ بأمانٍ الآن، دعيني أبحث عن وجهتنا.

سحبت «ساڤانا» ذراعها الملتف حوله بخجل، فقام إلى حقيبته وأخرج حاسوبه بينما جلس الجميع ينتظرون المعلومات منه:

- ساڤانا كنتِ في هرم، أليس كذلك؟

شهقت «شويكار» معترضة:

- هرم ثانيةً!

تدخل «آجن» محذرًا إياها:

- شويكار! لا تبدئي ثرثرتك الآن!

التفتت نحوه ناظرة بغيظ نظرة الجليد التي سرعان ما تعود إليه مهما أذابته، أفاقت من شرودها على صوت «ساڤانا»:

- نعم كان هرمًا، ولكن لم أدخله بل اعتليته حتى وصلت لمعبد كبير، وهناك رأيت التضحية وكاهنًا يتحدث إلى جدتنا بلغة غير مفهومة، ويبدو أنهما يتفقان على شيء ما.

ساد الصمت بينهم، مغامرتهم هذه المرة أكثر تعقيدًا من سابقتها، لا حلول أو تعاويذ سحرية ولا شيء واضح على الإطلاق، نظرة سريعة من «توراك» إلى حاسوبه ثم إغلاقه قوية وتحدث بعملية شديدة أثارت إعجابهم جميعًا:

- المدينة الوحيدة الباقية بها أطلال المايا والأكثر حفظًا لحضارتها هي تشيشتن إيتزا، وهي وجهتنا الآن.

ليسأله «هرماس»:

- كم تبعد عن هنا؟

- ليس كثيرًا هرماس، الأنكا والمايا مشتركتان بالأماكن مع اختلاف المدن والسنوات.

تنهدت «إلينا»:

- أخيرًا شيءٌ قريب!

- هيا بنا، لقد انتهت مهلة الراحة ولا وقت لدينا أكثر من ذلك.

أومأ الجميع موافقًا على حديث «آجن» ثم جمعوا أشياءهم وغادروا مسرعين إلى (تشيشتن إيتزا).

وصلوا إلى مدينة تتوسط سهلًا منخفضًا أخضر، يحيط بها من كل الجوانب أشجار كثيفة عالية رائعة، تبعث الراحة والخوف في آن واحد إذا ازددت في التركيز عليها.

تمشى الجميع إلى داخل الأشجار وهنا خرجت شهقاتهم المعجبة بجميع ما حولهم، آثار وأطلال باقية شامخة تؤكد وجود حضارة كبيرة هنا في يوم من الأيام، معابد منتشرة على الجانبين يتوسطهم هرم شاهق الارتفاع ومدرج، عبارة عن مصاطب حجرية فوق بعضها تصل إلى قمة مربعة يعلوها شيءٌ لا يستطيعوا تبينه من أسفل، لكنهم فطنوا أنه المعبد المقصود.

يقسم الهرم سلم حجري كبير يصل إلى قمته، وأشار نحوه «توراك» قائلًا:

- سنبدأ رحلة الصعود من هنا.

نعم، إنها رحلة صعود بالفعل، فالارتفاع عالٍ لا يقل تقديرًا عن أربعة وخمسين مترًا فوق سطح الأرض!

استمرت رحلة الصعود ربع ساعة كاملة، وبأنفاس متقطعة وصل الجميع إلى القمة أخيرًا، افترشت الفتيات الأرض بينما وقف الشباب يحدقون فيهن

بسخرية، وأول من شاكسهن كان «توراك» بالطبع، قائلًا:

- ما هذا؟! تعبتن فقط من صعود هرم بينما يقع على عاتقكن حماية العالم يا ڤينون!

رفعت «ساڤانا» رأسها نحوه بغيظ فصدحت ضحكاته العابثة، لتقول:

- الجو بارد هنا وأنت تتبجح بقدرتك الخارقة علينا بدلًا من التحول والارتفاع بنا أيها السخيف!

قبل أن ينبس «توراك» بشيء ليرد على «شويكار»، تدخل «آجن» قائلًا بصرامة:

- لننتهي من مهمتنا ثم لديكم كل الوقت بعدها للحماقات.

صمت الجميع، بينما توجه «هرماس» نحو المعبد الكبير الموجود بقمة الهرم مرددًا بانبهار:

- رائع!

رفع الجميع رؤوسهم يتأملون المعبد الحجري الذي يقف على أعمدة حجرية شاهقة الارتفاع، يظلل عليها سقف مثلث بينما نُقِشت بعض الرسومات الغائرة على أعمدته وجدرانه.

قطع تأملهم ظهور أحدهم واقفًا بمنتصف البوابة المؤدية للمعبد، وأول من شهقت لرؤيته كانت «إلينا» والتي نبَّهت الجميع له، فوقف الحماة أمام الثلاث فتيات استعدادًا لأي هجوم! ولكن أي هجوم من الممكن أن يأتي من رجل شيخ كهذا؟! فالواقف أمامهم يبدو عمره قد تجاوز ثلاثة وأربعة قرون!

نحيل الجسد ولكن يصلب طوله جيدًا، يرتدي ملابسًا فلكورية غريبة، أو لنكن منصفين هي قطع أقمشة فقط مزدهرة الألوان تزين جزءه الأيمن، بينما الأيسر عارٍ فيما عدا قطعة قصيرة يلفها حول خصره!

بشرته خمرية مائلة للسمار، مسطح الجبين ذو حوَلٍ طفيف في عينيه

السوداوين، أصلع ويبدل شعره بدهان لونه أبيض يمتد إلى نصف جسده العاري، يُحلي قدميه بحلي غريبة ويمسك في يده عصا أغرب تعلوها جمجمة صغيرة! وبلغة إنجليزية حديثة رحَّب بهم! ولكنه لم يجد ردًّا منهم سوى تعابير وجوه مستعدة للانقضاض عليه بأية لحظة فقرر كشف أوراقه سريعًا:

- إذًا أنتم جميعًا أتيتم لحماية قطة واحدة؟!

نظر الثلاثة حماة لبعضهم بتعجب، إذًا فهو يعرف ماهيتهم، وعلى الفور فطن «توراك» لرؤيا «ساڤانا» وتحدث قائلًا:

- وأنت الكاهن الذي ينتظر القطة؟

أومأ الرجل بهدوء فأكمل «توراك»:

- ولكن هذه المرة هن ثلاث وليست واحدة!

تعجب الرجل في بداية الأمر، ولكنه عاد إلى إيمائه وردد بهدوء:

- تعالوا إلى الداخل.

تردد الجميع ولكنهم تبعوه في نهاية الأمر، وكل حامٍ يمسك بيد قطته في تملك وتوجس واضح.

دخلوا إلى المعبد، أرضه ملساء من الحجر الجيريٍ الأبيض، ووجدوا كاهنًا يجلس على مقعد حجري أمام مبنى مربع مرتفع قليلًا عن الأرض، ونُقش على حوائطه نقوش جماجم بشرية كثيرة، وبعض من الطقوس عرفتها «ساڤانا» على الفور، إنها طقوس التضحية البشرية، وهذا هو المذبح الذي رأته من قبل، فاقشعر جسدها لهذه الذكرى وأجفلت على صوت الرجل:

- أنا الكاهن نيكراس، سليل حضارة المايا وأيضًا مفتاح اللغز الذي تركته لكم جدتكم.

- أنت عمركَ قرون؟!

ضحك «نيكراس» باستهزاء لتلك الطفلة بجسد أنثى المتمثلة أمامه في «شويكار»:

- بالطبع لا! نحن سلاسل كهنة منذ قديم الزمان نتناسل، وأكبر ذكر هو من يحمل كهانة المعبد، وجدي من أخذ العهد من جدتك.

- وما هو العهد؟

تساءل «آجن» ليُجيبه الكاهن:

- ستعرفون بعد قليل.

لف جسده نحو المذبح ثم قال:

- والآن على إحداكن تشريف المكان بيديها!

وأشار نحو دائرة غائرة محفورة بجدار المذبح، منقوشة في وسطها برأس إنسان يعلوه ريش وملامح غليظة، ومن حوله نقوش غائرة غريبة تشبه الهيروغليفية، ويبدو أنها كتابة شعوب المايا.

كانت «ساڤانا» المتبرعة الأولى، فأعطته يدها فسحبها ووضعها فوق الرأس المحفورة، صدر صوت تفكك أحجار ثم دائرة غبار كثيفة، وبعد أن انقشعت ظهر مفتاحٍ تحت مكان الرأس من زجاج البركان الأسود، والذي استخدمه المايا بدلًا من أيه معادن أخرى، فسحبه الكاهن بانبٍهار بعد أن رأى إحدى الماسات النادرة وقبَّله بخشوع، ثم وقف أمامهم قائلًا:

- أخيرًا تحققت النبوءة وجاءت القطة كما قالت الجدة! والآن تبدأ المغامرة.

- ما هي وأين؟!

تساءل «هرماس»، فأجاب «نيكراس» بخبث شديد وأعين نصف مغلقة:

- ستعرفون بعد قليل، والآن لنهبط إلى الأسفل.

تبعه الجميع حتى عادوا إلى الأرض بسلام، وقف بينهم «نيكراس» قائلًا:

- يجب أن نذهب إلى الكاراكول أولًا.

- نذهب إلى ماذا؟!

تعجب «توراك» فتدخلت «إلينا» بسرعة:

- الكاراكول مبنى يخص حضارة المايا، ويُعرَف بالمرصد الفلكي هذه الأيام، يراقبون منه حركة الكواكب وبعض الأمور الفلكية التي يبرعون فيها.

أومأ الكاهن بابتسامة معتزة بالمعلومات والحضارة التي تسردها عليهم «إلينا» فتساءلت:

- ولكن لماذا نذهب إلى هناك؟

- يجب علينا البدء بميعاد محدد بحركة كوكب الزهُرة.

أنهى الكاهن جملته ومشى أمامهم، بينما تأففت «شويكار» قائلة:

- لماذا كل هذه التعقيدات من جدتنا؟! لماذا لم تترك لنا السلاح في مكان محدد لنجده ونطلقه ونحمي الأرض ونعيش بسلام كلنا، ما كل هذا الهراء؟!

ضحك الجميع على تأففها وغضبها الطفولي، بينما سحبها «آجن» تحت ذراعه مميلًا رقبتها وضربها على مؤخرة رأسها، لتقول:

- آه آجن! يداك باردتان للغاية!

- وما الجديد إذًا؟!

- الجديد هو أنك باردٌ من الداخل والخارج ومشاعرك مثلجة كليًا!

ضحك «آجن» متسليًا بغضبها، بينما رفعت ذراعه عنها وتقدمته مع البقية إلى (الكاراكول)، والذي كان عبارة عن مدرجات عديدة تصل إلى مبنى مربع، يعلوه مبنى دائري له منصة عالية وسقف مقبى بقبة خارجية.

- ما بال هذه الحضارة بالسلالم والارتفاعات؟!

قالتها «ساڤانا» بسخط، فالتفت لها الكاهن بنظره محذرة عن الخوض بعرض

حضارته الحبيبة، ثم قال بهدوء:

- سأصعد إلى هناك لأرى المسار والوقت، وأنتم ابقوا هنا.

- لا سآتي معك، والبقية ينتظروننا هنا.

التفَّت «إلينا» نحو «هرماس» المتحدث وفهِمت من عينيه على الفور أنه لا يثق به وعلى أحدهم مرافقته، فأومأت لهَ بهدوء ثم أوقفت «توراك» قبل الاعتراض.

وبالفعل بدأوا في الصعود إلى المرصد، وبعد وقت ليس بالقليل عاد «هرماس» يلهث من فرط التعب والإثارة بما رآه أكثر، بينما الكاهن الشيخ يتحدث بهدوء وكأنه لم يصعد وينزل مئات الأمتار لتوه!

- هيا عليكم البدء، فالوقت أمامكم ليس كثيرًا.

- البدء بماذا؟!

- تمشوا معي سريعًا وسأقص عليكم كل شيء.

نفذوا أمره وبدأ هو بتنفيذ ما قاله وأردف:

- هذا المفتاح الذي وجدناه يفتح جزءًا خاصًّا في الكاراكول والذي كان مغلقًا منذ مجيء جدتكم إلى هنا، وقد وضعوا عليه تعويذة حماية تُكسَر فقط بقدوم القطة الحقيقية للمهمة، كما حدث في المعبد وصعدت للكاراكول، وبحسابات دقيقة لا يفهمها سوانا طلبت جدتكم تحديدها منذ ذلك الوقت، لتبدأ فيها مغامرتكم القادمة للبحث عن العهد الذي نتوارث حمايته إلى موعد قدومكم.

- وما هو العهد تحديدًا!

- هذا شيء ستعرفونه أنتم وليس نحن!

- ولكن لماذا خصتكم جدتي تحديدًا بهذه المهمة؟

- هذا لأننا من أعرق الشعوب الموجودة والمستمرة بحفظ نسلها، والأولى بحماية كوكب الأرض، فنحن أسياد الفلك والكواكب.

ختم جملته برفع رأسه بغرور مستفز لهم جميعًا، ولكنهم آثروا الصمت حتى الانتهاء من ذلك الجنون على خير، حتى توقف فجأة وأشار قائلًا:

- هنا تبدأ رحلتكم!

التفت الجميع نحو مكان إشارته، والتي كانت عبارة عن ساحة واسعة للغاية مستطيلة الشكل، تحدها من كل الجهات جدران حجرية بنفس نقوش المعبد الغائرة.

دخل «نيكراس» من بوابه ضخمة إلى الساحة، ووراءه الجميع يتأملون المكان بانبهار مختلط بقلق وخوف المكان غير مبشر بالخير!

- ما هذا؟!

قالها «توراك» و«هرماس» بنفس واحد، فرد الكاهن بسرعة قبل أن تجيبهم «إلينا»، والتي اعتبرها دخيلة على حضارته قائلًا:

- هذه محكمة الكرة، فيها لُعبت أقدم أنواع رياضة الكرة على الإطلاق، فهي تشبه ملاعب كرة القدم هذه الأيام.

- ملاعب! أي ملاعب؟! أنا لا أرى خطوطًا مرسومة أو حتى مرمى!

- نعم، قلت تشبه فقط وليست هي! كل ما عليكم فعله هو خوض مباراة والفوز بها لتنفتح لكم هذه البوابة.

وأشار نحو نقش بارز في جدار الملعب وأكمل:

- بداخل هذا النقش وُضِع ما تبحثون عنه، أما عن قوانين اللعبة فهي إحراز أربعة أهداف فقط أمامَ الفريق المنافس في هذه الحلقات.

نظروا حولهم ليجدوا جدارين متقابلين، وهما الجداران الأطول في الملعب

مع وجود حلقات منحوتة من الثعابين المتشابكة في وسط كل جدار!

- نخوض مباراة! أمام مَن بالضبط؟!

كان «توراك» المتحدث بغضب كظمه مجبرًا، فأجاب الكاهن بخبث ومكر كريه:

- لا تسأل عن فريقك المنافس قبل الكرة التي ستلعبون بها!

ضم حاجبيه متعجبًا:

- أين هي الكرة؟!

أجابه وهو ينظر نحو الفتيات:

- القطة ستأتي بها إليكم لتبدأوا المباراة!

ثم وقف أمام دائرة محفورة في الجدار تشبه الأولى:

- مَن منكن ستشرِّفني بيدها هذه المرة؟

تقدمت «إلينا» ووضعت يدها كما «ساڤانا» بالضبط، فتفككت الدائرة وخرج غبار، ولكنهم لم يجدوا مفتاحًا، بل سمعوا صوت تفكك أحجار عالٍ جدًا كاد أن يصم آذانهم أتى من الجدار المقابل، والذي انفتح وخرج منه أغرب حيوان رأوه على الإطلاق.

هتف «نيكراس» بفرحة غامرة كاد «هرماس» أن يدق عنقه بسببها قائلًا:

- آه! إنه حيواننا المفضل، سمعت عنه كثيرًا ولكن لم أره بأم عيني، شكرًا آلهتي لمنحي هذا الشرف.

وانحنى أمام حيوان (اللاما) الواقف على بُعد عدة أمتار يرمقهم بعيون حمراء وحشية، ورقبة طويلة عن المعتاد، وجسد يقف على أربع قوائم قصيرة ممتلئة بالشعر.

هتفت «إلينا» بذهول:

- ماذا فعلتم بالحيوان الأليف؟!

رد الكاهن:

- الكرة ستكون رأس هذا الحيوان، على أحد القطط محاربته والفوز برأسه أولًا!

هتف «توراك»:

- ماذا؟! لن يحدث طبعًا! سيتولى الحماة أمره.

- لن يتحرك من مكانه سوى أمام قطة، وقطة واحدة فقط!

رفع «نيكراس» يده محذرًا أمام «توراك» الذي كاد أن ينقض عليه، ولكن صوت «شويكار» قطع فعله:

- حسنًا موافقة.

حملق فيها «آجن» بذهولٍ تحول إلى رفض تام، «شويكار تحارب! لن يحدث طبعًا!»، همس بها في نفسه ولكنه لم يستطع!

- ما بك آجن؟! الأمر سهل، سأتحول لقطةٍ وأنال منه.

هتف «نيكراس» رافضًا:

- لا تحول إلى أي هيئة أخرى!

اتسعت عينا «شويكار» مصدومتين، ولكنها لم تتراجع في رأيها، بل سحبت سيفًا من تلك المادة الخام الغريبة (الزجاج البركاني الأسود) المميز لحضارة المايا، وتوجهت نحو اللاما الواقف بهدوء غريب لم يلبث كثيرًا بعد أن صفقت بكفيها ثلاث مرات كما أخبرها «نيكراسً» لتبدأً المعركة، بينما جلس الجميع في منصة حجرية مرتفعة تخص المشاهدين يراقبون ما يحدث بأعين وقلوب ملهوفة على «شويكار»، والتي مع الطرقة الثالثة اتجه اللاما نحوها بسرعة شديدة تفاجأت بها «شويكار».

وفيما هي ما زالت مذهولة ركلها اللاما ودفعها أرضًا عدة أمتار للخلف، فهتف لها «آجن» وقبل أن يندفع إليها أمسك به «نيكراس»:

- لا يجوز! إن تدخلت ستنقلب اللعبة عليها، شاهد فقط.

تألمت «شويكار» كثيرًا من الدفعة، ولكنها سرعان ما تمالكت نفسها ووقفت غاضبة، يبدو أن شراسة القطط بدأت في الظهور! وقبل أن يلحظ اللاما وقوفها، جرت نحوه ورفعت سيفها، وبقوة لم تعدها في نفسها قطعت رأسه الذي سقط أرضًا!

فهتفت «شويكار» فرحة بإنجازها السريع مديرة رأسها نحو «آجن»، والذي أشار لها بالاستدارة بسرعة، فقد كانت المفاجأة، وهي نمو رأسٍ جديدٍ للاما!

وقبل أن تستوعب ما حدث، كان اللاما يرفعها على رأسه الجديد ثم ألقى بها أرضًا، وصوت عظام «شويكار» قد سمعه الجميع.

صفق الكاهن وهتف بحماس قائلًا:

- لقد نسيت أن أخبرك، كلما قُطِع رأس ظهر مكانه رأس آخر، عليكِ البحث عن طريقة لقطعه نهائيًّا!

اشتعل «آجن» ووقف أمامه:

- ما معنى نسيت؟! لمَ لمْ تُخبِرها قبل الدخول في اللعبة؟

- وأين الإثارة إذا ما عُرِفت جميع القوانين؟!

وهذه المرة فقد السيطرة ولكمه بعنفٍ أعاده للخلف عدة خطوات، ثم قال:

- أيها المجنون! أنتَ هنا لمساعدتنا، لا مشاهدتنا ونحن نموت!

أمسك به «هرماس» و«توراك» قبل ينقض عليه مرة أخرى، قائلين:

- اهدأ آجن، ليس أمامنا سواه لنعرف القادم!

بالكاد تماسك «آجن» ووقفوا ثانية يشاهدون «شويكار»، والتي نجحت لمرةٍ

ثالثة في قطع رأس اللاما وبكل مرة ينمو آخر!

إذًا يبدو أن هناك طريقة معينة كما هتف لها ذلك المخبول، ولكن ذلك اللاما اللعين لا يُعطيها أي فرصة للتفكير، لا يوجد سوى حل واحد: «اجري يا شويكار!»، همست لنفسها بحماس وصارت تقطع الساحة كلها جريًا ووراءها اللاما، ظلت تفكر وتفكر، وفجأة لمعت عيناها وتوصلت لحل، وقفت تلتقط أنفاسها وانتظرت حتى اقترب منها، ثم جرت بكل قوتها نحو الجدار المقابل لها.

هتف «هرماس» عندما رآها:

- ماذا تفعلين يا مجنونة؟!

ولكنها استمرت في الجري، وقبل أن تصطدم به رفعت قدميها وتسلقته بحركة سريعة، خطوة، اثنان، وثلاث ثم قفزة دائرية اعتلت بها ظهر اللاما وأطاحت برأسه من المنطقة الخلفية لعنقه، ليقع أرضًا ويقع اللاما ومعه «شويكار» بدون نمو رأسٍ جديد!

هتف «نيكراس» بحماس خبيث:

- نعم هذه هي القطة الحقيقية.

بينما تجاهله الجميع وجروا نحو صديقتهم، رفعها «آجن» من أسفل اللاما يتفحص جسدها المخضب بالدماء قبل أن تُشفى من جروحها، وقال:

- شويكار! هل أنتِ بخير؟

وبأنفاس لاهثة أجابته بنعم، فاحتضنتها «ساڤانا» و«إلينا» بوقت واحد مرددتين عبارات الإعجاب والتشجيع لها. بينما انحنى «نيكراس» وحمل رأس اللاما المقطوع، وبتعاويذ سحرية غلفه بشكل دائري صلب قائلًا:

- الكرة موجودة، وحان دوركم في بدء المباراة.

التفت الجميع نحوه فأكمل:

- يمكن للجميع المشاركة، الفوز مرهون بالأربعة أهداف، وكل شيءٍ مُباح!

- سنلعب مع بعضنا؟!

- بالطبع لا، لمسة بسيطة من إحدى قططكم وسيظهر الفريق المنافس فورًا.

وكما حدث من قبل حدث هذه المرة، ومن نفس البوابة خرج خمسة رجال بوجوه وملابس مثل «نيكراس» ولكنهم أكثر شبابًا وقوة، فأشار نحوهم:

- هؤلاء تعاويذ سحرية لأهل المايا، ولكن كل أفعالهم حقيقية مئة بالمئة.

- وهل هناك أي قوانين سنُفاجأ بها أيضًا؟

- فقط أربعة أهداف، وهي ليست بكرة قدم، ولكن كرة لسائر أجسادكم ومسموح فيها باستخدام كل أعضاءكم، وأيضًا بدون تحول إلى هيئة أخرى.

ثم أكمل بخبث شديد:

- ولكن احذروا، الخاسر سيُقطَع رأسه مثل هذا!

وألقى برأس اللاما إلى «توراك»، والذي تمنى من داخله أن يردَّه إليه في منتصف رأسه ويُرديه ميتًا في الحال، ولكنه تماسك!

حمل «آجن» «شويكار» المعترضة والتي أرادت المشاركة بالمباراة، ولكنه رفض كليًّا ووضعها بجوار «نيكراس» في مقاعد المشاهدين. وهذه المرة التصفيق جاء من الكاهن، أول مرة حين وقف الفريقان متقابلان، والثانية حين ارتفعت الكرة من يد «توراك»، أما الثالثة كانت حين بدء المباراة.

ارتفع أحد الرجال واستلم الكرة على رأسه الأصلع، ثم وجهها نحو زميله الذي جرى بالكرة نحو الحلقة الخاصة بفريق الحماة والقطط، وقبل أن يلحقه أحدهم كان قد سجل أول هدفٍ لصالحهم!

هتف «آجن»:

- لا بد لنا من تقسيم أنفسنا، هرماس أنت ستتولى حراسة المرمى، توراك في

الهجوم معي، «ساڤانا» و«إلينا» إلى الأمام نحو مرماهم، هيا!

امتثل الجميع للأوامر، واستطاع «هرماس» خطف الكرة ورمى بها إلى «توراك» الذي استلمها على قدمه وجرى بها، اصطدم به أحدهم بقوة شديدة دفعته أرضًا، ولكنه حافظ على الكرة ورمى بها إلى «آجن» الذي اندفع نحو مرماهم وألقى بالكرة لـ«إلينا»، والتي رفعتها نحو الحلقة ولكنها لم تنجح في احراز هدف!

- ارمها نحوي في المرة القادمة آجن، أنا أطول من إلينا.

هتفت بها «ساڤانا»، بينما أمسك بالكرة الفريق المنافس، وبمهارة شديدة جروا بها إلى منتصف الملعب، كان «توراك» قد نهض وبكل غضب كظمه داخله اصطدم بحامل الكرة وسحبها منه إلى «آجن» الذي جرى بها يراوغ ثلاثة منهم، حتى اقتطعها أحدهم وتوجه نحو «هرماس» الذي رمى بنفسه فوقه ومنعه من إحراز الهدف الثاني، وألقى بالكرة الدموية نحو «آجن» مرة أخرى.

ليتوجه «آجن» بالكرة إلى «ساڤانا» هذه المرة التي ارتفعت بمهارة وألقت بالكرة داخل الحلقة، هتف الجميع فرحًا إثرِها، ولكن الهدف زاد من شراسة الفريق المنافس وأصبح الأمر دمويًا أكثر، فكَسروا ذراع «آجن» وانهمر الدماء من وجه «هرماس» قبل إحراز هدفٍ جديدٍ لهم.

بينما «توراك» أصيب بجرح قطعي برأسه بسبب اصطدامه بأحد الرجال في كرة رأسية!

كانت «شويكار» تتابع المباراة بشغف، وبقلب مضطرب تنظر إلى ساعتها، لم يتبقَّ لهم سوى ثمانية وثمانين ساعة والمباراة المميتة لا تزال قائمة، والتي كانت ستبدو رائعة ومشوقة، ولكن إن لم تكن نهايتها موت أحدهم مقطوع الرأس!

النتيجة الآن متعادلة، ثلاث أمام ثلاث، والهدف الأخير هو حكم الموت لأحد

الفريقين!

وقف «توراك» يلهث بعدما رأى سقوط «هرماس» تحت مرماهم، والآن أحد ذراعيه أصيب هو الآخر، الرؤية مشوشة بسبب الرأسيات والعرضيات التي تلاقاها إلى الآن، ولكنه تحامل على نفسه وقطع آخر كرة ورمى بها نحو «آجن» ثم سقط أرضًا منهمرة دماؤه.

أما «آجن» فقد قفز على ساقه الوحيدة التي لم تكسر وتلقَّاها ثم رمى بآخر قوته الكرة نحو الفتيات، فاستلمتها «ساڤانا» وقبل أن ترفعها إلى الحلقة انقض عليها رجلان ليسحبا منها الكرة، فاستماتت عليها حتى قذفتها نحو «إلينا» التي لم تنجح مرتين من قبل في إلقاء الكرة داخل الحلقة، لكن لم يتبقَّ سواها في الفريق لإنقاذهم من براثن الموت القريب جدًا الآن!

*****

الفصل السابع عشر

لحقت «إلينا» بالكرة قبل أن تسقط أرضًا لتتمالك نفسها سريعًا، واتتها فكرة مجنونة ولم تتردد في تنفيذها. جرت بها في اتجاه عكسي بعيدًا عن الحلقة، شهقت لفعلتها «شويكار» التي وقفت تراقب «إلينا» المجنونة، والتي تجري ووراؤها ثلاثة رجال، وقبل اقترابهم منها بعدة خطوات وقبل أن ينطلق أسرعهم يمسك بقدميها، استطاعت ببراعة النفاذ من تحت أجسادهم، فاصطدم اثنان ببعضهما، وبسرعة شديدة واتتها لفَّت بجسدها وجرت نحو الجدار، وبنفس قفزة «شويكار» استطاعت التعلق به وإدخال هدف الحياة في المرمى، والذي هتفت له «شويكار» بفرحة واختفى على إثره الرجال بعد أن تقطَّعت رؤوسهم أولًا!

رفع «هرماس» رأسه بصعوبة ليرى قطته الشرسة وهي تُنهي المبارة الدموية وتنقذ حياة الجميع، لتتجه نحوه سريعًا ولم تلتفت للذين قُطِعت رؤوسهم منذ لحظات، اقتربت منه قائلة وهي تتنفس بصعوبة بالغة:

- أين ما هو موضع ألمك هرماس؟

بدأ يئن للحظات ولكنه تحامل على نفسه ليشير لها نحو قلبه، لم تفهم «إلينا» تلميحاته، لتعاود سؤاله بفزع وهي تضع كفها على قلبه الذي تباطأت نبضاته بشكل مقلق، فقالت:

- يا إلهي! ماذا أصاب قلبك هرماس؟ تكلم سريعًا قبل أن يُغشى عليّ!

خرجت حروفه مقطعة وهو يتنهد ببطء:

- الـ ـعـ ـشـ ـق!

فضمت حاجبيها ليُعاوِد أنينه من جديد وهو يشير نحو ساقه اليمنى الممددة بجانبه مخلوعَة من مفصل قدمه، بالإضافة لرأسه الذي تشوه تمامًا من الخبطات.

شهقت «إلينا» وهي ترى قدمه مفصولةً عن ساقه، لتضع كفها سريعًا وهي مغمضة العينين ليصيح «هرماس» بقوة لعودة مفاصله تلتئم إلى بعضها، توقف عن صياحه لتنظر إليه «إلينا» مدمعة العينين تسأله:

- هل أنتَ بخير الآن؟

أشار برأسه نفيًا لتبدأ «إلينا» بتفحص عظامه بفزع، فأوقفها «هرماس» وهو يمسك بيدها قائلة:

- قلبي هو من أُصيب إلينا!

نظرة لعمق عينيه الزرقاوين المحاطتين بهالته العسلية التي تشع مثل شمس مشرقة، جعلتها تدرك الأمر سريعًا، لترتمي بين أحضانه تتنهد براحة وهي تهمس في أذنه:

- أنتَ أيضًا أصبتَ قلبي إصابة خطِرة!

ابتسم وهو يقبل جانب عنقها، لتُكمل همسها وهي تعض شفتيها:

- أحبك هرماس!

*****

وفي تلك الأثناء..

اندفعت شويكار نحو «آجن» بأقصى سرعة، فوجدته استسلم نهائيًّا لكسوره وألقى برأسه على الأرض يتألم بشدة، فبدأت تمسد جرحه والقلق يعتريها وهي تسأل:

- هل أنتَ بخير آجن؟ أتشعر بتحسن الآن؟

بضع لحظات كانت كفيلة بإبراءِ جرحه، ليعتدل جالسًا يجرها لأحضانه بقوة حتى شعرت «شويكار» بصوت عظامها بين يديه، ولكنها رغم ذلك ابتسمت وهي تشدد من احتضانه لها لتشعر بدفء بين ذراعيه، شعوره بالخوف الشديد عليها أن يُصيبها مكروه أذاب جليدهً، ولكن شعوره المسيطر حاليًّا

هو الفخر بقطته التي أثبتت له الآن أنها أقوى بأضعافٍ مما يتخيل!

*****

وفي الجانب الآخر..

وقفت «ساڤانا» فاغرة فاهها برعب من رؤية من كانت تُلاعِبهم منذ قليل ورؤوسهم تسقط واحدًا تلو الآخر، شعرت بالرعب لمجرد تَذكرها أنه لولا «إلينا» لكانوا هم مكانهم، ثم التفتت سريعًا نحو «توراك» المستلقي على الأرض تصطكُّ أسنانه من الألم. أسرعت لتجلس بجواره تنظر إليه برعب وهو يمسك بذراعه اليسرى التي انخلعت عن كتفه، واقتربت بكفيها تحاول إزاحة يده قائلة:

- اتركها، سأمسدها لك.

فتركها وهو ما زال يصك أسنانه لتضع «ساڤانا» يدها على كتفه ليعود المفصل لموضعه، فاستلقى «توراك» على ظهره منهكًا بشدة لا يستطيع رفع رأسه الذي يدور بشدة.

استلقت «ساڤانا» بجواره توجه رأسها إليه وهي تتنهد براحة أنهم نجوا قائلة:

- كدنا أن نَهلكَ توراك!

أمسك بكفها قبل أن تسحبها مُقبِّلًا إياها وهو يقول:

- سلمت يداكِ حبيبتي.

ضحكت «ساڤانا» بصوت مرتفع وملحوظ، ليلتفت لها الجميع ينظرون إليها بغرابة، ما هذه الضحكة الماجنة؟!

وضعت يدها على فمها سريعًا تعتذر لـ«توراك»، والذي بدوره نظر إليها بدهشة لصوت ضحكتها الرقيعة التي يسمعها لأول مرة. لتقول «ساڤانا» وهي تحاول جاهدة كتم ضحكتها العالية التي منذ أن رأتهم تحاول ألا تفتعل فضيحة بصوتها كما كانت تفعل بالماضي:

- أعتذر منك توراك! ولكن لم أستطع تمالك نفسي وأنا أراكَ بهذا الأدب وهذه الرقة!

أغفلها وهو يجرها إليه يقبلها بشكل سافر، مما جعلها تدفعه بشدة ليمسك هو كلتا يديها بيد واحدة، ويده الأخرى وضعها على خصرها يقربها منه أكثر، لتتحول قبلته الرقيقة إلى عنيفة بقدر الغيرة التي شعر بها! انتبه الجميع للعجوز «نيكراس» وهو يصفق بكلتا يديه مشجعًا ليقول بوقاحة:

- أرى أن القطط والحماة يعيشون حالة عشق ملتهبة!

قبل أن ينهض «توراك» ليقترب منه يدق عنقه، أوقفهم صوت لباب جديد يفتح في الجدار المخالف لهم، فاقترب منهم «نيكراس» قائلًا:

- وآخر خطوة هي الدخول إلى هنا وأخذ آخر قطعة من الأحجية.

حدَّق الجميع فيه بغضب مكتوم، وبعد التقاط أنفاسهم اتجهوا نحو الباب.

كان المكان واسعًا إلى حد كبير، جدران منقوشة كما اعتادوا وشجرة في منتصفه، شجرة حجرية ترتفع لعشرة أمتار انحنى أمامها الكاهن باحترام، وردَّد:

- شجرة ياكشي، شجرة الآلهة، ترتفع فروعها إلى السماء وتخترق جذورها العالم السفلي.

تأمل الجميع الشجرة الحجرية المنقوشة بنقوش أغرب مما رأوها مسبقًا، وتلتف أوراقها حول نفسها وتنتهي كل ورقة بأطراف مدببة!

أكمل «نيكراس»:

- فوقها يقبع ما تريدون، ولكن على أحدكم الصعود والحذر من أوراقها الحادة.

ولأول مرة يبتسم «توراك» ويستخدم قوته ليتحول سريعًا ويرتفع، ليجد مفتاحًا كبير الحجم غريب الشكل، فأخذه وهبط إليهم يخلع خاتمه سريعًا،

ليقترب من «نيكراس» مُمسكًا بعنقه النحيلة بين يده ليخنقه بقوة.

انطلق «هرماس» و«آجن» يمسكون بذراعي «توراك» محاولين تهدئته، ليُزيحوا بكفه من على رقبة «نيكراس»، ليصرخ «توراك» بوجه العجوز:

- ما هذا المفتاح أيها المختل؟

ابتسم «نيكراس» من بين يدي «توراك» وهو يقول:

- جزء القناع في المتحف الوطني للانثروبولوجيا في ولاية كامبيتشي بالمكسيك، وهذا هو مفتاح الخزانة الزجاجية المعروض بها!

صكَّ «آجن» أسنانه بغيظ بينما خبط «هرماس» على جبينه، بقوة ليُكمل «توراك» صراخه:

- ولماذا لم تُعطِ لنا هذا المفتاح من أربع ساعات أيها الحقير؟! لقد أضَعت وقتنا في طقوس حمقاء مثلك!

أبعد العجوز يد «توراك» عن صدره ليجيبه بنفس الهدوء:

- هذه هي القواعد، وأنا لم أضعها! يجب أن يتم الأمر بالترتيب حتى تنفتح الأبواب.

فزفر «هرماس» بضيق وهو يقول:

- ولمَ وضعوا القناع بمتحف عام ليأخذه الوحش بسهولة بعد أن كدنا نفقد حياتنا من أجله؟! ما هذا الهِراء!

ابتسم العجوز وهو يقول:

- القناع لم يُعرَض أبدًا يا فتى!

ردد «آجن» بنفاذ صبر:

- تقول خزانة زجاجية معروض بها، والآن تقول لم يُعرَض أبدًا! لقد نفد صبري منك ولن يمنعني أحد من قتلك الآن!

ليقطع «آجن» الخطوات نحوه سريعًا، وقبل أن يصل إليه يخلع رأسه المبتسم بغلاظة عن جسده، وقفت شويكار سريعًا وهي تهدر بهم:

- اهدأوا أرجوكم!

لتلتفت نحو «نيكراس» وهي تحذره بنظرة نارية من عينيها قائلة:

- اشرح الأمر سريعًا قبل أن أقتلك أنا!

ارتعاش عينيه خوفًا جعلت الحماة يشعرون بقليل من الراحة، ليبدأ «نيكراس» بشرح الأمر:

- عرف الأجداد بجواز أن يحصل الوحش على جزء السلاح، فصعَّبوا الأمر بقدر الإمكان حتى لا يصل إليه، ولكن للأسف، منذ سنوات قليلة وبعد انحدار حضارتنا بسبب الجفاف الذي أصابنا قرابة قرن من الزمن، دخل الأسبان لبلدنا وبعدها تقسَّمت أراضينا، جزء من بلادنا دخل تحت حكم أمريكا، والجزء الآخر في المكسيك، بدأوا بالحفر والفحص والاكتشافات، فبذلنا جهودًا خرافية حتى نستطيع إخفاء هذا الجزء عن أعينهم، ولكننا لم نستطع الحفاظ على جزء القناع، فوضعته جدتكم في خزانة مصنوعة من زجاج البركان الأسود، والمعروف عنه أنه أقوى من أي معدن، لم نكن نستخدم المعادن في حضارتنا، لذلك يستحيل تحطيمه بل يجب فتحه.

تأففت «ساڤانا» وهي تقول:

- وماذا بعد؟!

فأكمل «نيكراس»:

- لقد وضعَت الصندوق في إحدى السراديب السرية الخاصة بمدينتنا، ولكن للأسف عندما بدأوا بحفر السراديب منذ ثمانين سنة تقريبًا، وجدَه أحد المستكشفين ووضعوه في المتحف.

أوقفه «توراك» وهو ينفث اللهب قائلًا:

- قلت منذ قليل أن الصندوق لا يُفتَح إلا بالمفتاح، فكيف استطاع أحد المستكشفين أخذه؟!

أجابه «نيكراس» بعملية:

- الماسكايباشا ما زال في صندوقه ولم يستطِع أحد أخذه.

قاطعته «إلينا» وهي تلف حوله بتوتر:

- ما هذا الهراء؟! ألا يستطيع العدو تحطيم الصندوق وأخذ السلاح؟

تأفف «نيكراس» قائلًا:

- لن ينفتح الصندوق إلا بالمفتاح! فالزجاج البركاني لا يتحطم أبدًا.

ثم رفع كفه أمامها قبل أن تتكلم مرة أخرى:

- سر صناعة الزجاج البركاني لم يكتشفه أحد إلى الآن، فهو من أسرار حضارتنا، دعوني أكمِل حتى تلحقوا وقتكم الثمين.

فأشار له «آجن» ليُكمل.

- تتبعت أنا السلاح الذي سُرِق، ووجدتهم يضعونه في خزنة زجاجية بالمتحف الذي ذكرته سابقًا، وبعد انصراف الجميع، فتحت الخزنة وأخذت الصندوق وقررت أن أضعه في مكان آمن، ولكن أحدهم شعر بي، لأجد بعدها رجالًا يُحيطونني بأسلحة مدببة، استطعت أن أهرب منهم بأعجوبة قبل أن يمسكوا بي، ثم اختفيت فترة قصيرة لأصنع جزءًا يُشبه الماسكايباشا وصندوقًا يشبه الصندوق الأصلي، وبعد أن وضعت خطة لأخذ السلاح، نجحت الخطة بالفعل وتسللتُ إلى الداخل دون أن يشعر بي أحد، واستطعت الخروج من المتحف دون أن يكتشفني أحدهم، ولكن لسوء الحظ لم يكن هناك سرداب بين أمريكا والمكسيك، فقد ردموا كل منافذنا السرية بعد أن قسَّموا أراضينا، فلم أستطع العودة لوضعه في مكان آمن، فعدت للمتحف بسرية كما دخلت، ووضعت الصندوق الأصلي في مكان سري تحت الصندوق المزيف.

تكلم «هرماس» وهو يقبض على كفيه بقوة:

- وأين سنجد المكان السري؟

أجابه «نيكراس»:

- ستجدونه بداخل الخزنة الزجاجية المعروض بها القطعة المزيفة.

تأففت «إلينا» وهي تخبط بكفيها قائلة:

- هل تعرفون كمَّ الحراسة على المتحف الآن؟! آخر مرة كنت بجولة ميدانية إلى المتحف، فتشونا تفتيشًا ذاتيًّا، بالإضافة إلى أجهزة الإنذار والليزر الموجودة على كل المعروضات، لمسة واحدة للزجاج وتنطلق صفارات الإنذار لتجتمع شرطة المكسيك وجيشها فوق رؤوسنا!

تكلم «آجن» بهدوءٍ ظاهر قائلًا:

- لنهدأ قليلًا ونستريح حتى نستطيع التفكير في حل.

أيَّده «هرماس» قائلًا:

- وأنا معك، لن نستطيع أن نجد حلًّا دون راحة وطعام، نحن جميعًا منهكون.

ابتسم «نيكراس» وهو يتقدَّمُهم قائلًا:

- حسنًا تعالوا معي، أستطيع توفير طعام ومكان آمن لكم، استريحوا قليلًا ثم أكملوا.

تحرك الجميع وراءه بقلق شديد وتفكير كاد يفتك بهم، الأمر صعب كثيرًا، والحل سيكون أكثر خطورة!

وقف «نيكراس» قائلًا:

- تستطيعون التحول الآن، ودعونا نذهب لشبه جزيرة يوكاتان، فقبيلتي تعيش هناك إلى الآن، وسنكون في مأمن أكثر من هنا.

خلع كلٌّ من الحماة خاتمه ليتحول ثلاثتهم ويأخذ كلا منهم قطته على ظهره، وقف «نيكراس» ينظر لهم ببلاهة ليتحدث «توراك» لـ«ساڤانا» بلغتهم

الخاصة قائلًا:

- دعي هذا العجوز الأحمق يركب خلفكِ حتى ننطلق.

هزت رأسها إيجابًا وأبلغته بالأمر، ليصعد على ظهر «توراك» مبتسمًا وهو يقول:

- كنت سأختاركَ أيها الطائر!

انطلق «آجن» و«هرماس» لوجهتهم، بينما رفرف «توراك» بجناحيه ليصعد لأعلى، فانزلقت «ساڤانا» تلتصق بجسد العجوز خلفها، فشهقت من رؤيته يبتسم بشكل مقزز.

ليتكلم «توراك» بغضب وهو يتأرجح بهما:

- تقدمي للأمام ساڤانا ولا تشهقي هكذا كالبلهاء، حتى لا أتخلى عن آخر ذرة تعقل وأقذف بهذا العجوز الحقير من أعلى!

تقدمت «ساڤانا» سريعًا لتتمسك بريش عنقه بقوة قائلة:

- أهدأ توراك، لم يحدث شيء.

وصل «توراك» ليوكاتان فهبط سريعًا على الجزيرة، ليعود لجسده يقترب من العجوز يقبض على عنقه بشدة وعيناه تلونتا بالأحمر الدموي، وخلفه «ساڤانا» تحاول تهدئته، فلم يُلقِ لها بالًا وهو يقول:

- أقسم لكَ إن اقتربت من أي منهن مرة أخرى...

صك أسنانه وهو يهز رأسه نفيًا ليُكمل:

- ... لن أقتلك! صدقني لن أريحكَ سريعًا، بل سأفعل بكَ كما كنتم تفعلون بالأضحية في المعابد!

ثم ابتعد عنه وهو يرمق «ساڤانا» بنظرة غاضبة قائلًا:

- اتبعيني.

امتثلت للأمر وهي ترتجف، فلأول مرة تراه بهذا الغضب.

وصل الأخرون، وبعدة نداءات على «توراك» كان ينضم إليهم وما زال الغضب يحتل ملامحه، لينظر إليه «هرماس» بتعجب قائلًا:

- ماذا بكَ توراك؟

أجابه الأخير بهزة نفي من رأسه قائلًا:

- لا شيء، ماذا سنفعل الآن؟

- دعونا نتنزه قليلًا ونُفرِغ طاقتنا حتى نستطيع إكمال الأمر.

قالها «آجن» وهو ينظر للمياه بشوق شديد، ليكمل وهو يقترب من الشاطئ:

- سأنزل للمياه حالًا، أشعر أنني لست بخير.

ذهبت «شويكار» خلفه ليقول «هرماس»:

- حسنًا، وأنا سأنصب الخيم في هذا المكان الرائع.

رفعت «إلينا» رأسها تتأمل النخل الطويل الشاهق بالإضافة لأشجار الجوز المنتشرة على الشاطئ، لتقول بانبهار:

- إنه حقًا مكان رائع! أنا واثقة أننا سنستمتع هنا كثيرًا.

اقترب «هرماس» منها يهمس لها:

- راودتني فكرة جميلة!

التفتت له تضم حاجبيها ليكمل هو:

- لا لن أخبرك، سأجعلها مفاجأة!

ختم جملته وهو يغمز لها بعينيه، ليتحرك «هرماس» تتبعه «إلينا» وهي تتذمر نحو حقائبهم ليُخرِجا منها الخيمات.

*****

وفي مكانٍ آخر..

لكزته «ساڤانا» في كتفه قائلة:

- لمَ كل هذا الغضب توراك، أقسم لكَ أنه لم يمسَّني!

التفت إليها ليتصاعد غضبه بشدة وهو يمسك كتفيها حتى تأوهت من ضغطه الزائد عليها، ليتكلم من بين أسنانه:

- شعرت بجسده يحتكُّ بك، ابتعدي عني الآن حتى لا أرتكب حماقةً وأهدم كل ما جئنا لأجله!

ليتركها وهي تنظر له بعينين تكادا تخرجان من محجريهما، لتراه ينطلق نحو البحر بأقصى سرعة ويرمي نفسه فيه بغضب شديد، فالتفتت «ساڤانا» نحو صوت «نيكراس» الكريه وهو يقول:

- حاميكَ هذا ناري الطباع.

ليُكمل وهي تقترب نحوه بعيني قطة تريد الهجوم على من أغضبَ حبيبها:

- أعجبتني ضحكتكِ لا أكثر.

دفعته ليسقط أرضًا متأوهًا من ارتطام رأسه بالرمال، لتعتلي «ساڤانا» فوقه تضع قدميها على رقبته قائلة:

- كلمة أخرى وصدقني سأقطعكَ إربًا بيدي هاتين، قد نلنا منك ما يكفي اليوم!

اقتربت من وجهه وعيناها تتلوَّنان بالأزرق اللامع، وأكملت:

- لن تَسعدَ برؤيتي حين أكون غاضبة، إلى أن نترك هذا المكان لا أريد سماع صوتك إلا بمساعدتنا للحصول على السلاح، في غير ذلك لن أتوانى للحظة عن تقطيعك بأظافري هذه!

قالت جملتها الأخيرة وهي تشهر له أظافرها المدببة، ليبتلع العجوز ريقه بصعوبة ولم يجرؤ على الرد عليها لقد تجاوز حده وهو معترف بذلك!

ابتعدت عنه «ساڤانا» حين سمعت صوت أناسٍ يُهرولون نحوهما، ليظهر بعضهم على الأشجار والبعض الآخر يُحيطها وهم يحملون رماحًا مدببة الرأس تلمع كالذهب. كادت تخلع سلسالها وتهجم عليهم حين وجدت «إلينا» و«هرماس» يجرون نحوها، فأمسك «نيكراس» بيدها يهز رأسه لها نفيًا وهو يشير لقبيلته قائلا:

- إنهم معي.

اقتربت «إلينا» من «ساڤانا» لتقف بجوارها، ويتبعها «هرماس» الذي أحاط القطتين بيديه وهو ينظر إليهم بشراسة يتفحص وجوههم الغريبة وملابسهم الأغرب! جميعهم عرايا الجسد لا يرتدون سوى قطعة قماش واحدة تتدلى من وسطهم إلى أسفل، ويغطي أجسادهم وشم على صور حيوانات، وحتى وجوههم تملؤها الوشوم! يمتزون بشعر طويل مجدول بشكل منمق يربطونه كذيل حصان. ضم «هرماس» حاجبيه بغرابة، ليتكلم «نيكراس» بلغتهم القديمة وهو يصيح بهم:

- عودوا لبيوتكم، إنهم ضيوف عندنا.

فامتثلوا لأوامره وعادوا بهدوء، ليتكلم «هرماس» قائلًا:

- من هؤلاء؟

- إنهم من قبائل المايا التي ما زالت تعيش بعاداتنا القديمة.

قالها «نيكراس» وهو يهم بالرحيل ليكمل:

- سأحضر لكم بعض الطعام.

ثم التفت قائلًا:

- لا تقلقوا، لن يتعرضوا لكم مرة أخرى، أنتم هنا بأمان.

تأففت «ساڤانا» وهي تنظر نحو «هرماس» قائلة:

- هل انتهيتم من نصب الخيام؟

أشار لها «هرماس» إيجابًا، لتنطلق «ساڤانا» نحو الخيم متجاهلة أن تسأل «هرماس» عن «توراك»! بعد قليل خرج «آجن» من المياه تتبعه «شويكار»، والتي وصل صوت ضحكاتها لـ«ساڤانا» التي تتصنع النوم، نادت «شويكار» على الجميع فأجابتها «إلينا»:

- أنها ستجلس في خيمتها لتأخذ قسطًا من الراحة إلى أن يأتي نيكراس بالطعام، ولا تعلم أين ذهب هرماس!

لم ترد «ساڤانا» على نداء «شويكار»، لتغلق عينيها بقوة عندما سمعت صوت «توراك» وهو يقترب من الخيمة ويُجيب على «إلينا» أنه موجود، لتسأله بذعر على «ساڤانا»، فنظر «توراك» داخل خيمتهما وهو يقول:

- ساڤانا هنا يا إلينا لا تقلقي.

اقترب منها بخطوات بطيئة لتحاول هي أن تتنفس براحة حتى لا يكتشف أنها ليست نائمة، انتظرت ليقترب منها يوقظها أو حتى ليطمئن عليها، ولكنه أحبطها حين أخذ حاسوبه من جانبها ورجع ليجلس في مكان بعيد عنها، تأففت بصوت خفيض وهي تتمتم: «ماذا فعلتُ أنا ليغضب مني هكذا؟!»، ثم سكتت سريعًا وأغمضت عينيها حين شعرت أنه قام من مكانه ليقترب منها مرة أخرى، فوضع حاسوبه بجوارها وهو يهمس لها:

- لا تتصنعي النوم ساڤانا! قومي الآن، أريدكم جميعًا حالًا.

ليبتعد مرة أخرى ينادي على الجميع، فاعتدلت «ساڤانا» وهي تقول بغيظ:

- حسنًا توراك.

جاء الجميع على صوت «توراك» ما عادا «هرماس»، والذي لا يعرفون أين ذهب، أصابهم القلق الشديد وبدأت «إلينا» بالفزع، ليتحول «توراك» سريعًا وهو يقول:

- لا تقلقوا، سأجده وأعود به حالًا.

جلست «شويكار» و«ساڤانا» بجوار «إلينا» التي بدأت تفرك يدها بتوتر شديد، ليقف «آجن» أمام الخيمة في حالة تأهب، وبعد دقائق عاد «توراك» وبجواره «هرماس» وهم يتضاحكان على شيءٍ ما.

قامت «إلينا» تصيح غضبًا:

- تضحكُ وأنا هنا أموت قلقًا عليك!

اقترب منها قائلًا بهدوء:

- أنا بخير حبيبتي، لا تقلقي!

- هيا اجلسوا لأخبركم بخطة نستطيع بها أن نسرق القناع.

قالها «توراك» وهو يجلس متربعًا فجلسوا جميعهم، وقبل أن يتكلم «توراك» قاطعهم «نيكراس» آتيًا بالطعام، توقف الجميع عن الحديث ليأخذ «هرماسٍ» من «نيكراس» أكياس الطعام من أمام الخيمة وهو يبتسم له بفظاظة قائلًا:

- شكرًا لك، تفضل أنت، وحين نحتاجك سنبحث عنك.

مشى «نيكراس» كما أمره «هرماس» دون أن ينطق بكلمة، ثم نظر «هرماس» لظهره وهو يسبه ليعود للخيمة يضع الطعام أمامهم، وقال:

- هيا نأكل، سأموت جوعًا، وأنتَ توراك أشرح لنا خطتك.

أخذ «توراك» بعضًا من الطعام في فمه وهو يقول:

- قبل أن ألتقي بساڤانا كنت أعمل على اختراع فيروسٍ يستطيع أن يخترق أي جهاز أمني في العالم، جربته على بعض المؤسساتٍ الحكومية وتم الأمر بنجاح، وعثرت منه على المعلومات الخاصة بساڤانا وإلينا وشويكار وتتبعتهم.

قاطعه «آجن» بقوله:

- أنتَ عبقري توراك!

شكره «توراك» على تعليقه ليكمل:

- أستطيع أن أخترق أأمن المتحف لنأخذ جزء الماسكايباشا دون أن ينطلق جهاز الإنذار.

صفقت له «إلينا» بإعجاب، بينما نظر لها «هرماس» وهو يرفع حاجبه بغضب، لتتوقف «إلينا» على الفور وهي ترفع كفيها أمامه، ابتسم «توراك» وهو يقول:

- ستدخل واحدة منكن بعد أن أخترِق جهاز الأمن لتأخذ السلاح، ونحن الخمسة سنعمل على تشتيت الانتباه خَارج المتحف.

قاطعته «ساڤانا» سريعًا:

- حسنًا، سأدخل أنا.

لم ينظر إليها ليكمل:

- حسنًا، ستدخل ساڤانا ونحن سنعمل على إلهاء الحرس بالخارج.

توقف الجميع عن الاسترسال حين سمعوا ضجة شديدة بالخارج!

هرولوا نحوها جميعًا ليقفوا أمام الخيمة، كل حام يتمسك بيد قطته خوفًا من المجهول، لينظر الجميع نحو «إلينا» التي شهقتْ بصوت مرتفع وهي تصيح باختفاء «هرماس»!

*****

الفصل الثامن عشر

خرج الجميع من الخيمة ليروا ما يحدث وإلى أين ذهب «هرماس» وسط الضوضاء لتبدأ «إلينا» بالصراخ باسمه، وهي ترى هؤلاء القوم بالزي الغريب والوشوم الأغرب، ولكن ما لفت نظرها هي المرأة التي تتقدمهم، فتوقفت عن مناداته وهي تنظر إليها بغرابة.

ترتدي لباسًا واسعًا فضفاضًا يصل لكاحليها بلون الشمس وقت الغروبٍ، ومنقوش بٍنقوش غريبة الشكل مطرزة ببعض الأحجار، وترتدي فوقه حبلًا طويلًا ملتفًّا على رقبتها يتدلى منه قرص ذهبي يصل لخصرها، تمسح جبهتها بنفس لون ردائها وترفع شعرها الطويل لأعلى، ولكن الأغرب في الأمر هو ما تمسكه بيدها! وعاء حجري بثلاث قوائم يتصاعد منه دخان كثيف ذو رائحة مميزة، وأخذت تُلوِّح به نحو «إلينا» وتتغنى باللغة الماياوية وهي مغمضة العينين! ليتحرك الجمع من حولها من رجال ونساء وأطفال يتمايلون على غنائها بطريقة متناسقة.

- يا إلهي! ماذا يفعلون؟!

قالتها «ساڤانا» المندهشة ليقترب منها «توراك» هامسًا:

- سترين الآن!

ضمت حاجبيها عندما تجاهلها ليقف بجوار «آجن» يهمس له، فيبتسم الأخير وهو يردد:

- هرماس المجنون!

خرج «هرماس» من وسط الجمع وهو عاري الصدر يضع وشم أسد كبير على كتفه ويجدل شعره عدة جدائل في نهايةٍ كل واحدة منها شريط ملون، ويمسك بيده قوسًا وعدة نبال، وعقد اتفاقًا ليضعهم تحت أقدام «إلينا»، ليبدأ باقي القوم من المايا تتعالى أصواتهم بمرحٍ وهم ما زالوا يتراقصون على

غناء المرأة التي تتقدمهم!

شهقت «إلينا» لرؤيته لتضع يدها على فمها وهي تراه يجثو على ركبتيه وفي يده علبة خشبية يفتحها، ليظهر لها ما بداخلها وهو عبارة عن خاتم مصنوع من الحجر البركاني يعتليه حجر بلون الشمس، قائلًا لها باللغة الماياوية:

- أتتزوجينني؟

صفق الجميع من حولهم ليقف «هرماس» وهو يبتسم ليكمل:

- هل تقبلين قطتي؟

أشارت برأسها إيجابًا وهي مدمعة العينين، لتنطلق في أحضانه تقبِّله في جانب عنقه وهي تهمسك

- أحبكَ جدًّا!

اقتربت منهما السيدة لتضع الوعاء فوق رؤوسهم تلوح به يمينًا ويسارًا، ليُبعد «هرماس» «إلينا» برفق عن أحضانه يمسك بكفها ليُلبِسها الخاتم، لتبدأ المرَأة بتلاوة طقوس الزواج، وبعد لحظات وقفت تواجه شَعبها الذي بدوره انحنى أمامها بإجلال، ثم ودَّعهم الجميع بعد دقائق من إتمام مراسم زواجهما وهم يباركون لهما.

بعد أن ذهب شعوب المايا انطلقت «شويكار» و«ساڤانا» نحو «إلينا» لتحتضناها بشدة وهما تتقافزان بصراخ هستيري، متجاهلين «توراك» و«آجن» وهم يتذمرون من صراخهم، ليتكلَّم «آجن» معاتبًا:

- لقد فتحت علينا بابًا لن نستطيع إغلاقه هرماس!

ضحك الأخير وهو يحمله و«آجن» يصرخ به، ليجري «هرماس» سريعًا يقذف به نحو المياه، ليهرول عائدًا نحو «توراك» الذي بدوره جرى بأقصى سرعة نحو الأشجار، تاركين القطط وراءهم تضحكن بأصوات مرتفعة بسعادة ومرح.

بعد قليل أخذ كل حامٍ قطته ليستريحا في خيمتهما لساعتين قبل الانطلاق

نحو المتحف.

دخل «تـوراك» ينفض عنه الرمال التي علقت بقميصه وهو يتصارع مع «هرماس» في نوبة المرح التي أصابته، ليخلعه في النهاية ويستلقي على الشراشف التي جاء بها «نيكراس» من أجل أن يناموا براحة على الرمال.

اقتربت منه «ساڤانا» عابسة الوجه تلكزه في كتفه قائلة:

- أستَنام؟

أجابها وهو مغمض العينين:

- لقد نمت بالفعل!

تأففت وقالت:

- اجلس من فضلك وأخبرني في الحال، لمَ أنتَ غاضبٌ مني؟

لم يُعِرها اهتمامًا، ليستدير يوليها ظهره قائلًا:

- تُصبحين على خير ساڤانا، ارتاحي قليلًا، فأنا أريد تركيزكِ الكامل حتى تستطيعين إتمام مهمتك.

استدارت هي الأخرى تواجهه، وقبل أن تلكزه في كتفه بغضبٍ أمسك كفيها بقوة ليفتح عينيه ببطء:

- لم أرَ شراستكِ هذه عندما لمسكِ الحقير نيكراس!

صرخت به بنفاذ صبر:

- لماذا تحاسبني على شيءٍ لم أفعله توراك؟! أنتَ مختلٌّ حقًا!

حاولت أن تشد يدها لتنهض من جواره، فقبض على معصمها وهو ينظر لها بهدوء ظاهري:

- نعم، أنا أحاسبكِ على شيء لم تفعليه!

نظرتها احتدت ليكمل هو:

- كنت أنتظر منكِ صفعة على وجهه جزاءً لفعلته، ولكني لم أرَ في المقابل سوى...

- لم يحدث شيء توراك! اهدأ قليلًا!

ليترك يدها ويستدير مرة أخرى يغمض عينيه، فاستلقت هي بجواره توليه ظهرها وتبكي بصمت، شعر بارتجاف جسدها بجواره فزفر بضيق وهو يلف جسده نحوها يقترب منها ويجرها نحوه محتضنًا إياها، ثم همس لها:

- لن تتكرر مرة أخرى، أفهمتي؟!

مسحت دموعها وهي تبتسم ليمسد هو شعرها قائلًا:

- ارتاحي الآن، فلدينا يوم عصيب.

اكتفت بهز رأسها إيجابًا وهي تتنهد براحة وتغط في نومٍ سريع.

*****

منذ قليل في خيمة «آجن».. دخل الأخير يخلع ملابسه المبتلة ويرتدي غيرها سريعًا متوجهًا نحو الفرشة يعتليها وهو يقول:

- لنرتَح قليلًا شويكار، تعالي استلقي بجواري واتركي هذه الوقفة البلهاء والابتسامة الحالمة التي تعلو وجهك منذ رأيتكِ هرماس المجنون.

عبست «شويكار» وهي تركل الرمال بغضب قائلة:

- بارد وبلا شعور!

أمرها بصوتٍ حاول أن يجعله جديًّا:

- هيا شويكار، كفاكِ تذمرًا!

تجاهلته لتخرج من الخيمة بغضب، فلحقها «آجن» سريعًا ليمسك مرفقها قائلًا:

- أين تذهبين أيها المجنونة؟! استريحي قليلًا، لا نعرف ماذا سيحدث لنا عند اقتحام المتحف.

نظرت إليه ليتحول عبوسها لحزن وهي تقول:

- اتركني آجن.

زفر بضيق وهو يتركها قائلًا:

- كما تحبين، ولكن داخل الخيمة.

تبادلا النظرات ليكمل هو:

- أرجوك!

تخطته لتدخل الخيمة تستلقي، ليخبط هو جبهته بغضب قائلًا:

- غبية!

نظر للمياه يريد أن يرمي بهمومه فيها علّه يرتاح، هو خائف حد الرعب من أن يموت في سبيل حمايتها ويتركها تعيش حياتها على ذكراه، لن يتهور مثل «هرماس» ولن يستطيع أن يعادل علاقته مثل «توراك»، يجب عليها أن تتقبل قدرها، فهم لديهم مهمة محددة، وبعد إنجازها يجوز التفكير بالأمر.

توقف عند هذا الحد ليعود مستلقيًا بجوارها يحاول النوم قليلًا، ولكنه يعرف أنه لن يستطيع!

*****

استيقظت «إلينا» فزعة لينتفض «هرماس» بجوارها يحتضنها مطمئنًا:

- اهدئي إلينا، أنا هنا حبيبتي.

بدأت تتنفس برتابة فأبعدها يحاوط وجهها بكفيه قائلًا:

- ماذا رأيت؟

هزت رأسها وهي تقول:

- لا عليك، سنتجاوز الأمر كما فعلنا سابقًا.

قبَّل جبينها مبتسمًا ليغير مجرى الحديث:

- صباح الخير زوجتي!

ضحكت «إلينا» بخجل مرددة:

- صباح الخير!

وبعد قليل، انطلق الجميع لوجهتهم بعدما التقوا بـ«نيكراس»، والذي أخبرهم عن مكان السلاح تحديدًا، مؤكدًا عليهم أنه من المحتمل أن يكون مكان الخزنة الزجاجية تغير منذ آخر مرة رآها فيه، ولكنه حرص على أن يلتصق الصندوق الأصلي بالمزيف، ففي النهاية عند رؤية المزيف سيكون الأصلي تحته. التف الجميع حول حديقة المتحف الخارجية بعد أنٍ وصلوا إلى هناك، ليجلس «توراك» خلف إحدى الأشجار يخرج حاسوبه قائلًا:

- كل اثنين منكم يأخذ وجهة، وأنا سأقف في الوجهة الأمامية، انتظروا إشارتي.

انطلق «آجن» و«شويكار» للجانب الأيمن، بينما أخذ «هرماس» و«إلينا» الجانب الأيسر. بعد لحظات قام «توراك» ليضع حاسوبه في حقيبته ويتركه بجوار الشجرة وهو يقول:

- لقد انتهيتُ ساڤانا، سأشتت انتباه الحرس على البوابة الأمامية، بينما أنتِ ستتسللين من الخلف، أمامنا أقل من عشر دقائق حتى يعود جهاز الإنذارَ للعمل مرة أخرى.

همت «ساڤانا» بالرحيل، فأوقفها يحتضنها بقوة قائلًا:

- توخي الحذر، وإن تعرض إليكِ أحدهم لا تترددي بقتله على الفور.

هزت رأسها وانطلقت، ليجري «توراك» متوجهًا لباب المتحف الرئيسي وهو

يصفر بالإشارة المتفق عليها وهي صوت طائر الحسون المميز!

عندما سمعوا إشارة «توراك»، خلع كل حام خاتمه وكل قطة سلسالها، ليتحول الجميع لحيوانات مفترسة. تجمع الحرسً من كل مكان ليحاوط كل عدد منهم إحدى الحيوانات بأسلحتهم النارية، تسللت «ساڤانا» للداخل من إحدى النوافذ الزجاجية، لتشهق عندما وجدت العارضات الزجاجية الطولية الضخمة في البهو الرئيسي، وفي منتصفها دائرة زجاجية كبيرة توضع خريطة بداخلها.

شعرت بالدوار الشديد وهي ترى كم الأقنعة المتشابهة الموضوعة داخل الزجاج بإتقان، التفت حول نفسها وهي تبحث عن جزء القناع الذي تعرفه جيدًا، أصابها إحباط الشديد يتحول لفزع وهي تردد:

- يا إلهي! ماذا أفعل؟ أين وضعوه؟!

نظرة سريعة لساعة يدها جعلتها تدبدب بقدميها غاضبة، لم يتبقَّ سوى خمس دقائق، ثم خرجت من الصالة الخارجية لتجد ممرات مفتوحة على بعضها البعض، وبخطوات سريعة بدأت بتفقدها بتركيز تامٍّ، ولكن ًاليأس أصابها حين لم تجده في أي منها!

جلست على الأرض تنظر بجميع الاتجاهات، لتنتفض في لحظتها فزعة حين سمعت صوت طلقات نارية بالخارج، دقات قلبها تسارعت بشدة لتبدأ بالركض في أرجاء المكان بلا وجهة محددة، الخوف بدأ يسيطر عليها أن يصيب أحدهم مكروه، ثلاث دقائق وتنطلق صافرات الإنذار، ووقتها لن يستطيعوا الحصول على السلاح، فهذه فرصتهم الوحيدة!

توقفت سريعًا وهي تراه أخيرًا في إحدى الزوايا بداخل صندوق من الزجاج السميك للغاية، وقفت تنظر يمينًا ويسارًا تبحث عن أي آلة حادة، ولكنها لم تعثر على شيء، واتتها فكرة فنفذتها فورًا. لتخرج بعدها قبل ثلاث ثوانٍ من انطلاق جهاز الإنذار!

ركضت نحو «توراك» لتركب سريعًا على ظهره وهو يتلوَّى يمينًا ويسارًا

محاولًا أن يتفادى الرصاصات الموجهة نحوه حتى وصل للشجرة، فالتقطت «ساڤانا» الحقائب لينطلق هو محلقًا لعنان السماء، صفَّرَ بعدها كطائر الحسُّون، فانطلق البقية بأقصى سرعة لهم في اتجاه صوت «توراك».

توقفوا منهكين من إصابتهم بعد عدة أميال، لتتوجه كل قطة نحو حاميها تشفي جروحه، حتى استعاد الجميع قوتهم، بدأوا باحتضان بعضهم البعض بسعادة، لا يشعرون بـ«ساڤانا» التي ما زالت شاردة، ليتكلم «توراك»:

- هل وجدتِ السلاح ساڤانا؟

أخرجت صندوقًا زجاجيًّا أسودًا غريب الشكل، لتُناوله إياه بشرود، فابتسم لها مشجعًا:

- أحسنتِ قطتي، كنت أعلم أنكِ ستُنجِزين المهمة بإتقان، ولكن لمَ جلبتِ الصندوقَ بالكامل؟

اقتربت منها «شويكار» وهي تضم حاجبيها قائلة:

- ما بكِ ساڤانا؟ ماذا حدث بالداخل؟

جلست على الأرض منهكة تقص لهم ما حدث:

- لم أجده بسهولة، لقد بحثت عنه معظم الوقت، وحين وجدته لم أجد شيئًا حادًّا لكسر الزجاج السميك جدًا، فتحولت سريعًا لڤينون واستخدمت مخلبي وأحدثت شقًّا دائريًّا، أخذت القناع وبحثت تحته فلم أجد أي صندوقٍ آخر فقط، حطمت كل زجاج تحته وسويته بالأرض، والنتيجة واحدة، لم أجدْ سوى هذا!

شهقت «إلينا» بينما خبطت «شويكار» بيدها نحو فرع الشجرة، وصك «هرماس» أسنانه:

- سأقتل هذا النيكراس! أقسم أنني سأعود لأقتله!

ردت «ساڤانا»:

- ليس هذا فقط ما حدث!

انتبه لها الجميع لتكمل:

- لقد لمحت صندوقًا مشابهًا وأنا أخرج من النافذة عائدة إليكم، ولضيق الوقت لم أستطع الوصول إليه.

نظر «آجن» لساعته مرددًا:

- لم يتبقَّ من الوقت سوى ثلاثة وسبعين ساعة وعشر ثوان، ولم نعرف إلى الآن مكان السلاح اللعين!

هتف «توراك»:

- ولماذا لم تفتحي الصندوق ساڤانا بالمفتاح وتتأكدي من محتواه؟

- حاولت ولم يُفلِح، صدقني!

تكلمت «إلينا» بنفاذ صبر:

- إذًا هذا يزيد من احتمالية أنه ليس الصندوق المطلوب، ولن نعرف إذا كانت هذه القطعة الأصلية أم المزيفة إلا بالرجوع لنيكراس ليُحددها لنا.

التزم «تـوراك» الصمت يفكر ما إذا كان هذا الصندوق مزيفًا، فقال له «هرماس»:

- ما العمل توراك؟ ما هو الحل إن كان هذا الصندوق مزيفًا؟

تأفف «توراك» قائلًا:

- شويكار، على الرغم من تأكُّدي بمسح كل شيء حدث بالداخل، لكن التكسير وسحب الصندوق بأكمله سيجعلهم يكتشفون السرقة، وبعد أقل من نصف ساعة سيُغيرون برنامج الأمان، وقتها سيأخذ مني كثيرًا من الوقت لصنع فيروس اختراق آخر، بالإضافة إلى أنهم سيبحثون عنا في كل مكان الآن، والحراسة على المتحف ستتضاعف أضعافًا.

وقفت «ساڤانا» تعتذر بألم، ليقترب منها «توراك» يمسد شعرها:

- لا عليكِ حبيبتي، لم يكن خطأك، الوقت كان قليلًا ولم نكن نعرف مكانه بالداخل تَحديدًا، هذا خطأي أنا!

تساءلت «إلينا»:

- لماذا هو خطأك توراك؟

أجابها وهو يتأفف بضيق:

- كان يجب عليَّ اختراق نظام المراقبة لنحدد مكانه عبر الكاميرات قبل أن تدخل ساڤانا.

ربت «هرماس» على كتفه قائلًا:

- لا عليكَ توراك، هيا بنا ننطلق عائدين للعجوز ليحدد لنا أولًا هل هذا الجزء هو الأصلي أم المزيف، ووقتها نستطيع حل الأمر.

أيَّده «آجن» وانطلق الجميع عائدين لشبه جزيرة توركان، وبعد قليل من البحث وجدوا «نيكراس» يجلس على الرمال، اقترب منه «آجن» بجزء السلاح قائلًا:

- أخبرنا، هل هذا الجزء ؟

ضم «نيكراس» حاجبيه ليقف بغضب قائلًا:

- أخبرتكم عن مكانه، ما الذي حدث؟!

اقترب منه «هرماس» يهجم عليه يقبض على عنقه يهدر به:

- مهمتكَ كانت تسليمنا السلاح أيها الأحمق، وليس أن نبحث عنه نحن ونتعرض للموت ونضيع نصف وقتنا في البحث عنه.

أغفل «نيكراس» عند صراخ «هرماس» بوجهه:

- تفقد هذا الصندوق اللعين، المفتاح لم يفلح معه، وأخبرنا هل هو الأصلي أم المزيف، هيا!

أمسكه «نيكراس» بيده برفق ثم قال:

- أريد المفتاح.

أخذه ووضعه داخل فتحة قفل الصندوق، ثم سلمه لـ«شويكار» الأقرب له وقال لها:

- عليكِ بإدارته في هذا الاتجاه أيتها القطة الحسناء.

اشتعلت عينا «آجن» بلونهما الأزرق ولكنه تماسك، وأومأ لـ«شويكار» بتنفيذ ما طلب، وتم فتح الصندوق وكان بداخله يقع جزء ذهبي، سحبه «نيكراس» بسرعة يستشعر ملمسه، أغمض عينيه وبدأ في تلاوة تعاويذ غريبة حتى ظهر ضوء أخضر مفاجئ غلف القطعة ثم اختفى بسرعة، وبابتسامة خبيثة سلمه لـ«هرماس» المشتعل قائلًا:

- إنها القطعة الحقيقية.

وقبل أن يلكمه في وجهه البغيض أمسك «آجن» بيده المقبوضة وقال بهدوء:

- إنه شيخ كبير لا تضربه، سيغيب عن وجوهنا للأبد، علينا البحث عن وجهتنا القادمة.

التفت الجميع نحو «ساڤانا» التي سقطت من وسطهم فجأة، مقفلة العينين بارتعاشة شديدة شملت جميع جسدها وكفوفها مقبوضة بشدة وعصبية، انحنى «توراك» فورًا بلهفة شديدة، فصرخ به «هرماس»:

- اتركها توراك، يبدو أنها في رؤيا، لا تشوش عليها حتى لا نفقدها.

وعند «نفقدها» التي نطق بها «هرماس»، لم يستطع «توراك» السيطرة على نفسه وسحبها لأحضانه فورًا يحتوي ارتعاشها وانتفاضها إلى أن انتهت أخيرًا.

فتحت عينيها ببطء هذه المرة، وجدت نظرات الخوف واللهفة تحاصرها من حاميها، تصاعدت حمرة خديها عندما أيقنت أنها بين أحضانه أمام الجميع، فجلست بسرعة وسعلت قليلًا، ابتسم «توراك» وسألها بحنان:

- ماذا رأيتِ قطتي؟

رفعت رأسها للجميع وقالت:

- رأيت جدتنا وأمامها أُناس ببشرة بيضاء وشعر أسود ليلي معقود فوق رؤوسهم بعصيان خشبية رفيعة، ولهم عيون ضيقة مسحوبة.

شحب وجه «إلينا» لوصفها وبدأت في إدراكه، وسألتها بتوجس متمنية أن يكون إدراكها خاطئًا:

- ماذا تعنين ساڤانا؟

تنهدت «ساڤانا»:

- أعني أن جدتنا وضعت آخر جزء في القارة الأسيوية، تحديدًا في الصين.

صرخت «شويكار» معترضة:

- ماذا؟! ماذا تقولين؟! الصين! هل جُنَّت جدتنا؟! ترسلنا من قارة لِقارة! ما هذا الهراء الذي يتكاثر بحق الله؟! ألا يمكنها تقريب المسافات قليلًا؟!

هتف بها «آجن»:

- شويكار! كُفِّي عن التذمر لمرة بحياتك.

- التذمر! هل هذا كل ما يضايقك آجن! ألا تعرف عدد ساعات السفر بالطائرة؟! فما بالكَ بمجموعة من المتحولين؟!

تدخل «هرماس» لفض شجارهما:

- اهدأ آجن، شويكار معها حق، هذه المرة اللعنة تحيط بنا من كل الجوانب!

- أفيقوا يا رفاق! نحن حماة الكوكب، ألا نستطيع الذهاب لمكانٍ بعينه!

رد «آجن» بعصبية جديدة عليه.

- فليصمت الجميع!

هتف بها «توراك» بخشونة وأردف:

- الكل على حق، المسافة بعيدة جدًا، ولكنها في مصلحتنا حتى لا يسبقنا الوحش إليها، لكن الأمر الذي يخيفني فعلًا هو سكوته وصمته هكذا، ألا تلاحظون؟!

تدخلت «ساڤانا» قائلة:

- يبدو أن جميع هذه الأماكن محمية جيدًا من قبل جدتنا.

- نعم ساڤانا يجوز ذلك، والآن لأول مرة نحتاج لتحول الجميع لكي نلحق بالذهاب قبل انتهاء الوقت وازدياد الظلام، سننتقل كما تعودنا، كلا بقدرته ومعه قطته، ولكن هل يمكنك تحديد المكان بالضبط؟

- نعم لقد رأيت أحدهم يرحب بجدتي ويقول حاكم مدينة ليجانغ.

تمتمت «شويكار» بغضب:

- أتمنى أن تكون مدينة للأموات ولا يصادفنا مثل هذا الأبله.

وأشارت بيدها نحو «نيكراس» الذي كان يتابع حوارهم وتناحرهم سويًّا بابتسامته الخبيثة المعهودة، بنظرات غاضبة أطلقها «توراك» نحوه ثم تجاهله تمامًا يرفع ساعته أمامه:

- هيا يا رفاق، لم يتبق لنا على المعركة الكبرى سوى سبعين ساعة!

أومأ الجميع وبدأوا في تحولهم، وكانت آخر ما تمتمت به «إلينا»:

- لن ننجو هذه المرة!

*****

الفصل التاسع عشر

وصلوا جميعًا لمدينة ليجيانغ الصينية التي تتمتع بسحر الطبيعة الخلابة، كانت تقع بوادٍ يحيطه جبال ثلجية، أثارت الطبيعة الخلابة وهدوء المنطقة في هذا الوقتً الراحة والطمأنينة بنفوس القطط خاصة، فقد كانت رحلاتهم السابقة تمتاز بالصخب.

قالت «ساڤانا» بنبرة حانية:

- آه! إن لأشجار الصفصاف في قلبي مكانة خاصة.

تبسم «توراك» ثم قال:

- ولمَ يا قطتي؟

هربت دمعة من بين أهدابها أسرعت بمحوها بكفها ثم قالت:

- لقد زرع أبي بحقلِ جدي واحدة منذ ولادتي وسماها باسمي، بجانبها تقبع اثنتين أخريات واحدة زرعها عند زواجه بأمي والأخرى أيضًا عند ولادة أختي، لي ذكريات كثيرة معها، فكنت أخط عليها أهم ما يحصل معي بكل مرةٍ من رحلاتنا إلى هناك.

مسح بكفه على رأسها قائلًا:

- لا بأس، سأزرع لكِ واحدة وبالمكان الذي يعجبك، اتفقنا؟

أومأت برأسها إيجابًا قائلة:

- حسنًا، اتفقنا.

قال «هرماس»:

- والآن كيف لنا أن نعرف المكان الذي يحوي القطعة الأخيرة من القناع؟

وقفت «ساڤانا» تتذكر تلك الرؤيا التي أخذتها للماضي، لتهتف قائلة:

- كان المكان يعج بالمارة وهناك قصر كبير جدًا.

سكتت لبرهة ثم أردفت بخفوت:

- هذا ما أتذكره حاليًا!

ربتت «إلينا» على كتفها وهي تبتسم بحنان:

- لا تقلقي عزيزتي ستتذكرين، تعالي نتمشى قليلًا لعلكِ إن رأيتِ المعالم ستتذكرين.

قال «آجن» بتعب:

- علينا أن نقصد مكانًا للراحة، وهناك فنادق كثيرة للسواح ما رأيكم أن نقصد أحدها للراحة قبل كل شيء.

أيدته القطط بإيماءة رؤوسهن إيجابًا، فهتف «توراك» بعملية:

- يجب ألا نطيل استراحتنا، ينتظرنا عمل غامض ولا نعرف خطورته أو الوقت الذي يحتاجه!

اتفق الجميع على أن ينالوا قسطًا من الراحة لمدة قصيرة لا تزيد عن الساعتين، واتجهوا إلى أحد الفنادق التي توسطت المدينة، وبينما هم يمشون ممعنين الأنظار لأشجار الصفصاف والأبنية الجميلة، متلذذين بسمعهم لهدير الماء الذي كان الصوت الوحيد الذي شغل سمعهم، تسللت قطة بين أقدامهم ثم أصدرت مواءً عاليًا وهي ترفع ذيلها مستقيمًا وقد كشرت عن أنيابها، مما جعل الحماة يفزعون بحركة واحدة، أما القطط فصرن يضحكن على انتفاضتهم لقطة صغيرة! انحنت «ساڤانا» بجذعها تمد يدها وببطء تمسد رأس القطة التي التمعت عيناها بوميض غريب، جعلت ابتسامة «ساڤانا» الوديعة تختفي وتسحب يدها سريعًا!

نظرت «شويكار» لـ«إلينا» التي انتبهت هي أيضًا لردة فعل «ساڤانا»، فأسرعت «إلينا» بالوقوف وهي تتقدم بخطواتها السريعة للحماة ثم هتفت:

- لقد حدث أمرٌ غريب.

تساءل «هرماس» مقطبًا حاجبيه:

- وما هو؟ مالذي حدث؟

أجابته «ساڤانا» بنبرة متوترة:

- القطة التي فزعتم منها، أعتقد أنها مرسال من أحد ما!

هتف «آجن»:

- كيف عرفتِ ساڤانا؟

أجابته بسرعة:

- عندما انحنيت لأمسد لها ظهرها برز وميض من عينيها مميز، جعلني أسافر للماضي برؤيا لثوان، وقد رأيت نهرًا تقف بجانبه امرأة كبيرة بالسن!

قال «توراك» موجهًا كلامه للحماة:

- ما رأيكم؟ هل نغامر ونتبعها أم ننسى أمرها؟

أجابه «هرماس»:

- أنا أرى أن نتبعها ولكن علينا الحذر.

أيده «آجن» ثم قال:

- نعم أنا رأيي كذلك، أن نتبعها لكن يجب أن نحتاط، وإن تعرضنا لخطر يجب أن نتحول وبسرعة!

صدح صوت الجميع بالموافقة فهتفوا:

- حسنًا.

ركض الجميع ليتبعوا القطة التي كانت تمشي باحترافية تعبر الجسور الصغيرة لتدخل الأزقة، وكأنها تعي جيدًا ما تفعل! أما هم فتوقفوا مندهشين وهم

ينظرون نحو المدينة وعمرانها. البيوت مرصوفة بجانب بعضها البعض، بدت كأنها متشابهة جدًا، كلها تمتاز بالسطوح ذات القرميد والأبواب الخشبية التي نقشت بنقوش لحضارتهم الخصبة بالثقافة والهندسة المعمارية، بارزة بلون البرونز الأخاذ محاطة بسورٍ عالٍ. أما الشوارع فقد كانت مبلَّطة بالأحجار المرصوفة بإتقان بالغ، يتخللها جداولٌ بماء يجري محدثًا هديرًا جميلًا، وهناك بعض الأزقة يربطها الجسور الصغيرة ببعض ذات الطابع القديم، يوجد لها أقواس من ناحية الأسفل.

الناس بدأوا يخرجون من منازلهم، بعضهم يتوجه لعمله، فاغلب أعمالهم كانت إما تجارة الشاي أو الزراعة أو إدارة الفنادق والمطاعم على أساس حركة السياحة الزاخرة عندهم، وبعضهم يتجه صوب البرك التي تتوسط أزقتهم، فكل زقاق كان يحتوي على ثلاث برَك يفصلها عن بعضها سد بمنتصفه فتحة ليدخل الماء من الأولى إلى الثانيةٍ وعلى الثالثة عن طريقها، وكانت هذه البرك هي مصدر الماء لديهم قديمًا، فالبركة الأولى هي ماءٌ للشرب، والثانية لغسل الخضروات، أما الثالثة فهي لغسيل الملابس، ومصدر الماء هو النهر الذي يحيط المدينة بأكملها ويمدهم بالماء عن طريق شبكة القنوات والجداول المعقدة البناء.

وبينما هم يمشون انتبهوا أن القطة قد اختفت، فصاروا يتلفتون باحثين عنها هنا وهناك، لكن لا جدوى! فهبَّ «توراك» قائلًا:

- دعكم منها الآن، لنكمل طريقنا، وإن كانت تحمل سرًّا فستأتي إلينا مرة أخرى.

وافقه الجميع حتى وصلوا لأحد فنادق المدينة، دخلوا لفنائه الذي كان كلوحة شدت أنفاسهم لها، مساحته واسعة، أرضيته عبارة عن أحجار مرصوفة، محاط بنباتات مزروعة بأصص ترتبت حول محيطه لمزروعات منوعة الأحجام والأشكال، نفحات عطر أزهارها انتشرت بينهم فجعلتهم يأخذون شهيقًا يحتفظون به.

وما شدهم أكثر، ذاك الجدول الذي شق مجراه جانبًا على يسار الفناء وصوت هدير مياهه الأخاذ، والذي كان بجانبه شجرة صفصاف كبيرة تتدلى أغصانها بجمالية زاهية، وترتسم تحتها مصطبة خشبية تتظلل بتلك الشجرة نقشت على مساندها الجانبية نقوش من الفلكلور الصيني.

ركضت «شويكار» نحو الجدول لتمد يدها بشغف تحمل بكفها ماءً منه ترشفه بتلذذ، هتفت بصوت مرح:

- آجن، انظر إنه جميل.

تبسم لها «آجن» ثم قال:

- نعم، إنه كذلك، له رائحة مميزة بعثت في نفسي الارتياح.

بعد ثوان، أخذوا يمشون عبر الفناء ليصلوا لدرجات قليلة تؤدي إلى باب الدخول الخشبي المكون من قطعتين طوليتين منقوش عليهما شكل تنين، اعتلوا الدرجات ليصلوا للباب الذي انفتح على مصراعيه، وظهر لهم ستة أشخاص يقفون بصف واحد بملابس فلكلورية وقبعات من قماش، تعتلي وجوههم ابتسامات تبعث في النفس الطمأنينة والسلام، وانحنوا جميعهم لهم، كان أولهم رجل سبعيني بملامح تضج بالكهولة والوقار، يتزين ذقنه بلحية طويلة بيضاء وشوارب طويلة من الجوانب، تراصفوا أكثر وأمسكوا بأيدي بعضهم وصاروا يهتفون بتحيات بلحن جميل، وانقسموا قسمين: الرجال تغني، والنساء تصنع لحنًا بأصواتهن حتى بدت كسمفونية متكاملة!

أما عن الرجل الذي ترأسهم، كان يُهلل لهم بكلمات بلغتهم تعني «مرحبًا بالضيوف»، وصاروا يرقصون كالدبكة، انبهر الحماة والقطط للترحيب وصاروا يضحكون بمرح، والقطط تتمايلن على أنغام الترحاب.

حتى اكتمل الترحاب بانحناءة لأجسادهم للأمام وهم مبتسمين، تقدمت منهم سيدة كبيرة بالعمر كلمتهم بلغة إنكليزية محترفة قائلة بود:

- أهلًا بكم في مدينتنا، مدينة النهر الجميل، مثلما رأيتم هذه تحيتنا للزوار

الذين يقصدون مدينتنا السياحية.

أومأ الجميع برؤوسهم إيجابًا، ثم ألقوا التحية عليهم يشكرونهم لحسن الاستقبال، فأردفت المرأة قائلة:

- اسمي يانا يون وهؤلاء عائلتي.

أجابها «توراك» بود:

- أنا توراك.

وأخذ يُؤشر على أصدقائه بالتتابع.

- وهذا آجن وهرماس، وهذه شويكار وساڤانا وإلينا.

خطت على مبسمها ابتسامةً عذبة لتقول:

- أهلًا بالشباب، من المؤكد أنكم متعبون، تعالوا خذوا مفاتيح غرفكم للراحة وبعدها انضموا لتناول العشاء معنا، سنسعد أن انضممتم إلينا.

قال «آجن»:

- لن أحتاج للراحة والطعام بقدر احتياجي للماء والغطس، فجسدي توَّاق للماء وخاصة لعذوبة هذا النهر.

ابتسمت «شويكار» وبنظرة التمعت بعينيها قد فهمها هو، فجعلته يقول:

- نعم، يمكنك المجيء معي.

احمرت خجلًا لشفافيَّتها المفرطة التي جعلته يكشف خباياها ثم همست:

- حسنًا هيا بنا.

جذب كفها بكفه البارد ثم استدارا يخرجان من الفندق متجهين إلى النهر، أما «توراك» فقد أخذ المفتاح من السيدة «يانا» وهرب بـ«ساڤانا» غير مصدق أنه سيرتمي بجسده على سرير وينام أخيرًا، تبعهما «هرماس» و«إلينا» اللذان

تمكن منهما الإرهاق الشديد.

وصلا الغرفة ثم وقف «هرماس» يبتسم بحب وهو يغمز لها:

- هيا بنا!

فابتسمت بخجل وهو يرتشف ذلك الخجل بقبلة شغوفة جعلتها تذوب بين يديه، وبعد رحلة القبلة البديعة تلك، اتجهً صوب السرير ليضعها برفق وعينيه لم تبرحا وجهها الملائكي الذي تزين بتلك النظرات الخجولة والوجنات المتوردة، ثم استلقى بجوارها وأغمض عينيه وهو يضمها إليه لينالا قسطًا قليلًا من الراحة. وصلت «شويكار» و«آجن» للنهر الذي لا يبعد عن الفندق بكثير، ليخلع هو ملابسه وينزل للماء بشغف ظاهر للعيان، وصار يتقافز ويغطس تحت أنظار «شويكار» التي بدت معجبة بحركاته وأحبت حبه للماء. خرجٍ للشاطئ وجسده المبتل يلمع بلون أشعة الشمس الذهبية يبتسم ابتسامةً شقها على ثغره زادت من وسامته، تقدم منها وهو ينفض الماء من شعره ثم قال:

- ما رأيك لو أخذتكِ تحت الماء لترطبي جسدك، أكيد أنتِ متعبة، سيُنعشكِ الماء!

التمعت عيناها وظلت واجمة كالبلهاء تنظر له بطريقة غبية، لم تتحرك حتى أنها لم ترمش، فهمها وبدون أي مقدمات جذبها من كفها وصار يركض وهي خلفه تتشبث بكفه تشهق متفاجئة، ليدخل معها للماء.

سار بها لعمق الماء وهما يقهقهان ضحكًا حتى صار الماء يغطيهما لمستوى مرفقيهما، انعكست أشعة الشمس بحدقتيها فجعلتهما كأحجار كريمة بلون العسل، وفجأة سكتا عن قهقهتما وصارا ينظران لباطن أعينهما البعض بتمعن وكأنهما تمثالان جمدا عن الحركة، وبعد عدة ثوانٍ قطع تأمله بحركة من يديه ليرفعها لوجهها يزيح تلك الخصلة العسلية من شعرها الناعم عن جبهتها ويلفها وراء أذنها، وصار يداعب وجنتها بطرف بنانه بحركة حانية اقشعر بدن «شويكار» لها، فتنحنحت قائلة:

- بدأت أبرد، فلا يُلائمني هذا الوقت من السنة، مرضي يشتد به، علينا العودة للفندق وأخذ قسطٍ من الراحة، فلا أريد أن أمرض الآن.

ابتسم لها ثم قال مبعدًا يده عنها حتى لا يحرجها أكثر:

- حسنًا، لكن انتظري لدقائق، لا تبرحي مكانك.

هتفت به بخوف:

- لكن إلى أين تذهب يا آجن، لا تتركني هنا وحدي، إني أخاف الماء.

غطس «آجن» لينزل لعمق النهر، ظلت واقفة تنتظره، وما هي إلا ثوانٍ وخرج بصَدفةٍ قدَّمها لها ثم قال:

- هذه لك.

انبهرت للصدفة فأخذتها لتفتحها، ثم تفاجأت حينما وجدت لؤلؤة سوداء تتوسط تلك الصدفة، لتشهق غير مصدقة.

نظر لها بنظرة ود وقد أدهشته فرحتها لتلك الهدية البسيطة، تقرب منها أكثر ثم قبَّل جبينها وهو يقول:

- هيا بنا إذًا.

تنهدت براحة وتركت له يدها ليقودها خارج الماء، توقفت فجأةً وهي تنتفض على صوت مواء دوى بأذنها، مما جعلها تصم أذنيها بيدها مبتعدة عن «آجن» الذي استغرب لحالها، فقال لها مستفهمًا:

- ما بالكِ شويكار؟ هل هناك خطب؟

أجابته وهي منزعجة من ذلك الصوت:

- إنه صوت القطة غريبة الأطوار، تلك التي صادفناها اليوم.

قال لها بنبرة حانية:

- تعالي نخرج من الماء لنقصد الفندق، يجب أن ترتاحي.

استجابت له وخرجا من الماء، وعند وصولهما للشاطئ كانت القطة غريبة الأطوار تقف على أطرافه تحرك ذيلها ذات اليمين وذات الشمال وتموء بصوت خفيض، اندهشت «شويكار» لما رأته وكذلك «آجن»، نظر كلاهما لبعضهماً مستغربين وضعها، تقدمت منها «شويكار» بخطوات بطيئة فجعلتها تقفز إلى الناحية الأخرى تتجه صوب الجسر الذي يربط بجهتي النهر.

قال «آجن» لها:

- شويكار، دعكِ منها ولنذهب للفندق، لم يتبقَّ لدينا وقت كثير.

قالت له وهي على نفس الوجوم:

- نعم، حسنًا.

وبعد ساعتين من وصول الجميع إلى الفندق، هناك وفي غرفة «إلينا» و«هرماس» تحديدًا، كانت «إلينا» تستلقي على السرير و«هرماس» بجانبها يحتضنها، تململت «إلينا» بنومها وصارت تلف رأسها يمينًا وشمالاً مصدرةً صوتًا دلَّ على انزعاجها من رؤيا قيدتها بنومتها.

استيقظ «هرماس» على صوتها ثم جلس ينتظر أن تنتهي الروئ، فهو لا يريدها أن تستيقظ علها ترى شيئًا يدلهم على ضالتهم.

صار يمسد جبينها بكفه وبهدوء بعد أن سكنت قال:

- إلينا حبيبتي، استيقظي.

وببطءٍ فتحت جفنيها لترى «هرماس» يجلس بقربها، فقالت له بصوتٍ عالٍ وهي ًشبه مفزوعة:

- هرماس! لقد تتبعت القطة برؤياي، كانت قد أتت إلى الفندق ومشيت وراءها، وقد كان مبتغاها أن أتبعها لنصل إلى نهر يصل جانبيه جسر أسفله أربعة أقواس، وقد وقفنا كلنا هناك ثم طلبت منا النزول تحت الماء، بعدها...

هبَّ «هرماس» بصوتٍ عال:

- أكملي إلينا، بعدها ماذا؟

أجابته وهي تمسد جبهتها:

- لا أتذكر! فقط هذا الذي رأيته.

جذبها من ذراعها ليضمها لصدره يطمئنها، وبعد قليل خرج «هرماس» و«إلينا» تتبعه ليجتمعا مع البقية كي يتناقشوا بما استجد من أمور بخصوص القطعة الأخيرة من قناع الماسكايباشا، جلس الجميع بالفناء الخارجي للفندق يتناقشون برؤيا «إلينا»، وتقربت منهم السيدة «يانا» مستأذنة:

- سمعتكم وبمحض الصدفة تتحدثون عن شيءٍ لي معرفة به، هل تودون المساعدة؟

نطق الجميع بصوت واحد وبدون تردد:

- نعم، سيسعدنا ذلك.

فقالت بنبرة واثقة:

- لدينا أسطورة تقول إن المدينة يحميها ثلاثة عشر تنينًا متمثلين بالجبال المحيطة بمدينتنا، وأيضًا يحمون التنين حامل نبوءة الخلاص.

استغرب الجميع، فقال «توراك»:

- وما هي نبوءة الخلاص؟

ابتسمت بثقة ثم قالت:

- تقول الأسطورة إن نهرنا الجميل يوجد تحته إرث الخلاص، وهو تمثال لتنين كان يحمل عبر آلاف السنين قطعةً من الذهب، لها قطع مشابهة منتشرة بغير أماكن من العالم، وإن تجمعت الثلاث قطع، استخدمها المختار لحماية الأرض، وقد أتت به سيدة مع حام معها ووضعاه بذلك المكان، لذلك نحن فخورون بمدينتنا، فقد خُصَّت بهكذا أمر وهو حماية سلاح الخلاص، ومنذ مجيئكم إلى هنا وقد رآكم مُنجِّم المدينة فأخبرني بمهمتكم، فعرفت حينها

أن واحدة منكن هي حفيدة السيدة صاحبة الأسطورة التي خصت مدينتنا بحماية إرث الخلاص وآخر حامٍ لها منكم. مَن منكن الحفيدة؟ أنتِ صح؟

وأشارت لـ«ساڤانا» التي أجابتها:

- نحن البنات جميعنا حفيدات تلك السيدة، فنحن من سلالتها، والشباب هم أحفاد الحامي أي من سلالته، ومهمتنا جميعًا حماية الأرض وجمع السلاح وقد شارفنا على النهاية.

تبسمت السيدة لهم ثم قالت:

- أنتم أهلٌ لتلك المهمة أكيد، ونحن فخورون بكم لأنكم ذخر الأرض وحماتها، والآن هلموا بنا نقصد النهر، وأيضًا سندعو السيد وانغ ليجلب الكتاب المقدس حتى نفهم كيفية البلوغ وجلب إرث الخلاص. توجهوا للنهر جميعًا ما عدا السيدة «يانا» التي ذهبت لتأتي بالعراف «وانغ»، وما هي إلا لحظات وقد وصلت معه لعندهم.

كان السيد «وانغ» يرتدي زيًّا غريبًا ليس كزي السيدة «يانا» وأبنائها، ويعتمر قبعة تتدلى منها عدة خيوط تحوي خرزًا ملونًا، الكهولة سيطرت على محياه حتى أن ظهره شديد الانحناء وصوته مرتجف، يتكئ على عصا رأسها مزخرفة بزخارف وحروف صينية. وصل لعندهم وقد جثا على ركبتيه يحني جذعه للأسفل وكأنه يسجد لهم، تبادلوا نظرات الاستغراب لما فعله العجوز، فقالت السيدة «يانا»:

- إن السيد وانغ يُحيِّي حماة الأرض بطريقته الخاصة.

استقام بوقفته ليتكلم بلغته الصينية وبلكنة مدينته، وبعدها ترجمت السيدة:

- ها قد حان الوقت، لقد باركني جدي بمد عمري حتى أحمل سر إرث الخلاص وأسلِّم لكم حل اللغز.

فقال «آجن» للمرأة كي تترجم كلامه له:

- أين يقبع ذلك التنين؟

أشار الرجل بعدم فهم، وبعد أن ترجمت السيدة سؤال «آجن»، أجابهم:

- هناك تحت القوس الثاني من الجسر يكون التمثال مثبتًا بأحد أعمدة الجسر تحت الماء.

أغمضت «إلينا» عينيها وهي تلكز «هرماس»، تنبَّه أنها رأت رؤيا، أشار لهم «هرماس» أن يتوقفوا عن الكلام، فتوقف الجميع حتى فتحت «إلينا» عينيها بعد عدة لحظات قائلة:

- السلاح مخبأ بين أحجاره، لن نتمكن من بلوغه إلا إذا قرأت ڤينون التعويذة على التمثال، فتنفتح لها الأحجار وتجلبه.

قال «آجن»:

- سأذهب لكي أتأكد من مكان التمثال، وفي هذه الفترة قرروا مَن ستنزل معي.

اقترب «هرماس» من «إلينا» متسائلًا:

- القطة مرة أخرى؟!

هزت رأسها إيجابًا وهي تقول:

- تحولت لسيدة مسنة وأخبرتني بالأمر، توقفت لتكمل ولكن...

ضم حاجبيه فزفرت بضيق قائلة:

- حذرتني هرماس!

نزل «آجن» للعمق وقد شاهد التمثال كما وصفه العجوز، تمثال عملاق مثبت بأحد الأعمدة، بناؤه فريد وكأنهم اليوم أكملوا بناءه، حتى أنه لم يتأثر بالماء، لا لونه ولا طبيعة صخوره.

تحرك حوله يمينًا ويسارًا يتفحص جوانبه، وبعد ثوانٍ وجد الفتحة المنشودة موضوعة على أحد أجنحة التنين، ابتسم وهو يتوقعٍ أن التمثال يفتح بوضع

أحد القطط يديها على الفتحة الجانبية كما حدث في المايا، أسرع بالخروج وتوجه نحوهم قائلًا:

- لقد وجدته ووجدت الفتحة، والآن علينا الإسراع، من منكن ستنزل معي.

قالت «شويكار»:

- أنا لا أستطيع تحمل الماء.

فقالت «إلينا»:

- أنا سأنزل.

وبدأت تردد سرًا التعويذة التي أخبرتها بها القطة المتحولة:

«لا صخر ولا ماء يمنعني، ولا حتى قوة من بطش وحشٍ ستهزمني، لي غاية ومرادي خير ولا شر سيردعني، تفككي يا حجارة وأبلغينيً غايتي، فالأرض وما عليها السلام فيها مهمتي!».

حفظت «إلينا» كلمات التعويذة وصارت ترددها بقلبها، ثم توقفت قائلة بتعجب:

- هناك تعويذة يجب عليَّ أن أرددها.

أجابها «آجن»:

- ما هذا الهراء؟! كيف سترددينها تحت الماء؟!

وقف الجميع بذهول للحظات حتى قال «آجن»:

- هناك على جانب التمثال فتحة جانبية، أظن أن عليكِ أن تضعي يدكِ بها، وهذه التعويذة مؤكد لها مجال آخر!

هزت رأسها نفيًا وهي تقول:

- لا أعلم حقًا!

تدخل «توراك»:

- فلنجرب إذًا!

وافقه الجميع، وقبل أن تخطو «إلينا» خطواتها الأولى توقفت فجأة والخوف نهش أوصالها لما راودها من رؤيا وهي تخطو للنهر، كان «هرماس» أول المنتبهين لها، فأسرع إليها يحتضنها من الخلف، فطن أنها خائفة لتنفيذ تلك المهمة، فقبَّل رأسها وقال:

- دعكِ منها، إن لم تستطعي سنجعل ساقانا تنزل.

أومأت برأسها نفيًا وقالت بصوت متقطع:

-هرماس، لقد رأيت حالًا رؤيا تنذر بالخطر ولن ننجو حقًا هذه المرة.

أسرع الجميع إليها وهم يصغون لها بتمعن، ثم أردفت:

- هنا! سنتعرض للخطر هنا!

وأشارت بيدها لمكان وقفتهم، ثم أدارت وجهها إلى جبلٍ بعيد:

- سيبرز لنا الخطر من هناك.

وأشارت له بيدين مرتجفتين، كلماتها جعلتهم يقفون بوجل من اللحظات القادمة، وما هي إلا ثوانٍ وصرخت «شويكار» برعب وهول وصدح صوتها بينهم قائلة:

- انظروا! لقد تحققت رؤيا إلينا!

*****

الفصل العشرون

التفت الجميع إلى السماء التي تجمعت بها سُحب سوداء فجأة بعد صراخ «شويكار»، أظلم المكان وبدأوا في سماع أصوات تحركات وتمزق غريب في أحجار الجبل المقابل لهم على الجهة الأخرى من النهر.

هتف «آجن» بـ«إلينا»:

- هيا إلينا لنجلب ذلك التمثال اللعين قبل حدوث أي شيء.

قفز بـ«إلينا» قبل أن تستوعب الأمر، سحبها نحو الجسر وقال:

- اسحبي نفسًا عميقًا قبل الغطس.

حركت رأسها ثم أخذت شهيقًا طويلًا بدون زفير ونزلت معه إلى التمثال المنشود. النهر رائع والتمثال يقبع بأمان في مكانه، فقط يحتاج الحامي ليد القطة، والقطة تقبع وراءه بوجه ممتعض نتيجة لكتم أنفاسها، فسحبها «آجن» وأوقفها أمام التمثال لتضع يدها على فتحته الجانبية، وما إن وضعت يدها اهتز التمثال بشدة، فأسرع «آجن» ورفع يد «إلينا» من عليه بعد أن ازرق وجهها وبدأت في الاختناق!

ما أن لمسه حتى اشتدت حرارة المياه فجأة وظهرت تنانين حية عددهم اثنا عشر، وبدأت في الانقضاض عليهم تهاجم أقدامهم وأجسادهم وتسحبهم نحو الأعماق!

فزع «آجن» عندما رأى استسلام «إلينا» وسحبها نحو الأسفل، أمسك بذراعيها وأصبحت كلعبة الحبل بينه وبين التنانين المتوحشة التي تمسك بها، وبكل قوة ممكنة لديه سحبها نحوه ودفعها نحو السطح، وقبل هروبه تجمعت عليه وبدأت في سحبه مرة أخرى إلى الأسفل!

الأكسجين بدأ يقل في رئتيه الواسعتين ويحتاج إلى التحول، ولكن كيف

وهؤلاء لا يتركون له فرصة؟! وكأنهم يعرفون بماهيته فيمسكونه من ذراعه الآخر، لأول مرة بحياته يشعر بإحساس الغرق ومهاجمة المياه لآخر أنفاس الحياة لديه!

سحبت «إلينا» نفسًا عاليًا مع وصولها إلى السطح، قفز نحوها «هرماس» بسرعة وسحبها إلى الشاطئ، التف الجميع حولها يريدون تفسيرًا سريعًا للدماء المحيطة بجسدها، والتي بدأت تختفي تدريجيًا، بأنفاس متقطعة شرحت لهم وضع «آجن» المميت، وقبل أن تقفز «شويكار» إليه أمسكَ بها «توراك» وهتف به:

- ابقي هنا يا مجنونة! أنا سأساعده وأنتم خذوا السيدة والسيد وعودوا إلى الفندق سريعًا.

وقبل أن يعترض أحدهم على «توراك» رفع القدر يده، وباعتراض شديد اللهجة التفت الجميع على صوت ما، فرأوا تنينًا ضخمًا يتجه نحوهم من الجبل البعيد ينفث نارًا تحول كلٌ الأشجار بطريقة إلى رماد!

هتف «توراك» بسخرية لاذعة:

- يبدو أنه لا أمان ولا راحة لأحدنا، سأنزل لآجن سريعًا، وأنتِ سيدة يانا، خذي السيد وانغ واذهبا، فلا قِبَل لكم بمصيرنا الرائع!

سحبت السيدة «يانا» «وانغ» كما أخبرها «توراك»، ولكنه رفض الابتعاد وصمم على الاحتماء فقط وراء أحد المباني القريبة من النهر ليشاهد الموقف، وردد:

- هناك شيء خاطئ يحدث!

بينما تحول الثلاثة إلى ڤينون بعد رفض «إلينا» الابتعاد، حيث تحول «هرماس» إلى وحش بري كبير ذي أجنة ليعادل قوة التنين المجنح. وبعد أن قرر «آجن» الاستسلام لمصيره في سبيل عودة التنانين لأماكنها وإمكانية أصدقائه من النزول وسحب التمثال مرة أخرى، ترك نفسه للتنانين تسحبه

نحو الأعماق، وقبل أن يفقد آخر ذرات الأكسجين، ظهر له «توراك» الذي اقتحم المياه ووصل إليه، حاول سحبه فأشار «آجن» للوحوش الملتفة حول قدمه وذراعه الآخر، فبدأ «توراك» بالمهاجمة، ولكن «آجن» أشار له أن يساعده على التحول، فسحب «توراك» خاتم «آجن» والذي تحول على الفور لقرش ضخم شرس، ثمٍ أشار لـ«توراك» نحو التمثال، وما إن حاول الاقتراب منه حذره «آجن» قائلًا:

- لن تستطيع، ڤينون فقط!

أشار له «توراك» برأسه متفهمًا ثم صعد إلى الأعلى ليسحب أنفاس الحياة، وعندها رأى وحشان يتقاتلان، أحدهما التنين الضخم والآخر كائن لا يستطيع تحديد ماهيته، ولأول مرة يرى قططهم تتقاتلن في معركة ضارية، ولكنه قرر تجاهل كل ذلك وخرج للبحث عن «وانغ»، فهم لا يملكون غيره الآن!

هجم «هرماس» على التنين الذي استقبله بدفع كرة نار ذات لهب أحمر حارق، استطاع في أول مرة تجنبها، ولكن بعد أن نبش بمخالبه في جسد التنين عاجله بكرة أخرى أصابته، فخرجت صرخة وحشية منه انقض عليه على إثرها الثلاث قطط بالتتابع، أمسكت «إلينا» بأحد أقدامه تحاول تثبيته في الأرض، بينما قفزت «شويكار» على أجنحته الطنانة لتعيق حركته، و«ساڤانا» التي انقضت بمخالبها على رقبته تنبش فيها، بينما «هرماس» يسدد له الضربات والتي يقاومها بضراوة وبناره التي لا تخمد!

أخيرًا وجد «تـوراك» «وانـغ» بعد أن نادت عليه «يانا» تنبهه بمكانهم المختبئين فيه، وقف أمامهم مبلل الجسد يلهث ويهتف:

- هناك عدد من التنانين في الأسفل تهاجم آجن بضراوة، ولا نستطيع سحب التمثال المقصود.

ترجمت «يانا» بسرعة، فاصفر وجه الرجل وعلى صوت أنفاسه قال:

- كيف؟! هذه التنانين موجودة فقط لحماية سلاح الخلاص، ولا تهاجم أحدًا

سوى السارقين!

- لا أعلم يانا، أخبريه أن علينا التصرف بسرعة، المعركة بالأسفل غير متكافئة ولا نستطيع مساعدة آجن!

- نعم بالطبع غير متكافئة، فصديقكم هالك بلا محالة، يبدو أن أحدهم عكس التعويذة فهجمت التنانين عليه!

رفع «توراك» رأسه إلى السماء المظلمة والتي ترعد وتبرق بشكل رآه من قبل، ففطن للأمر وقال:

- نعم، يبدو أني عرفت من هو، ولكن ما الحل؟

أمسك «وانغ» بالكتاب المقدس وبدأ في التقليب في صفحاته بسرعة شديدة، ووضعه أصابعه على بعض الكلام، ثم رفع رأسه نحوهم قائلًا:

- هناك تعويذة ستساعدكم، ولكن لأدائها لا بد من دماء ذلك التنين المجنح أولًا!

وقف «توراك» وبنبرة شرسة قال:

- حسنًا سآتي به حالًا!

خلع خاتمه وتحول إلى طائر ضخم مجنح واتجه نحو التنين، والذي كان قد بدأ في الترنح والضعف بالفعل نتيجة لهجماتهم المتتالية عليه، وبضربة قاضية من «توراك» الغاضب أودت به أرضًا محدثًا هزة عنيفة اهتزت الأرض لها، خلع الجميع خواتمهم وهبط «توراك» يحدث جرحًا قطعيًا بجثة التنين لتخرج منه الدماء بغزارة، فخلع خاتمه وأشار لـ«وانغ» الذي كان قد اقترب فعلًا وجثا أرضًا جمع بعض الرمال مشكلًا لعلامة مميزة عرفها الجميع فورًا، إنها علامة ڤينون، والتي تزين سلاسلهم التي طلبها من القطط ووضعها على الرمال، ثم سحب بعض الدماء ورشها عليها، وبكلمات صينية قديمة بدأ يرددها اتحدت السلاسل وتوهجت بضوء أحمر شديد ارتفع منها وسقط نحو

البحيرة يغطيها بالكامل لمدة ثوانٍ معدودة، ثم اختفى كليًا بعد انفصال السلاسل مرة أخرى.

سحبت كل قطة سلسالها وعادت لهيئتها، وتوجهت «شويكار» نحو شاطئ النهر بعد أن أخبرهم «توراك» بحل المشكلة التي حدثت، وتنتظر صعود «آجن» بالتمثال، ولكن لا شيء! المياه هادئة للغاية بدون أي حركة تشير لعودته، فقلقت «شويكار» والتفتت نحو و«توراك» اللذان قد اتخذا قرارهما بالقفز إلى النهر بالفعل، فقالت:

- انتظرا سآتي معكما.

رفض «توراك» قائلًا:

- لا بالطبع شويكار، لا نعلم ما يحدث بالأسفل، ستظلين هنا ويأتي هرماس معي لسحب التمثال، وأنا سأبحث عن آجن.

ليهتف «هرماس» بسؤاله:

- وكيف ستترك القطط وحدها؟!

خبط «توراك» على جبهته:

- آه! نعم، آسف لتشوشي، إذًا ستبقى أنتَ وتأتي معي ساڤانا، أنتَ لا تصلح، يجب على ڤينون حمل التمثال فلن يستطيع أحد منا!

هتفت «شويكار» معترضة، أشار لها «توراك» قائلًا:

- أنا لا أثق في تهورك ولهفتك على آجن يا شويكار، هيا ساڤانا، فقط تسحبي التمثال وتخرجي بسرعة، ولا قرارات مجنونة أو أفعال هوجاء، اتفقنا؟!

لتجيبه:

- اتفقنا!

ثم قفزا إلى النهر، وبالفعل اتجهت «ساڤانا» نحو التمثال تحاول سحبه،

بينما نزل «توراك» إلى الأسفل، نزل إلى عمق كبير ولم يجد أثرًا لـ«آجن» أو التنانين!

استمر في النزول، الرؤية تنخفض شيئًا فشيئًا، توقف قليلًا لتعتاد عيناه على الظلام، ثم قبل أن يفقد أنفاسه اتجه بسرعة نحو القاع، وهناك رأى قرشًا ينزف بغزارة ويلفظ أنفاسه الأخيرة! عرفه «توراك» فورًا وبدأ في سحبه بكل قوته إلى الأعلى، صعدت «ساڤانا» بالتمثال أولًا، استقبلها الجميع وساعدوها على الخروج ثم تبعها «توراك»، والذي ظهر رأسه فقط بينما يمسك بشيء في الماء لم يستطيعوا رؤيته تحديدًا! هتف بـ«هرماس» فقفز فورًا وبدأوا في سحب القرش إلى الشاطئ سويًّا، وبسرعة أخرج «توراك» خاتم «آجن» الذي كان قد أخذه منه لمسه به وعاد إلى صورته، ولكنه كان بشكل مريع صرخت له «شويكار» والبنات!

نصف أقدامه مفصولة عن بقيتها إلا من جزء صغير يتمسك بجسده، وجروح شديدة في وجهه وذراعيه، ينتفض ببشرة زرقاء خالية من الروح ويتفل الدماء بغزارة! انكبت «شويكار» عليه فورًا بدموعها وقدرتها على الشفاء التي أخذت وقتًا كثيرًا حتى عالجت كل ذلك، ثم رمت بجسدها على صدره البارد جدًا تحتضنه وتقبل كل جزء فيه مرددة:

- لماذا أنت دائمًا؟!

أمسك «توراك» بذراعها يمازحها ويحاول تخفيف توترها وبكائها، فسحبها قائلًا:

- اهدئي يا فتاة واتركيه ليتنفس.

صرخت به باكية:

- لا، لن أبتعد أو أهدأ توراك، لن أهدأ هذه المرة، مع كل مواجهة يُصاب أحدنا ويصبح على شفا حفرة من الموت! اللعنة على تلك المهمة المميتة وتلك الجدة الغبية التي تضعنا في اختبارات مستحيلة، فقط لننال قطعًا لا

أهمية لها سوى أنها تسحب أرواحنا، اللعنة عليكم جميعًا!

اشتعل غضب «توراك»، فأمسكت «ساڤانا» بذراعه وهمست له:

- اتركها توراك تُخرِج ما بداخلها، لقد كادت أن تفقد آجن للتو.

أومأ «توراك» برأسه لها متفهمًا، أما «آجن» الذي كان يسمع الحوار بالكامل يريد الرد وطمأنتها، ولكنه فقد كل قوة لديه ولا يستطيع حتى التحدث، كل ما استطاع فعله هو الإمساك بيدها والضغط عليها بضعف جعلها تلتفت إليه وتسأله في لهفة:

- هل أنت بخير؟ فقط حرك رأسك.

حرك «آجن» رأسه بضعف، فابتسمت له وقبلته على جبينه:

- مرحبًا بك في المهمة اللعينة مرة أخرى.

ابتسم «آجن» وتدخل «هرماس» قائلًا للجميع:

- علينا العودة للفندق والتصرف مع ذلك التمثال.

انتشرت الهمهمة الموافقة بين الجميع وحمل «هرماس» التمثال، بينما توجه «توراك» نحو «آجن» يساعد «شويكار» في حمله، وغادر الجميع ومعهم «وانغ» و«يانا» إلى فندقها. دخل الجميع إلى غرفة «شويكار» و«آجن» بعد أن وضعوه على الفراش، ودثرته «شويكار» جيدًا بالأغطية، وقالت السيدة «يانا» عندما رأت ارتعاشه جسده:

- سأعد له حساءً ساخنًا يساعده على التدفئة.

بينما جلس الجميع حوله في الغرفة ينظرون إليه وقد بدأ في استعادة لونه تدريجيًا، إلى أن السيدة «يانا» تحمل حساءً تخرج منه أبخرة ذات رائحة شهية، قدمته لـ«شويكار» التي تولت مهمة إطعامه، وبعد عدة ملاعق بدأ في استعادة جزء كبير من عافيته واستطاع الجلوس، فسأله «توراك»:

- ما الذي حدث آجن؟ وكيف تمت إصابتك بهذا الشكل؟!

تنهد «آجن» ثم قال:

- بعد أن ساعدتني على التحول وتركتني، ازدادت ضراوة التنانين، وعلى الرغم من صغر حجمها إلى أن قوتها كبيرة، خاصة وإن اجتمعوا عليك كما حدث، ولكن العجيب فعلًا أنني كلما قتلت أحدهم واعتقدت أني تخلصت منه يعود من جديد ولا يموت!

سألته «ساڤانا»:

- كيف هذا؟!

- لا أعرف تحديدًا، ولكنهم لم يتركوني سوى بضوء أحمر اقتحم المياه فجأة وصرعهم جميعًا في لحظة واحدة، ولكنني للأسف كنت قد أُصِبت بجروح بالغة ولم أستطع الصعود إليكم.

- وكيف ظهرت هذه التنانين ولم نرها؟

فردت «شويكار»:

- يبدو أنها آتية من الجبل وسبحت في النهر تتبع التنين الكبير، وبموته ماتت أيضًا.

تدخل «توراك»:

- حسنًا أيًا كان، لقد عدت بخير هذه المرة أيضًا آجن، ولكن ما حدث لم يكن بمحض الصدفة!

- ماذا تقصد توراك؟

- بعد أن خرجت من النهر مرة أخرى، أخبرني السيد «وانغ» أن أحدهم عكس التعويذة وسلط هذه الوحوش علينا، فبدلًا من حمايتنا ومساعدتنا أصبحت تهاجمنا وكأننا أحد اللصوص، بالطبع عرفتم من هو.

ردد الجميع بنفس اللحظة:

- الوحش!

- نعم، هو بنفسه!

- وماذا نفعل إذًا؟!

- لا شيء سوى الاستمرار بمهمتنا كما نحن، والآن أريد فتح ذلك التمثال.

وأشار نحو التمثال الضخم القابع بالغرفة نفسها، فتحرك «هرماس» نحوه وأحضره إلى «إلينا» الجالسة بجوار «ساڤانا»:

- هيا قطتي فلتلقي تعويذتك عليه الآن.

أومأت برأسها وبدأت في التحدث بما حفظته:

«لا صخر ولا ماء يمنعني، ولا حتى قوة من بطش وحش ستهزمني، لي غاية ومرادي خير ولا شر سيردعني، تفككي يا حجارة وأبلغينيً غايتي، فالأرض وما عليها السلام فيها مهمتي!».

فأصدر التمثال صوت قرقعة عالية وتفكك إلى نصفين متساويين، يقبع في قلبه آخر جزء من الماسكايباشا الذي كلفهم حياتهم عدة مرات!

سحبته «إلينا» بهدوء بينما أخرج «توراك» من حقيبته الجزءين الآخرين وتوجه نحو «إلينا»، سحبه منها وبدأ في تركيبهم سويًّا حتى كوَّنوا قناعًا رائعًا خطف أنفاسهم، قلبه «توراك» في يده بإعجاب، مجوف من الذهب الخالص ذو ملامح غريبة، بعيون ضيقة مسحوبة وشفاه غليظة بعض الشيء ومتناسقة بهندسية وحرفية رائعة، لتقول «ساڤانا»:

- إنه رائع!

- نعم ساڤانا رائع، ويستحق ما فعلناه لأجله.

قالها «هرماس» وضحك له:

- نعم معك حق.

تساءلت «إلينا»:

- والآن ماذا نفعل به؟

ليجيبها «توراك»:

- هذا ما نود اكتشافه في أسرع وقت، لم يتبقَّ لنا سوى خمسين ساعة فقط!

ثم التفت إلى «ساڤانا»:

- سافانا، أريدكِ أن تبحثي عن الرؤيا هذه المرة ولا تنتظريها، حتى نتجه لها مباشرة.

اعترضت «شويكار»:

- ألن نرتاح قليلًا توراك؟ آجن ما زال متعبًا!

- لا وقت للراحة، منذ الآن نريد استغلال الوقت، كل ساعة تمر تكلفنا حياتنا.

وأثناء حديثهما كانت «ساڤانا» قد أغمضت عينيها بالفعل وبدأت البحث في الماضي لدقائق، ثم فتحت عينيها وهزت رأسها بتعجب قائلة:

- لا أرى شيئًا توراك!

- كيف ذلك؟!

- مجرد رؤى لما حدث لنا من قبل، لا شيء جديد ولا أخبار عن جدتنا وأسلافنا!

- حاولي مرة أخرى وركزي أكثر.

هزت «ساڤانا» رأسها وعادت لإغماض عينيها، واستمرت لوقت أكثر ولكنها هزت رأسها بلا جدوى.

رد «توراك» بعصبية:

- إذا ماذا نفعل؟!

تدخل «هرماس»:

- اهدأ توراك! لا بد أن الوقت لم يحِن الآن، علينا الراحة قليلًا ومؤكد ستأتي الرؤيا كما تعودنا.

تنهد «توراك» ثم قال:

- حسنًا فلننَم قليلًا.

وضع «توراك» القناع في حقيبته واستعد الجميع للمغادرة، ولكن صوت «آجن» أوقفهم قائلًا:

- ماذا لو عكسنا الرؤيا هذه المرة.

التفت «هرماس» نحوه بتعجب وسأله:

- ماذا تقصد؟!

- أقصد بدلًا من البحث في الماضي، فلنبحث في المستقبل بإلينا.

تدخلت «إلينا»:

- أنا رؤياي محدودة آجن، لا أستطيع رؤية المستقبل بالكامل!

- لن يحدث شيءٌ إذا حاولنا، أليس كذلك؟!

وافقت «إلينا» وعادت للجلوس واستعدت للسباحة نحو المستقبل، دقائق طويلة انتظرها فيها الجميع بصبر نافد، طمأنتهم «إلينا» بابتسامة واسعة:

- معك حق آجن! لقد عرفت وجهتنا القادمة.

رد «توراك» بلهفة:

- أين إلينا؟

- بوابات حجرية وتماثيل ضخمة وكتابة غريبة، لا يوجد سوى حضارة آشور بالعراق.

ليثور غضبًا، فاقتربت منه «ساڤانا» تربت على كتفه تحاول تهدئته:

- اهدأ توراك، مؤكد سنحل الأمر لا تقلق.

تكلم «هرماس» وهو يحاول أن يسيطر على غضبه:

- لم يعد لدينا وقت طويل، ولا نعلم ماذا ينتظرنا بعد، لن نستطيع إتمام المهمة، الأمر يصعُب كثيرًا علينا.

- اهدأوا قليلًا! دعونا نرى ما هذه التساؤلات حتى نعرف التالي.

قالها «آجن» وهو يتوجه نحو «إلينا» ليكمل:

- أين هذه التساؤلات إلينا؟

ذمت شفتيها وهي تجيبه:

- لا أعرف تحديدًا، لم يظهر شيء.

وضعت يدها على حروف اللغز تتفقده فاختفت النقوش، ففزعت «إلينا» تعود للخلف لتجده يكتب شيئًا آخر على نفس اللوح، اقتربت منها وهي تضم حاجبيها ليقف الجميع بجوارها، وتتساءل «ساڤانا»:

- يا إلهي! ماذا يحدث الآن؟!

أجابتها «شويكار» وهي تتأفف:

- أعتقد أن هذا هو أول سؤال!

بدأت «إلينا» بتهجئة الحروف قائلة:

- ما هو حاصل قسمة نصف ضعف العدد ستة عشر على نصف ربعه؟!

جحظت عيناها بذهول لتزفر «شويكار» قائلة:

- هذا ما كان ينقصنا!

دخلت «ساڤانا» في نوبة ضحك هستريه جعلت الجميع يلتفت لها بتعجب،

لتقول من بين ضحكاتها:

- ما هذا الهراء؟! قطعنا كل هذه المسافة لنحل الرياضيات!

أغمض «توراك» عينيه بتركيز ثم فتحهما سريعًا وهو يقول:

- ثمانية!

توقفت «إلينا» قائلة:

- ماذا قلت؟

أجابها بنفاذ صبر:

- ثمانية إلينا، الحل هو «ثمانية».

رفعت «شويكار» يدها قائلة:

- حسنًا توراك، اهدأ!

ثم التفتت نحو «إلينا» لتكمل:

- كيف سنُجيب الآن؟!

تأفف «آجن» ليخبط «هرماس» على جبهته قائلًا:

- لتقترب إحداكن من الحجارة وتُجيب أمامها.

فاقتربت «إلينا» تقول باللغة المسمارية:

- ثمانية.

ابتسمت «ساڤانا» حين وجدت الأحرف تختفي ليظهر مكانها سؤال آخر، فزفرت «إلينا» بنفاد صبر وهي تخبرهم:

- رجل عمره أربعة أضعاف عمر الابن، وبعد ثلاثين سنة سيكون عمر الابن نصف عمر الوالد، فكم يكون عمر كليهما الآن وبعد ثلاثين سنة؟

التف الجميع حول بعضهم يفكرون بعمق، لتهدر «ساڤانا» بغضب:

- لن أتحمل أكثر من ذلك.

تتبعها «شويكار»:

- سأختنق الآن! هذا كثير! أقسم أنه كثير جدًا!

فتح «آجن» عينيه قائلًا:

- أعتقد أن الحل هو مئة وثماني وعشرين سنة.

اقتربت «إلينا» مرة أخرى لتقول الإجابة وانتظرت حتى تختفي الأحرف، ولكن لم يحدث شيء! حاولت مرة أخرى ولكن لا جدوى، فأخبرها «هرماس» بإجابة مختلفة لتجرب ثانية، ولكن الوضع ظل على ما هو عليه.

فزع الجميع لسماع صوت أقدام كثيرة ومرعبة تقترب من المعبد، فشهقت «إلينا» برعب قائلة:

- لقد تأخرنا كثيرًا وجاءت نهايتنا!

*****

الفصل الحادي والعشرون

اقتربت منها برعب قائلة:

- أخبرينا، ماذا يحدث في الخارج إلينا؟

حاولت السيطرة على أعصابها وهي تخبرهم بهذه الكارثة:

- جيش كبير من النجويل سيقضون علينا إن لم نسرع بحل هذه الألغاز الآن!

فانطلقت «ساڤانا» نحو الحجر المدون عليه اللغز في محاولة يائسة منها لحله، بينما فقدت «شويكار» آخر ذرة تعقل لتبدأ بصراخ هستيري:

- سنموت! سنموت! سنموت!

وجملة رددتها عشرات المرات:

- دعونا نموت ونتخلص من هذه المهمة اللعينة!

اقترب «آجن» منها يحتضنها مهدئًا إياها:

- ششش! لن نموت أيتها المجنونة! اهدئي قليلًا.

فسأل «هرماس» «إلينا» بقلق:

- ما هو هذا النجويل يا إلينا؟

وقبل تُجيبه التفت الاثنان على صراخ «ساڤانا» أمام الحجر وهي تردد:

- الحل هو مئة وثماني وعشرين سنة! اللعنة عليك!

تفاجأ الجميع بتغيُّر الكلمات، لتُكتب مكانها كلمات أخرى، فتساءل «توراك»:

- ماذا حدث؟! ألم تجرب إلينا منذ قليل؟!

أجابه «هرماس»:

- يبدو أن لكل قطة سؤال توراك يجب عليها إجابته!

القلق بدأ يتزايد والتوتر أصبح سيد الموقف، وصوت خطوات الجيش الرتيبة يقترب أكثر!

ركضت «إلينا» نحو الحجر لتقرأ آخر سؤال:

- إذا كان معك قطعة قماش طولها ثلاثون مترًا، وطُلب منكَ أن تقطع يوميًّا مترًا واحدًا، فبعد كم يوم يكون لديك ثلاثين قطعة قَماش؟

تقدمت «شويكار» بغيظٍ وهي تتأفف لتقول:

- ثلاثون يومًا!

لتُكمِل بعدها بغضب:

- لا تحتاج إلى ذكاء خارق!

زفر الجميع من عدم اختفاء الكلمات ليقول «توراك»:

- الإجابة خاطئة.

ركلت «شويكار» الأحجار بقدميها غيظًا، فأمسك «آجن» بيدها ينظر لها برفق قائلًا:

- ما بكِ شويكار؟! اهدئي قليلًا، أعتقد أن الإجابة الصحيحة هي تسعة وعشرونَ يومًا.

لم تتردد وهي تجيب:

- تسعة وعشرون يومًا أيها الغبي!

اختفت الكلمات ليتحركَ الحجر إلى الأمام بضع خطوات، فرجع «آجن» للخلف سريعًا يمسك بيد «شويكار» يحميها خلفه، ثم وقفوا جميعًا ينظرون إلى ما يحدث!

بعد انتهاء إعصار الغبار الشديد الصادر من تحرك الحائط، وجدوا شقًا كبيرًا فعبروا منه ركضًا عندما سمعوا خلفهم أصوات الجنود على الجانب الخلفي من الأحجار، وسأل «هرماس» بقلق:

- هم لا يستطيعون دخول المعبد، أليس كذلك؟! فأصواتهم ما زالت بالخارج.

هز «توراك» رأسه إيجابًا:

- نعم، هذا الأصوات خارج المعبد.

ليُضيف بتهكُّم:

- بمعنى أننا سنُحبَس بالداخل!

بعدها دخل الجميع وأُغلق الباب بإحكام خلفهم، ليجدوا الحجر الذي كتب عليه من الأمام يُكتَب عليه من الخلف مرة أخرى، فاقتربت «إلينا» تقرأ الكلمات وهي تتأفف:

«لديكم مساءلَ ثلاثًا وحلول

ضعوا فِكرَكم فيها فكلكُم مسئول

بعد جمعِ النواتج بجُهدِكم المبذول

سيظهرُ لكم المكانُ المجهول

لكن احذروا فالنصرُ لن يطول

هناكَ من يَكيدُ لكم وعن مُرادِكم يَحُول!»

- عدنا للهراء مرة أخرى!

قالتها «ساڤانا» وهي تصك أسنانها غيظًا، فأوقفها «توراك»:

- اصمتوا جميعًا حتى أفكر.

ثم انتفض يبحث عن حقيبته يخرج منها الحاسوب، ولكن حين فتحه بدأ

بإصدار طنينٍ دليلًا على انتهاء شحنه، زفر «آجن» وتأفف «هرماس» قائلًا:

- أسرِع توراك!

في آخر لحظة، وفي سباق مع الزمن قبل أن ينغلق الحاسوب معلنًا انتهاء الوقت، تنهد «توراك» وهو يشير بيده أن يقتربوا منه:

- لقد جمعت حلول الثلاثة ألغاز، فأصبح الناتج مئة وخمسة وستين، أدخلت هذا الرقم في إحداثيات الخريطة، فأظهرت لي مكانا قريبًا من هنا وهو حدائق بابل المعلقة.

أكمل بيأس وهو يتأفف:

- لن نستطيع أن نستخدم الحاسوب مرة أخرى!

التفتت «شويكار» تنظر للحوائط الصخرية لتخبطها بعنف قائلة:

- كيف سنخرج من هنا؟!

تكلمت «ساڤانا» وهي تغمض عينيها:

- ششش! لم أعد أسمع خطواتٍ بالخارج.

اقترب «آجن» من «إلينا» قائلًا:

- ماذا رأيتِ إلينا؟ أخبرينا الآن حتى نعرف مصيرنا!

شعرت «إلينا» بالتوتر الشديد، فوقف «هرماس» بجوارها يمسك بكفيها يساندها، هزت له رأسها إيجابًا ثم أخذت بعدها نفسًا عميقًا وهي تخبرهم:

- رأيت جيشًا من النجويل يهجم علينا خارج المعبد.

أوقفها «توراك» بتساؤل:

- من هؤلاء النجويل إلينا؟

توقفت للحظات أغمضت فيها «ساڤانا» عينيها لتفزع قائلة:

- يا إلهي! أتقصدين البشر برأس الكلب!

التفت الجميع نحو «ساڤانا» باندهاش ليفاجئوا برد «إلينا» عليها:

- نعم ساڤانا، هم!

هدَر بهِم «هرماس»:

- هل تتكرم إحداكن لأن تُفهِمنا ما يحدث؟!

أجابته «ساڤانا»:

- «نجويل» هذا قائدهم، لقد رأيته في رؤيا سابقة يساعد الوحش، ولكنه كان بمفرده ولم يكن هناك جيش!

قالت «إلينا» والرعب يدب في أوصالها:

- لقد قام بجمع جيش ليوقفنا ساڤانا!

زفر «آجن» بقوة وهو يقول:

- ممَّ يتكون هذا النجويل؟ وكيف نحاربه؟

اقتربت منه «شويكار» تلتصق به بفزع بعد أن كاد يتوقف قلبها عندما ردد «آجن» كلمة حرب! ثم بدأت في الصراخ ثانية:

- لم يُخبِرنا أحد بأي حرب! مهمتنا هي إطلاق السلاح وحسب!

التفتت نحو «آجن» لتكمل صراخها:

- لم أعد أتحمل! كفى!

أمسك «آجن» بمرفقها قائلًا بحدة:

- نوبة غضبك طالت كثيرًا شويكار! هل كنتِ تظنين أننا ذاهبون في رحلة استجمام أو أَن الوحش سيتركنا حتى نطلق السَلاح بسلام؟! الموضوع خطير جدًا وأنتِ تعرفين من البداية.

تجمعت الدموع في مقلتيها لتجيبه بألم:

- لم أكن خائفة هكذا إلا حين أحببتك!

ثم سحبت ذراعها من يده وتركته يصكُّ أسنانه ولم تنتظر منه ردًا، ابتعدت «شويكار» عنهم جميعًا لتجلس في إحدى زوايا الغرفة وهي تحاول ألا تقع عيناها عليه.

تكلم «توراك» محاولًا التركيز على هذا الجيش الذي إلى الآن لا يعرفون ماهيته:

- ساڤانا، قولي لنا كيف نحاربهم؟

تنهدت بعمق لتقول بعدها:

- حسنًا، هؤلاء النجويل هم البشر الكلاب، أو هكذا أطلقت عليهم شعوب الأزتيك في المكسيك، كانت هذه الشعوب تؤمن إيمانًا مطلقًا بوجودهم، زعموا بأنها وحوش تقتل الصيادين، وآمنوا بأن هذه المخلوقات التي تسمى «نجويل»، تسرق الجبن وتغتصب النساء، لكنهم لا يقتلون أحدًا ما لم يتعرض لهم، هذه المخلوقات هي في حقيقة الأمر سحرة من البشر يمتلكون القدرة على التخفي بأشكال وهيئات شتى، وما زال صدى هذه الأساطير يتردد إلى يومنا هذا في بعض المناطق النائية من المكسيك، حيث يعتقد الناس أن النجويل هم أشخاص لديهم القدرة على التحول إلى أشكال حيوانية خلال الليل ويستخدمون هذه القدرة في اقتراف الجرائم والسرقة والاغتصاب، تقريبًا نفس فكرة المستذئب في الفلكلور الأوربي.

أوقفها «هرماس» وهو يضم حاجبيه:

- هل هذه الأسطورة في المكسيك فقط؟

أجابته «ساڤانا» وهي تغمض عينيها:

- أخبرتني جدتي أنها لم تكن عند الأزتك فقط، فالمخلوقات المتحولة لها

مثيل آخر في أساطير شعوب الهنود الحمر في الولايات المتحدة، حيث توجد أسطورة الماشي بالجلد وهي تتحدث عن سحرة أشرار من الرجال والنساء لهم القدرة على التحول والتنقل في هيئة حيوانات، ولا يتمكن الساحر من نيل هذه القدرة الخارقة إلا عن طريق اقتراف عملٍ شريرٍ بشع يُدمِّر الجانب الإنساني من شخصيته، ولا يبقى إلا على الجانب الحيواني، كقتل أفراد عائلته أو اغتصابهم أو ممارسة الجنس مع جثث الموتى في المقابر.

تكلمت «إلينا» بفزع:

- لقد رأيتهم يفعلون بنا أبشع من ذلك!

اقترب «هرماس» منها يحتضنها بقوة وهو يحاول أن يوقف ارتعاش جسدها:

- اهدئي إلينا، لن يحدث لنا مكروه كما حدث سابقًا، أعدكِ حبيبتي، حاولي أن تنسي هذه الرؤى.

ثم أبعد وجهها عن أحضانه ليمسح دموعها بإبهامه قائلًا:

- سنخرج من هنا بسلام، تذكري هذا فقط!

زفر «آجن» بضيق وهو يقول:

- حسنًا ساڤانا، هل لهم طريقة قتل معينة؟

أجابته وهي تهز رأسها نفيًا:

- لا أعلم آجن، فقائدهم هذا لم يمت من قبل، فالوحش يحميه كل قرن حتى يستطيع بعدها مساعدته.

اقترب «توراك» منها يسألها:

- من أين جمعهم هذا القائد؟ ألا تعرفين؟!

أغمضت عينيها للحظات لتقول بعدها:

- أسطورة النجويل موجودة في كل الحضارات التي ذهبنا إليها آنفًا، جدتي

قالت لي ذلك، جميع هذه الحضارات تكلمت عنهم بشكل أو بآخر، أعتقد أنه جمعهم أثناء رحلتنا، وسبب تركهم لنا من البداية كان حتى نجمع بقية السلاح.

قالت «إلينا» وهي تتفحص الجدران:

- كيف سنخرج من هنا؟ والأهم كيف سنواجه هذا الجيش بمفردنا؟!

- مؤكد هناك باب للخروج من هنا.

قالها «هرماس» وهو يتفحص الحجارة بيده، تنهدت «شويكار» وهي تغمض عينيها:

- هم ما زالوا بالخارج ينتظروننا!

جلس «آجن» بجورها قائلًا:

- شويكار، هل تعرفين لماذا لا يستطيعون الدخول؟!

نظرت له بطرف عينيها وهي تقول بتذمر:

- حراس المعبد يمنعونهم، حتى تعاويذ قائدهم لم تفلح مع لاماسو.

نظرت «ساڤانا» لأعلى لتصيح بهم:

- انظروا للأعلى، هناك ضوء يتسلل من بين الحجارة، مما يعني بوجود مخرج هناك.

نظر الجميع حيث أشارت، ليخلع «توراك» خاتمه ويرفرف لأعلى وصولًا لمصدر الضوء ليقول لهم:

- ساڤانا معها، حق يوجد مخرج هنا، ولكن هناك بعض نقوش باللغة المسمارية لا أعرف معناها!

ثم هبط لأسفل يُشير لـ«إلينا» قائلًا:

- اعتلي فوقي لأرتفع بك حتى تترجمي لنا هذه الكلمات.

التفتت سريعًا نحو «هرماس» الذي احمرت عيناه غضبًا، وقبل أن ينقض على «توراك» وقفت «ساڤانا» أمامه وهي تشعر أنها على صفيحٍ ساخنٍ ولكنها تمالكت نفسها:

- اهدأ هرماس! أنا لا أعرف اللغة المسمارية وكذلك شويكار، لا أحد هنا يعرفها سوى إلينا.

صك أسنانه بغيظ وهو يهز رأسه لـ«إلينا» لتصعد معه، امتثلت «إلينا» للأمر واعتلت على ظهر «توراك» وهي تشعر بحرج شديد، ابتلعت ريقها بصعوبة وعيناها لا تفارقان «هرماس» الذي ينظر نحوهما وقد تلون وجهه بالأحمر القاني يكتم غضبه بصعوبة.

انتفضت من صوت «توراك» وهو يقول:

- هيا إلينا دعينا ننهي الأمر، اقرئي الكلمات سريعًا.

رفعت رأسها لأعلى تتمتم:

«ولعبورِ الصعوبات

يجبُ القيام ببضعِ حركات

من الأعلى هناكَ بعض الحجرات

تُزاح لليمينِ ثم بعدَ لحظات

للخلفِ بدون أن تنبسَ بكلمات!»

ثم أنزلها «توراك» وطلب من «هرماس» الصعود معه:

- تعالَ معي هرماس لتزيح الحجر حتى نستطيع الخروج.

اعتلاه «هرماس» حتى وصل عند الحجر المنقوش، فوقف على ظهر «توراك» ونفذ التعليمات، أزاحه نحو اليمين وإلى الخلف فانفتح باب أسفل المعبد.

كادت أن تنزلق «شويكار» لتقع في الهوة، ولكن «آجن» لحقها على آخر

لحظة يبتسم لها حين تلاقت أعينهما ليقول بعدها:

- أعتذر منكِ على انفعالي!

اعتدلت «شويكار» واقفة وهي تمتم ببرود:

- لا عليك.

هبط «توراك» يتبعه «هرماس» وتجمعوا ينظرون نحو الباب المفتوح بجانب أقدامهم.

- المكان مظلم جدًا بالأسفل!

قالتها بقلق تتبعها «ساڤانا»:

- ولا نعرف أيضًا ما هو عمقها!

فتحت «توراك» حقيبته وأخرج منها إحدى أصابع الألعاب النارية، ليحكها بشدة في الصخور فأصدرت شرارة أشعل الضوء فيها، فقذفها «توراك» للأسفل حتى يعرف عمقها.

- هناك درَج للأسفل لقد رأيته!

قالها «هرماس» وهو يتقدم يهبط لأسفل، تبعته «إلينا» من بعدها «توراك» و«ساڤانا» وأخيرًا «شويكار» التي أوقفها «آجن» وهو يمسك بكفها قائلًا:

- أنا أيضًا لم أخَف هكذا قبل أن أحبك!

ابتسمت برقة فأكمل «آجن»:

- نعم أحببتكِ شويكار، ولكننا لم نُخلَق حتى نعيش هذا الحب، نحن خُلقنا لمهمة محَددة رأيت خلالها الموت أكثر من مرة ونحن لم نصل حتى لمنتصف الطريق، لهذا لا أريدكِ أن تتعلقي بي!

انحدرت الدموع على وجنتيها فتنهد «آجن»:

- إن أتممنا هذه المهمة واستطعت أن أنجوا منها، فأعدكِ وقتها أني لن أتركِكِ

أبدًا مهما حييت.

ثم ترك يدها وخطى أمامها عدة خطوات، فأغمضت عينيها بتحدٍ تردد:

- لن أسمحَ بأن يُصيبكَ مكروه آجن، أنا من أعدك! سننهي المهمة بأفضل حال، ولن يستطيع هذا الوحش أذيتنا.

هبط الجميع لأسفل ليجدوا الظلام حالكًا ولا يروا وِجهَتهم وشعاع عين القطط لا يكفي! اصطدم رأس «هرماس» بشيء معلقٍ على الجدار بجواره، فضم حاجبيه وهو ينظر إليه يتفحصه ليجده مِشعلًا قديمًا كالذي يحملونه في الغابات، أوقفهم قائلًا:

- احملوا المشاعل المعلقة على الجدران، ودعونا نُشعلها حتى تنير طريقنا.

أمسك كل حام بمشعل وبحثوا عن حجر صغير حتى وجدوا أحدهم، وببعض الاحتكاك بالصُّخور أصدر شرارة كانت كافية لإشعالها، أشعل الحماة مشاعلهم ثم توجهوا نحو الممر الضيق تتبعهم القطط، حتى وصلوا لمفترق طرق باتجاهين أحدهم ناحية اليمين والآخر ناحية اليسار.

حاولت «إلينا» إبصار الطريق الصحيح ثم توقفت قائلة:

- لا أرى شيئًا!

ضم «هرماس» حاجبيه بتعجب قائلًا بقلق:

- ما معنى لا أرى شيئًا؟! ماذا تقصدين؟!

- أقصد الرؤيا يا هرماس، أحدهم يحجب رؤيتي للمستقبل.

وقف الجميع فقالت «ساڤانا» بتعجب:

- وهل هذا ممكن؟! كيف ذلك؟!

أجابتها «شويكار»:

- وأنا أيضًا لا أستطيع رؤية مَن بالخارج أو حتى سماع أصواتهم!

- ماذا يحدث لكن!

قالها «توراك» وقلقه يتزايد، ليجيبه «آجن»:

- يبدوا أن قائدهم ساحر ليس بهينٍ على الإطلاق!

تأفف «توراك»:

- حسنًا لنتوجه إلى إحدى الجهتين، وإن لم نجد مخرجًا نعود للأخرى.

اقترح «هرماس»:

- أو دعونا نفترق، البعض منا يتوجه لليمين والبعض الآخر لليسار.

اعترض «آجن»:

- لا لن نفترق، أعتقد أن هذا غرض الساحر، أن يُفرقنا، دعونا نمشي سويًّا.

وافقه الجميع فأشار ناحية اليسار فتبعوه، لم يحتاجوا للرجوع واختبار الجهة الأخرى، فقد وجدوا بابًا رخاميًّا في نهاية الممر، حاول «هرماس» فتحه فلم يستطع بمفرده، فانضم إليه «آجن» و«توراك» حتى انفتح الباب، ثم خرج الجميع ليجدوا الشمس قاربت على الاختفاء لتتزين السماء باللون البرتقالي المائل للحمرة، تنهدت «ساڤانا» بهيام وهي تقول:

- أعشق هذا الشفق!

اقترب «توراك» من أذنها هامسًا:

- وأنا أعشق هاتين الشفتين!

لكزته في كتفه لتتفاجأ به قائلًا:

- أريد احتضانكِ بشدة!

نظرت إليه بغضب وهي تزفر بضيق:

- تأدب توراك!

ثم أدارت وجهها للناحية أخرى بخجل تحاول تجاوز لحظات «توراك» الوقحة، ثم تساءلت:

- ماذا علينا أن نفعل الآن؟

وقبل أن تُنهي جملتها أمسك عدد من النجويل بكل فردٍ منهم يحاولون تقطيعهم بأسنانهم الضخمة وأنيابهم الحادة!

بدأت صرخات «شويكار» تعلو من الألم، فكلما مزقها أحدهم استطاعت الشفاء مرة أخرى، ولكن عددهم الكبير يمنعها من التحول، حاولت المقاومة كثيرًا، وبعد عدة مقاومات منها وهي ترفضُ هذا وتلكُم ذلك، استطاعت أن تخلع سلسالها لتنقض عليهم بحوافرها وأنيابها تقطع رؤوسهم بسرعة شديدة.

بدأت الحرب تحتدم عن آخرها، وكل منهم يحاول التخلص ممن يحاوطوه، نظرت «شويكار» نحو الحماة المحاصرين من النجويل وبسرعة غير مسبوقة ساعدتهم على خلع خواتمهم، بدأت بـ«آجن» الذي أُصيب بشدة وهي تحاول على عجل أن تُعالج جروحه العديدة، وفي نفس الوقت تحارب بضراوة إلى أن انتهت!

خلع «آجن» خاتمه وسط الدماء وأعضاء النجويل المتناثرة حوله، وبدون تفكير قرر التحول لأشرس حيوان عرفه يومًا، ولم يكن على علم قبل الآن أنه يستطيع التحول إليه، إنه الأناكوندا! فقد وصل طولها لتسعة أمتار وكانت تزن مئتي كيلوجرام! بدأ «آجن» معركته الدامية بالالتفاف على كل نجويلٍ أمامه يحتضنه بقوة حتى يسمع صوت تحطُّم عظامه فيتركه وينتقل للآخر، تركته «شويكار» لترى بقية القطط، وصُعقت عندما وجدت «إلينا» في أسوأ حال، جسدها ممزق تمامًا وما زالت تحاَول المقاومة.

انقضت «شويكار» على الوحوش من حولها لتمزقهم إربًا وتعطي مزيدًا من الوقت لتشفى جروحها وتتحول لڤينون. شُفيت «إلينا» سريعًا لتتوجه نحو

البقية بشراسة كبيرة، أنهت على جزء منهم في طريقها لـ«هرماس» المصاب بشدة، ولكن على الأقل استطاع التحول، ولكنه تحول لوحش لم يكن بالقوة الكافية.

رددت عدة نداءات نحو «شويكار» التي هرولت نحوها متسائلة، فأخبرتها «إلينا» بصوت مرتفع:

- أريد مساعدتك هنا حتى أشفي جروح هرماس.

نظرت نحو «آجن» فوجدته يتدبر أمره فأجابتها:

- حسنًا أسرعي!

وبالفعل أسرعت «إلينا» بشفاء «هرماس» تاركة «شويكار» تقف خلفهم تتصدى لأي وحش يقترب منهم حتى صرخت:

- هناك أعداد هائلة تأتي نحونا، لن أستطيع التصدي إليهم بمفردي أسرعوا!

فكر «هرماس» في شيء يستطيع به التصدي لهم بقوة غير معهودة، فمن الواضح أن أعدادهم في تزايد ولن يستطيع الانتصار عليهم إلا مع وحشٍ ضارٍ، خلع خاتمه مرة أخرى وهو يبتسم بشراسة ويتحول إلى «هايدنٍ» محطِم العظام كما يطلق عليه القدماء، فهو كلب ضخم ومرعب من أشرس وأخطر الحيوانات.

حين رأه النجويل دبَّ الرعب في أوصالهم فهم لم يتخيلوا أن أحد الحماة يستطيع التحول لهايدن! صرخة واحدةٍ من القائد جعلتهم يركضوا نحوه سريعًا، فأشار «هرماس» لـ«شويكار» قائلًا:

- ابحثي عن ساڤانا وتوراك، فأنا لا أراهما، وأنا سأتولى أمر هؤلاء.

ختم جملته الأخيرة وهو ينقض عليهم، ليس على كل نجويل بمفرده، ولكن حجمه الكبير جعلهُ يقضى على ثلاثة في نفس الوقت، فوقفت «إلينا» خلفه تحارب في الجهة الأخرى، نظر القائد نحو «هرماس» بشيطانية لتلتمع فكرة في عقله قرر تنفيذها!

ركضت «شويكار» في عدة أماكن مختلفة وهي تقتل كل من قابلها من النجويل تبحث بعينيها عن «توراك» و«ساڤانا»، وبعد عدة دقائق من البحث وجدت «ساڤانا» تقاتل بمفردها، ركضت نحوها تساعدها وهي تتساءل برعب:

- أين ذهب توراك؟!

أجابتها «ساڤانا» وهي تقطع أحدهم بحوافرها الحادة:

- لا أعلم شويكار! سأموت قلقًا عليه، منذ أن بدأت المعركة اختفى توراك ولا أعلم أين ذهب!

أجابتها «شويكار» بثقة:

- حسنًا اذهبي للبحث عنه، فربما يكون مصابًا في أحد الأماكن ويحتاج لمساعدتك، وأنا سأتولى أمر هؤلاء.

تركتها «ساڤانا» بعد أن أنهت على من كان يحاربها وركضت خلف المعبد تبحث عنه، جاءتها إحدى الرؤى حين تحسست تمثالًا من «لاماسو»، وقفت تغمض عينيها بقوة ثم فتحتهما وهي تبتسم وتتوجه نحو الشرق، وقبل أن تُنفذ رؤيتها وجدت جناحًا كبيرًا عالقًا في إحدى زوايا المعبد، شهقت «ساڤانا» وهي تتوجه نحوه لتجد ثلاثة من الوحوش يحاربون «توراك»، والذي علقت إحدى أجنحته فلم يستطع التصدي لهم سوى بأنيابه التي كسرها أحدهم.

ركضت «ساڤانا» نحوه متناسية رؤيتها، لتبدأ بتمزيق كل من يقابلها منهم حتى انتهت من المجموعة التي أمامها، ثم توجهت ناحية «توراك» تخبره أن يرتدي خاتمه سريعًا لتقوم بشفائه، بالفعل ارتدى «توراك» خاتمه ليعود لجسده، فشهقت «ساڤانا» حين وجدت ذراعه وجزءًا من صدره ممزق تمامًا.

بدأت بمراسم الشفاء وقلبها يكاد يتوقف رعبًا من أن يدركهم النجويل قبل أن تنتهي، جروحه كانت غائرة فأخذت وقتًا كبيرًا عن المعتاد، وقف «توراك» سريعًا حين شعر بالتحسن ليقترب من أذنها وهو يمسد شعرها الكثيف قائلًا

بوَلَه:

- أحبك قطتي!

ثم لم يجد أمامه سوى «الجريفين» ذي رأس الأسد الضخم وجسد وجناحي عُقاب، ارتفع «توراك» بجناحيه وسقط في قلب المعركة يأخذ النجويل بين يديه ليمزقه بأنيابه في الهواء، ويعود مرة أخرى يأخذ أكثر من واحد ويقذفهم من علو كبير، فيسقطوا أرضًا لتنفصل أعضاؤهم عن بعضها.

لاحظ قائدهم «توراك» الذي أصبح أشرس الحماة وهو يقضى على أكبر عدد منهم في فترة قليلة، شعر أن المعركة ليست في صالحهم وأن الوضع أصبح متأزمًا للغاية، فأغمض عينيه ليردد بعض التعاويذ يستدعي بها جيشًا ثانيًا أكثر عددًا من النجويل.

شهقت «إلينا» بفزع لتفزع بعدها «ساڤانا» و«شويكار» وكلٌّ منهن تنظر باتجاه مخالف ليجدو أعدادًا كبيرة من النجويل تركض نحوهم بشراسة، ركض الجميع والتفوا مع بعضهم، الثلاث قطط في الخلف وأمامهم الثلاثة حماة. أناكوندا على اليمين وفي اليسار يقف هايدن بينما وقف الجريفين في الوسط، يشكلون فريقًا شرسًا يقاتل بضراوة وبدون أدنى رحمة!

اشتبك الفريقان في معركة أقل ما يقال عنها أنها دامية، تقطيعٌ للرؤوس وتمزيقٌ للأعضاء وانفجار للدماء في كل مكان! تذكرت «ساڤانا» الرؤى فانسحبت سريعًا لتذهب نحو الجانبٍ الشرقي للمعبد، شعر «توراك» على الفورٍ برحيلها فارتفع لأعلى يتبعها تاركًا البقية يحاربون بشراسة، واقترب منها قائلًا:

- إلى أين تذهبين ساڤانا؟! المكان ليس آمنًا، يجب علينا ألا نفترق.

أجابته وهي تركض نحو هدفها:

- لا تترك البقية توراك! لقد راودتني رؤى ستنقذنا، اذهب أنتَ وأنا سألحق بك، لا تخف.

اقترب يحلق فوق رأسها قائلًا:

- مهمتي هي حمايتك ساڤانا وليس مساعدة البقية!

ثم حلق على ارتفاع عالٍ يرى المكان بأكمله ليحميها من أي خطر يمكن أن تواجهه، وقفت «ساڤانا» أمام إحدى تماثيل «لاماسو» لتردد سريعًا:

«أفيقي يا لاماسو وأغيثي من بكِ استغاث

كوني درعًا قويًا لمن أراد ثمي المساعي والمهام

رسالتي السلام ومهمتي دحر الشر ونشر الأمان!»

نزل «توراك» يقف أمامها حين بدأت الحجارة بالتحرك، تشكلت الحجارة وخرج قائد «لاماسو» وهو ما يسمى بالثور المُجنح، برأس إنسان وجسده جسد ثور ضخم ذو أجنحة، وقف أمامهم ينحني نحو «ساڤانا» قائلًا بلغة القطط:

- سمعًا وطاعةً سيدتي!

طرَق بعدها ثلاث طرقات على الحائط جعلت الأرض تُرَج رجًّا، أمر «توراك» «ساڤانا» أن تعتلي ظهره ليرتفع بها خوفًا من أن يُصيبها أذى من تحطم الجدران، فعلت «ساڤانا» ما أمرها به واعتلت على ظهره قائلة:

- هيا بنا نعود للبقية، سيتبعنا وحوش لاماسو يساعدوننا حتى نستطيع الهرب لوجهتنا التالية.

لتكمل وهي تنظر للسماء بارتياع:

- لم يعدنا لدينا وقت على الإطلاق، عليهم اللعنة جميعًا!

صرخت «ساڤانا» حين وجدت «إلينا» تضع «هرماس» على ظهرها بعد أن عاد لهيئته، وهي تحاول حمايته من هجمات النجويل ولا تدع أحد يقترب منه.

هبط «توراك» وبدأ في إبادتهم بقوة، وتساعده «ساڤانا» لتعطي مجالًا لـ«إلينا» لأن تشفي «هرماس» الذي من الواضح أنه فاقد الوعي، أو هكذا ظنت.

أخذت «إلينا» «هرماس» تركض به بعيدًا عن أرض المعركة، بدأت مراسم الشفاء مع بكائها بكاءً مريرًا وهي تحاول مرة بعد مرة، انضمت إليها «شويكار» حين سمعت صوت صراخها يشتد لتجد «هرماس» ممددًا على الأرض فاقدًا للحياة.

ارتدت «إلينا» سلسالها لتعود وهي تصرخ بشدة، ففعلت «شويكار» بالمثل واقتربت منها تحتضنها وهما عاجزتان عن فعل أي شيء.

أخبرتها «شويكار» أن تهدأ قليلًا وتحاول مرة أخرى، ففعلت «إلينا»، وأصاب «شويكار» الذعر وهي تضع يدها على فمها تبكي بحرقة حين وجدت يد «هرماس» خالية من خاتمه، ومعناه أنه بالفعل فارق الحياة ولن يعود لشكله البشري بارتداء الخاتم، فانحنت نحو «إلينا» تحتضنها بينما ظلت الأخيرة تصرخ بشكل هستيري.

شكَّل «آجن» و«توراك» و«ساڤانا» درعًا حول «هرماس» و«إلينا» و«شويكار» حتى لا يمسهم أحد الوحوش، غضب «ساڤانا» أعماها وشعرت بقلبها يتمزق من صراخ «إلينا» وبدأت بالبكاء على «هرماس». لقد اعتادوا على بعضهم وعاشوا حياة مريرة جعلتهم يترابطون بشدة، وشعرت في الآونة الأخيرة أنهم عائلتها الجديدة تعويضًا عن عائلتها التي ماتت أمام عينيها! لم تتخيل أنها ستفقد أحدهم مرة أخرى، فتقدمت نحو عدد من النجويل تمزقهم بكل غضب وهي تصرخ صراخًا قويًّا يرج أركان المعابد.

استدعى قائدهم سربًا آخر من النجويل بأعداد أكبر وهو يبتسم بانتصار عندما تخلص من أحد الحماة، ثم وقف «تـوراك» و«آجن» وقد توغرت صدورهم بغضب كبير، ولكن النجدة حضرت! فقبل أن يتقدم السرب الكبير منهم ركض تماثيل «لاماسو» نحوهم بسرعة شديدة، ويقفون مصطفين

كأدرُعٍ حماية متينة وقوية، فأمر القائد النجويل بالهروب فورًا، فليس أمامهم سوى َعدة دقائق هي المسموحة لهم بالتدخل.

وبأقصى سرعة لهم، تحول كلٌّ من «ساڤانا» و«آجن» لهيئتهم، ليأخذ «آجن» بيد «شويكار» تعتلي ظهر «توراك»، بينما أخذت «ساڤانا» بيد «إلينا» التي تشبثت بـ«هرماس»، فنزلت «ساڤانا» على الفور تحمل «هرماس» مع «إلينا» ترفعه على ظهر «توراك» وتدع «إلينا» تركب خلفه، وضعت «إلينا» رأسه على صدرها وهي تتأوه بألم.

ثم ركبت «ساڤانا» في المؤخرة وهي تقول:

- هيا توراك! أسرع!

ارتفع «توراك» سريعًا بينما صرخ القائد في وجه «لاماسو» الذين ما إن استطاع «توراك» الهرب حتى تحولوا من تماثيلٍ إلى رمال كثيفة!

*****

الفصل الثاني والعشرون

هبط «توراك» وأمر الجميع بالنزول من أعلى ظهره، نزلت الفتيات أولًا ثم بقي «آجن» ليساعدهن في تنزيل جثة «هرماس» أرضًا، وعاد «توراك» لهيئته والآلام تغزو جسده من طول مسافة الطيران وثِقل حملهم، ولكنه آثر الصمت وركع بجوار «إلينا» المنكبة على جسد «هرماَس» تُغرِقه بدموعها.

الجميع راكعون جوارها يشاهدونها بألم متضاعف لحالها وموت صديقهم بأعين دامعة، حاولت «ساڤانا» سحبها لتترك جثته، ولكنها صرخت ورفضت بشدة أن تبتعد عنه.

- إلينا! اتركيه في سلامٍ حبيبتي، بكاؤكِ لن يعيده للحياة!

خرجت من «شويكار» بهدوء، ولكنها واجهت منها عاصفة مضادة:

- لن أتركه! ولا تقولوا هكذا مرة أخرى! هرماس لم يمُت! إنه حي وسيستيقظ الآن!

أنهت جملتها وبدأت في هز جسده الصامت برفق ثم انتهت بهزاتٍ عنيفةٍ له:

- أرجوك استيقظ! كفى مزاحًا! أنتَ لم تمت ولم تتركني، صحيح؟! ألم تقل إنك ستظل بجواري إلى الأبد؟! أين هذا الأبد؟! هيا قُم هرماس وأجبني، أين هذا الذي وعدتني به؟! قم الآن وأخبرني!

أنهت جملتها بشهقات متتالية تمرغ وجهها بوجهه وتحاول فتح عينيه لعلها ترى بهم نور الحياة ٍمرة أخرًى، ولكن لا شيء سوى برودة الموت تحيط بحدقتيه الزرقاوين اللتين وقعت أسيرة لهما، انتفضت كالمجذوبة ووضعت يدها على صدره تحاول إنعاشه بقواها ولكن لا استجابة، فالتفتت نحو «شويكار» و«ساڤانا» وهتفت بهما:

- تعالا وساعداني في شفائه، لعله يتطلب قوانا مجتمعة!

امتثلت الفتاتان واقتربتا من جسده على الرغم من علمهم باستحالة ذلك، وجمع ثلاثتهن أيديهن فوق جسده المسجى وانطلقت أشعتهن نحوه، لكن لم تهتزَّ لقواهن به شعرة! فقاما ووقفا بجوار «آجن» و«توراك» المراقبين للموقف، بينما ظلت «إلينا» غير المصدقة منكبة على جسده، وهذه المرة بدأت في الطرق الشديد على صدره تصرخ به:

- قُم هرماس! هيا أرجوكَ عُد إليّ! لا أستطيع العيش بدونك!

اشتعل «توراك» لحالها وأمسك بذراعها ليرفعها عن صديقه، ولكن ازدادت صرخاتها بهيستريا شديدة مما جعل «ساڤانا» تصرخ به:

- اتركها توراك!

فأجابها إجابة قاطعة:

- لا لن أتركها هكذا!

- أرجوكَ توراك! اتركني بجواره قليلًا للحظات أخيرة.

قالتها «إلينا» وهي تنظر إليه برجاء، فلم يفلتها وهو يشترط:

- سأتركك إلينا إذا توقفتِ عن البكاء والنواح.

هزت رأسها بسرعة موافقة، فتركها «توراك» وعادت هي بجوار زوجها تنعيه بدموعها وهمسات في أذنه لم يسمعوها، خاصة عندما أشارت لهم «شويكار» بالابتعاد عنها ومنحها خصوصية رثاء زوجها، فقام الجميع وابتعدوا لجهة أخرى. لف «آجن» برأسه في المكان، كان عبارة عن أنقاض مدرجات صخرية فوق بعضها تغشاها رمال كثيفة وبالكاد تترك القليل منها، تساءل بتعجب:

- أين نحن؟!

تنهد «توراك»:

- لا أعلم سوى أننا بمدينة الحلة العراقية، هذه هي الإحداثية التي وجدناها بالضبط.

تحدثت «شويكار» بتعجب:

- المكان غريب للغاية! ماذا تريد جدتنا منه؟!

رد «آجن» بعقلانيته المعتادة:

- قبل أن نعرف ماذا تريد، علينا معرفة ماذا نفعل الآن؟! لقد فقدنا هرماس وأصبحنا خمسة أمام الوحش.

تساقطت دموع «ساڤانا» وردت:

- لا أصدق أننا فقدنا أحدنا هكذا بكل سهولة! ماذا سيحدث لنا؟! إن رؤى إلينا تتحقق واحدة تلو الأخرى.

اقترح «آجن»:

- أرى أنه يجب علينا الاستعانة بأحدهم ليساعدنا ويحل محل هرماس ليحمي إلينا في أي معركة قادمة.

فرفع «توراك» حاجبه وتساءل متعجبًا:

- نستعين بمن؟! هل يوجد حماة سوانا؟!

- لا أعرف! لا أرى سوى الكاهن نيكراس!

قالها «آجن» بهدوء يعاكس ما بداخله، وصُدِمت «شويكار» وتراجعت للخلف، بينما شهقت «ساڤانا» وهي تمسح دموعها بعنف وقالت:

- ماذا تقول؟!

- لقد أُخبِرنا أن نيكراس سيأتي بدلًا من هرماس.

نطقها «توراك» بآلية وصدمة شديدة، بينما تحدثت «شويكار» أخيرًا وصرخت به:

- هل جُننت آجن؟! هل ما سمعناه صحيح؟! مَن الذي سيأتي مكان هرماس صديقنا! ذلك الكاهن الخبيث الحقير الذي أراد فرصة واحدة للتحرش بواحدة منا أم الذي تركنا لنموتَ بمعارك شرسة؟!

هتف «آجن»:

- أعلم كل ما تقولون، ولكن ماذا نفعل بعد هرماس؟! أننتظر لنفقد إلينا أيضًا؟! نيكراس هو الفرد الوحيد الموجود على قيد الحياة، ويعرف بنا وبالأمور التي تواجهنا.

- لا آجن! إنه لا يعرف بالتأكيد، لقد أدى مهمته وانتهى الأمر.

قالتها «ساڤانا» بعصبية، بينما تدخل «توراك» المشتعل:

- حتى ولو يعرف، لن أسمح له بالمجيء إلينا ولو على حساب حياتنا جميعًا.

فرد «آجن» بسرعة:

- اسمعوا يا رفاق، إني أقصد...

صرخت به «شويكار» تقاطعه:

- كفى آجن! كفى! صديقنا مات ولم ندفنه حتى، وأنتَ تتحدث فيما سيحدث بعده؟! ألا تشعر بذرة حزن عليه؟!

اتسعت حدقتا «آجن» بصدمة غشَتها نظرات العتاب فورًا موجهة كالسهام نحوها، ولم ينطق ببنت شفة، بينما تدخل «توراك» قائلًا:

- معك حق شويكار، علينا دفن صديقنا وإقناع إلينا، بتركه هيا بنا جميعًا ولنترك النقاش الآن.

غادر «تـوراك» أولًا ثم «ساڤانا» وورائهما «شويكار»، والتي توقفت في منتصف الطريق عندما أحست بعدم مجيء «آجن» خلفهم، فالتفتت نحوه لتجده لا يزال واقفًا بنظراته المصدومة المشوبة بالعتاب، أشاح برأسه بعيدًا عنها عندما عادت إليه وأولاها ظهره، لكنها اقتربت منه على استحياءٍ بعد رد

فعلها تجاهه، وبصوت منخفض نادته:

- آجن!

ولكنه لم يُجِب، أعادت النداء فجاءها بصوت جامد بارد:

- غادري شويكار.

- لا آجن! لن أغادر، أنا آسفة!

- قلت لكِ غادري الآن!

أمسكت بذراعه وأدارته نحوها مرددة بندم:

- آسفة آجن! لم أقصد ولكن...

صرخ بها بشدة لم ترها منه من قبل:

- قلت لكِ غادري واتركيني الآن! لا أريد أسفكِ أو إظهار عطفك!

ثم نفض ذراعها عنه بشدة تأوهت لها «شويكار» ووقفت تحدقه بنظرات مصدومة:

- أغادر؟!

- نعم! غادري واتركي البارد الذي لا يشعر بالآخرين ولا يهمه موت صديقه!

- آجن أنا لم أقصد!

- بل تقصدين شويكار، الوحيدة من بين الجميع التي انتظرتها للشعور بي والدفاع عني كانت أول الصارخين بي! أنا لست مثلكم أستطيع التعبير عن مشاعري بدموع وشهقات، كل شيء يقف هنا!

ثم أشار نحو قلبه وبعصبية أخذ يطرق صدره:

- يوجد هنا فقط، لا يخرج للنور أبدًا! حزن، كره، أو حب حتى يبقى بالداخل، أنا لوح ثلج، لا أزال لوح الثلج شويكار أم نسيتِ؟!

لف ثانيةً بينما تسمرت «شويكار» لثوانٍ حتى أدركت غلطتها الفادحة غير المقصودة، نعم فهي لم تقصد أبدًا إيذاءه ولو بنظرة، هو حبيبها الأول فكيف تفعل به هكذا!

نزلت دموعها بسرعة وازدادت عندما شعرت بألمه المكبوت داخله، والذي لا يستطيع التعبير عنه مثلها، شهقات متتالية خرجت منها اهتز لها جسده، ولكنه لم يلتفت لها، تقدمت نحوه ولفته نحوها بقوة واحتضنته باكية، لم يستجِب لها «آجن» في أول الأمر، ولكن مع استمرار بكائها واهتزازها رفع ذراعيه ولفهما حولها وشدد عليها عندما ازداد بكاؤها، ومن بين شهقاتها استطاع أن يفهم كلمات متقطعة: «آسفة.. لم أقصد.. أنا حزينة!».

- ششش! اهدئي أولًا شويكار ثم تحدثي.

رفعت وجهها قائلة:

- آسفة حقًا! لم أقصد أن أجرحك، ولكن اقتراحك استفزني للغاية خاصة في هذا الوقت!

تنهد بألم قائلًا:

- أعلم أنه وقت عصيب، ولكن لا يوجد أمامنا متسع من الوقت، وأنا قلق على إلينا وأخاف أن نتركها في وسط معركة فيحدث لها سوء، ولن أتحمل أن يحدث لأحدنا مكروه ثانيةً!

شددت شويكار من قبضتها حوله:

- لن يحدث آجن! لا تقل ذلك، لن أفقد أحدًا آخر!

ثم انخرطت في بكاء شديد، مرة أخرى تركها «آجن» تُخرِج ما فيها، وبعد أن هدأت عاصفتها قليلاً قال:

- ألن تكُفي عن البكاء؟

- ليس قبل أن تسامحني.

قالتها وهي تكفكف دموعها، فتنهد «آجن» ثم أجابها:

- سامحتكِ شويكار، لا أستطيع سوى مسامحتك!

رفعت رأسها نحوه وسألته بلهفة:

- حقًا؟!

أومأ برأسه وكشف عن ابتسامة هزيلة، لكن قطع وقوفهما صوت صراخ «توراك» مناديًا إياهما، فانتفضا فورًا وأمسك «آجن» بيدها وجريا نحوهم، كانت «ساڤانا» ممسكة بجسد «إلينا» المسجى بجوار جثة «هرماس» والتي أغمضت عينيها أيضًا تحاول إفاقتها، صرخت «شويكار» وجرت نحوهما بينما هتف «آجن»:

- ماذا حدث توراك؟!

- لقد أُغشى عليها من فرط البكاء والصراخ عندما طلبت منها دفنه!

هتفت «ساڤانا»:

- ماء! أريد ماء! لا أستطيع إفاقتها!

لف «آجن» و«توراك» برأسهما في المكان المقفر وهتف «توراك»:

- أين أجد ماءً في هذا المكان الملعون!

انتفضت «شويكار» ثم ابتعدت خطوتين عنهم ووقفت صامتة كأنها تستمع لشيء ما! فاقترب منها «آجن» يتساءل:

- ما بكِ شويكار؟!

أجابته وهي تسترق السمع وتضيق عينيها بتركيز:

- صه آجن! إنني أسمع خرير ماءٍ قريب.

صمت «آجن» والجميع، بينما تقدمت «شويكار» أكثر تعتمد على حاسة سمعها الخارقة، تعثرت كثيرًا بين الصخور والأنقاض، أسندها «آجن» حتى

وصلا سويًّا إلى صخرة معينة، حاولت رفعها ولكن «آجن» قطع محاولاتها متسائلًا:

- هنا؟

أجابته وهي تشير بيدها:

- نعم، ارفع هذه، الصوت يصدر من هنا.

استجاب «آجن» لها وأزاح صخرة كبيرة إلى الخلف قليلًا، فكشفت عن عدة أحجار متراصة بشكل دائري تحيط بفجوة ركعت لها «شويكار» واقتربت برأسها فوق الفراغ ثم قالت:

- إنها بئر ماء يا آجن!

ثم وضعت ذراعها داخل الفجوة وبدأت في تحركيه يمينًا ويسارًا حتى أمسكت بحبل مهترئ، وبدأت في رفعه، ركع «آجن» بجوارها وساعدها في حمله حتى خرج دلو نحاسي متوسط الحجم غريب الشكل عليه نقوش لحيوانات مجنحة وأسود وممتلئ بالماء، أخرجاه بجوارهما وتساءل «آجن»:

- هل تعتقدين أنها مياه صالحة؟!

أجابته:

- لا يوجد طريقة للتأكد سوى بتجربته.

وقبل أن يلحقها «آجن» كانت «شويكار» قد وضعت يدها فيه وغرفت لتشرب من مياهه، ولكنها توقفت بسرعة عندما رأت وهجًا أزرق يخرج من يدها، فهتفت:

- آجن! هل رأيت هذا؟

- نعم، ما هذا؟!

ثم وضع يده بداخلها ولم يخرج شيء، رفع رأسه نحو «شويكار» متعجبًا

فقطعت تعجبه:

- هيا آجن، لنلحق بإلينا أولًا ثم نرى ما هذا.

سحبت الدلو وبدأت في فك وثاق حبله بسرعة وعقلها يحلل ما حدث في نفس الوقت، وبدأت تتبلور بعقلها فكرة مجنونة قررت تنفيذها! حمل «آجن» الدلو نحو «توراك» و«ساڤانا» التي لا تزال تحاول إنعاش «إلينا»، فوضعت «شويكار» الدلو بجوارها قائلة:

- ساڤانا اغرفي بيدك نحو إلينا.

امتثلت «ساڤانا» بسرعة لأمر «شويكار» وغرفت وبدأت في تقطير الماء على وجهها دون جدوى، هتف «توراك»:

- ضعي الماء بداخل فمها.

امتثلت «ساڤانا» مرة أخرى، وبمجرد وضع الماء في فهمها انتفضت «إلينا» تشهق، ولكن الصوت كان مرتفعًا ولم يخص «إلينا» فقط! التفت الجميع نحو مصدر الشهقة الثانية والتي كانت تخص «هرماس»! كانت «شويكار» تركع بجواره تمسك وجهه بيد واليد الأخرى تضع بفمه بعض الماء، وعند آخر قطرة شهق «هرماس» وصرخت هي بفرحة محتضنه إياه، بينما تسمر الجميع ينظرون بأفواه متدلية نحو «هرماس» الذي بدأ في فتح عينيه ببطءٍ بين أحضان شويكار!

وكان أول المتحركين هو «آجن» الذي ركع واحتضن الاثنين معًا، ثم «ساڤانا» ثم «توراك» وأخيرًا جذب «إلينا» التي ما زالت تقف متحجرة لم تستوعب بعد ما حدث! ثوانٍ معدودة مرت كالسنين، قطعتها «إلينا» بصرختها الفرحة أخيرًا وانفض الجميع من حول «هرماس» غير مستوعبين لما يحدث، ثم احتضنته بمفردها ودموعها المنهمرة تغرقه وتبلل ملابسه الغارقة بالدماء، انتبهت «شويكار» لجروحه التي تلتئم ببطء، فركعت ثانية وأبعدت «إلينا» عنه:

- انتظري إلينا، دعيه يشرب مرة أخرى!

ثم غرفت بيدها وساعدته في ارتشاف الماء الذي أحدث فارقًا في لون بشرته، وعادت الدماء للسريان في عروقه مرة أخرى، رفع «هرماس» وجهه بتعجب وخرج صوته متحشرجًا:

- ماذا يحدث هنا؟!

هتف الجميع بنفس الوقت نحو «شويكار»:

- نعم، ماذا حدث شويكار؟!

صدحت ضحكات «شويكار» من بين دموعها الفرحة وقالت:

- أخيرًا! يبدو أن جدتنا اللعينة قادتنا لمكان جيد هذه المرة.

ابتعدت قليلًا عن «هرماس» ثم أكملت:

- وجدت بئر مياه أنا وآجن، وكنت أريد التأكد من صلاحيتها لأجل إلينا، فوضعت يدي بداخل الدلو لأرتشف بعض الماء ليظهر وهج أزرق كالذي يظهر عندما نشفي حامينا، والغريب أنني أحسست بنفس شعور راحة الشفاء، وعندما وضع آجن يده ولم يحدث تغير في المياه، عرفت أنها خاصة بقينون كما تعودنا، تبلورت فكرة سريعة ببالي وهي تجربة شفاء هرماس، وكما ترون نجحت هذه المرة وعاد إلينا أسدنا بسلام بعد استخدام المياه السحرية!

أنهت شويكار كلامها بغمزة مبتسمة نحو «إلينا» التي ارتمت بأحضانها ممتنة لها وباكية، مازحتها «شويكار»:

- إلينا! كفي عن البكاء قليلًا يا فتاة! ما بك؟! هل لديكِ مخزون نهر بداخلك؟!

ضحك الجميع وقبَّلتها «إلينا» بوجنتها ثم التفتت نحو «هرماس» وسألته بحنان:

- كيف تشعر الآن؟!

تنهد «هرماس» ثم قال:

- لا أعرف! إنه شعور غريب جدًا! لا أفهم ما تقولون، آخر شيء أحسست به كانت ضربة شديدة من عدد من النجويل ثم أظلم كل شيء حولي، ثم ها أنا بينكم.

- بهذه البساطة؟! كأنك استيقظت من غفوة هانئة بينما نحن هنا نموت وجعًا ونتقاتل من أجل صديقنا القتيل وزوجته الصارخة بجميع الكائنات الحية المحيطة بها!

مازحه «توراك» فضحك الجميع، بينما التفتت نحوه «إلينا» بغيظ، فرد قائلًا:

- ماذا إلينا؟! هل تنكرين أنك كدتِ تصيبين الجميع بالصمم؟! ما هذا هل وضعت كل قوتك في صوتك فقط!

عاد الجميع للضحك بينما تحدث «هرماس»:

- إذًا يبدو أني عائد من الموت!

وكزته «إلينا» في صدره:

- لا تقل موت ثانيةً!

بينما قال «آجن»:

- مرحبًا بك مرة أخرى يا رفيق!

ثم غمز لـ«شويكار»:

- أحسنتِ صنعًا يا قطتي الذكية!

احمرت «شويكار» خجلًا بينما ابتسم له «هرماس» ثم قال:

- إذًا نريد الآن تقريرًا تفصيليًا بما حدث وأين نحن.

تدخل «توراك»:

- لنترك التفاصيل جانبًا الآن ونركز في أين نحن، لأنني شخصيًا لا أعرف، فقد لحقت بالإحداثيات واسم المدينة قبل أن ينفد شحن الحاسوب، أهلًا بكم في مدينة الحلة العراقية!

رفعت «إلينا» رأسها وبدأت في تفحص المكان لأول مرة ثم ابتسمت قائلة:

- يبدو أننا في الموقع القديم لحدائق بابل المعلقة، إحدى عجائب الدنيا السبع.

تعجبت «ساڤانا»:

- حقًا؟!

أكملت«إلينا»:

- نعم، إنها هي الحدائق التي أمر الملك نبوخذ نصر الثاني ببنائها خصيصًا لزوجته الحسناء الميدية، والتي أتت لتعيش معه في هذه الصحراء القاحلة وتركت بلادها وحدائقها الرائعة، فأراد أن ينفس عنها حزنها لفقدان بلدها وأهداها تلك الحدائق، والتي ظلَّت مقامة إلى عهد الرومان، ولكن يقال أن هناك زلزال دمرها تمامًا وأصبحت كالأنقاض كما ترون.

- رائع! أحب معلوماتك كثيرًا إلينا، أكملي.

شجعها «توراك» فأكملت:

- كانت الحدائق عبارة عن مصاطب فوق بعضها البعض، تحملها عمدان من أحجار عجيبة كانت تُهدى إلى الملك، ووضع فيها كل أنواع الزهور والأشجار الفريدة، وتكمن سحر الحدائق في كيفية توصيل الماء لها عن طريق نهر الفرات بطرق حديثة عن عصرهم بكثير، من السنين حفرت آبار وتم توصيلها ورفعها عن طريق العمال لتروي الحدائق.

هتفت «شويكار»:

- إذًا هي نفسها المياه السحرية!

ابتسمت «إلينا» وأومأت برأسها بينما تدخل «آجن»:

- ولكن لماذا أرسلتنا جدتنا إلى هذا المكان تحديدًا؟ لا أرى به أي شيء مميز سوى المياه فقط!

هز «هرماس» رأسه موافقًا ثم قال:

- نعم، هذا هو الأهم الآن!

تدخل «توراك» مشيرًا إلى «إلينا»:

- نحتاج معرفة سبب مجيئنا يا إلينا، ولا يوجد لدينا حلول سوى رؤاك.

أومأت «إلينا» ثم أغمضت عينيها وحاولت السباحة في مستقبلهم، ولكنها تفاجأت بشاشة سوداء لا ترى فيها أي شيء! فتحت عينيها وأغمضتها عدة مرات ثم هزت رأسها بتعجب وأخبرتهم:

- لا أرى أي شيء!

- كيف هذا؟!

سألها «توراك»، فأجابته بدهشة:

- لا أعرف! يظهر الأمر مظلم كأنه شاشة سوداء كبيرة.

التفت «آجن» نحو «شويكار» وقال بسرعة:

- شويكار ابحثي برؤياكِ عن أي شيء حولنا، يبدو أنه هجوم علينا كالمرة السابقة.

امتثلت «شويكار» بسرعة ولكنها مثل صديقتها لم ترَ أي شيء، فهتف «آجن»:

- هيا يا رفاق! يجب علينا المغادرة، يبدو أن أحدهم يعيق رؤيتنا وستتم مهاجمتنا كالمرة السابقة!

- أؤيدك «آجن» ولكن أين نذهب؟! يجب علينا تحديد وجهتنا لنرى بأي

مكان نختبئ أولًا!

قالها «توراك» ثم نهض وبدأ في البحث حولٍهم عن مكان يستطيعون التخفي فيه، ولكن لا شيء! فالتفت نحو قطته قائلا:

- ساڤانا جربي البحث في الماضي.

- لكن رؤيتها توقفت بالفعل من قبل.

قالها «هرماس»، ولكن اعترض «توراك» قائلًا:

- لا هرماس، لقد ساعدتنا في المعركة برؤية جديدة، هيا ساڤانا جربي.

أغمضت عينيها وصح كلام «تـوراك»، وهذه المرة رأت جدتهم في نفس المكان تتجه إلى اليمين وانقطعت رؤيتها، فتحت عينيها وأخبرتهم بما رأت، فهتف «توراك»:

- إلى اليمين فقط؟ هل هذا كل ما رأيته؟!

- نعم توراك.

تدخلت «شويكار»:

- إلى اليمين، أي نفس مكان البئر!

التفتوا جميعًا إلى بعضهم ثم حسموا أمرهم واتجهوا بسرعة وراء «شويكار» و«آجن» نحو البئر، وقفوا جميعًا حول«شويكار» ثم تساءل «هرماس»:

- ما عمقه وماذا يوجد بالأسفل؟

ردت شويكار:

- لا نعرف تحديدًا هرماس، فقط أخذنا منه الماء، علينا النزول واستكشافه.

- ماذا لو كانت جدتنا ذهبت إلى مكان آخر وهذا طريق خاطئ كما فعلنا في المعبد!

سألت «إلينا» فأجابها «آجن»:

- لم نذهب خطأً إلينا! لقد اتبعنا أوامر جدتنا جيدًا لكن يبدو أن سحرة النجويل فعلوا شيئًا لنخرج إلى معركتهم.

لوت «ساڤانا» شفتيها وردت بسخرية:

- ما أشبه اليوم بالأمس!

هزت «إلينا» رأسها نفيًا:

- لا يا رفاق! لن ننزل إلى الأسفل ونفاجأ بخطر ونفقد أحدنا من جديد.

تنهد «توراك» ثم قال:

- الخطر محيط بنا في كل الأحوال ولا يوجد لدينا حلول أخرى.

انفعلت «إلينا» وهي تقول بإصرار:

- لا لن ننزل لنبحث عن مكانٍ آخر!

حاول «توراك» إقناعها:

- إلينا أرجوك! إنكِ تُضيعين وقتنا بخوف غير مبرر!

صرخت «إلينا» بـ«توراك»:

- خوف غير مبرر؟! بعد موت هرماس تقول إنه غير مبرر؟! ماذا لو كانت ساڤان؟!

اشتعل «توراك»:

- ساڤانا، هرماس، شويكار، آجن! كلنا واحد هنا يا إلينا ولا أفضلية لأحد عن الآخر.

تدخل «هرماس»:

- اهدئي حبيبتي، توراك معه حق، نحن في كل الأحوال في خطر ولن يحدث

أسوأ مما حدث، والآن لدينا مياه سحرية نستعد بها.

ابتلعت «إلينا» اعتراضها ولكنها ما زالت على رفضها الشديد، أمسك «هرماس» بكفها وابتسم لها يُطمئنها ثم التفت نحو «توراك»:

- سننزل جميعًا، كل حامٍ وقطته سويًّا حتى نستعد لحدوث أي شيء.

أومأ له «توراك» بينما تدخل «آجن»:

- إذًا سأنزل أولًا ومعي شويكار، فالمياه تخصني أكثر منكم.

ثم التفت نحو «شويكار» التي أمسكت يده في ثقة ووقفا أمام البئر مباشرةً، هتفت بهم «إلينا»:

- لا، لا تقفزا أرجوكما!

التفتت نحوها «شويكار» وابتسمت لها ثم قالت:

- لا تخافي حبيبتي! سنكون بخير ونخبركم بالقفز من الأسفل.

أمسكت «إلينا» الحبل المتدلي قائلة:

- إذًا أمسكوا بهذا الحبل وانزلوا بهدوء، لا تقفزا، فلا نعرف ما ينتظر بالأسفل!

هز «آجن» رأسه:

- نعم، إلينا معها حق، سأبدأ أنا.

تدخلت «شويكار» وقالت:

- لا، النساء أولًا!

اعترض «آجن» قائلًا:

- في كل شيء إلا المخاطر عزيزتي!

أنهى جملته ثم أمسك بالحبل وتسلقه نزولًا للأسفل ثم تبعته «شويكار»، بينما يقف الجميع يراقب اختفاءهما داخل البئر بأنفاس محبوسة وخوف

شديد، أطلَّ «توراك» برأسه أعلى البئر وهتف بهم:

- هل كل شيء على ما يرام؟!

جاءه صوت «شويكار»:

- نعم، إنه يبدو و...

قطعت جملتها بصرخة عظيمة متحدة مع صرخة «آجن» القوية!

*****

الفصل الثالث والعشرون

انتفضت «إلينا» عندما آتاها صوت صراخهما من الأسفل وبدأت في الصراخ:

- ألم أقل لكم سنفقدهم؟! هرماس! لا، لا، افعل شيئًا!

زجرها «توراك» غاضبًا:

- اصمتي إلينا، أنتِ توتِّرييننا!

ثم صرخ في البئر:

- آجن! ماذا حدث؟! هل أنتما بخير؟!

آتاه صدى صوته: وثوانٍ معدودات مرت عليهم كالقرون، وأخيرًا صوت مناوشات غير مفهومة فًقط: «أيتهاً الغبية!»، «لا تنعتني بالغبية!»، «لقد ظنوا بنا سوءًا!»، ثم همهمة وصراخ «شويكار» ثم صوت «آجن»:

- نعم يا رفاق، نحن بخير، لقد قطع الحبل فقط وارتطمنا ببعضنا البعض، هل تسمعونني؟! زن...

ابتسم «توراك» وهو يجيبه:

- نعم آجن، نسمعك جيدًا، كيف الأمر بالأسفل؟

- رائع! فلتقفزوا هيا!

التفت «توراك» نحو «إلينا» بغيظ:

- هل سمعتِ بنفسك؟

رمقه «هرماس» بنظرة غاضبة سرعان ما تحولت لحنان جارف نحو زوجته يُحدثها:

- إلينا ما بك؟! فلتتماسكي قليلًا، لم أعهدك بهذا الخوف!

ابتلعت «إلينا» ريقها بصعوبة ثم أومأت برأسها في صمتٍ فضلته عن الرد، هي تعلم جيدًا أنها تضخم الأمر، ولكن ما بالقلب حيلة!

- هيا توراك لنقفز.

قالتها «ساڤانا» فالتفت نحوها «توراك» قائلًا:

- لا ساڤانا، ستقفز إلينا مع هرماس أولًا لكي نطمئن عليهما.

- حسنًا، هيا إلينا.

أمسك بيد زوجته ووقفا على حافة البئر:

- واحد، اثنان، ثلاثة...

وصرخة مدوية من «إلينا» نتيجة القفز الحر صاحبتها ضحكات «ساڤانا» وأصوات «آجنٍ» و«شويكار» المهللة بالأسفل، ابتسم «توراك» نحو «ساڤانا» وضحكاتها قائلًا:

- لقد اشتقت لتلك الضحكات قطتي!

غمزته «ساڤانا» قائلة:

- فلننهي تلك المهمة اللعينة وسأسجل لك ضحكاتي على أسطوانة خاصة.

صدحت ضحكات «توراك» ثم أمسك بيدها وقفزا إلى رفاقهم.

نفق دائري طويل يقفزون فيه بدقات قلب سريعة وأنفاس محبوسة نتيجة لوطئة القفز الطويل، ثم ارتطام قوي بمياه باردة بشكل محبب، ابتلعت «ساڤانا» بعض المياه إلى أن رفعها «توراك» لأعلى لتلتقط أنفاسها وسط شغب «إلينا» و«شويكار»، لتقول:

- إلينا تضحك! ماذا حدث بالدنيا؟!

- المياه رائعة يا أصدقاء!

خرجت الجملة من «هرماس» المستلقي بظهره على المياه، ثوانٍ قليلة ثم

بدأ الاسترخاء والمرح يغزو جسد آخر المنضمين لهم «ساڤانا» و«توراك»، ثم رد «توراك»:

- نعم رائعة جدًا! فلنظل هنا لآخر العمر.

ضحكات عالية يتردد صداها في الأنحاء، رفع توراك رأسه يراقب الفجوة التي نزلوا منها جميعًا وضوء ضعيف يأتي من خلالها يكشف بشكل غير واضح عن المكان الذي كان عبارة حجرة صخرية مربعة، ومنقوشة جدرانها برسومات أسود وحيوانات مجنحة تحيط بمربع منقوش به جملة غريبة تبدو باللغة المسمارية، والمياه تصل إلى أعناقهم وتزيدهم هدوءًا واسترخاءً!

- يا رفاق ماذا سنفعل الآن؟

تساءل «توراك» فأجابه «آجن» بسرعة:

- ومن يهتم؟! كل ما أريده الآن هو المكوث هنا فقط!

استلقى «توراك» مثلهم وردد:

- اممم! نعم وأنا أيضًا أشعر بهدوء نفسي لم أره من قبل، يبدو أن المياه سحرية بالفعل!

رد «آجن»:

- نعم، هدوء وخَدَر، أشعر بالخدر في جميع أنحاء جسدي.

- ونحن أيضًا!

خرجت من البقية! ثم جاءهم صوت «شويكار»:

- آجن! كف عن اللعب وابتعد عني.

التفت «آجن» نحوها ببطء:

- لعب ماذا؟! لم أقترب منك!

- أشعر، أشعر وكأن أحدهم يلمس ساقي، و...

وقبل أن تكمل جملتها أمسك شيءٌ بها وسحبها نحو الأسفل! صوت ارتطام جسدها بالمياه نبَّه الجميع ولكنهم لم يستطيعوا التحرك! خدَر تام في أجسادهم! غطست «شويكار» إلى الأسفل ثم بمحاولات مستميتة ارتفعت لتلقط أنفاسها وتصرخ:

- النجدة!

ثم تمَّ سحبها مرة أخرى، تحركات هنا وهناك وانقلبت المياه إلى أمواج عالية نتيجة لحركة الجميع ونزول وارتفاع «شويكار» التي تحاول النجاة، ثم بدأ نفس الأمر مع «آجن» الذي كان يحاول خلع خاتمه وإنقاذها، ثم تبعه «توراك» و«ساڤانا» و«هرماس» و«إلينا»، الجميع يغرق والمياه ترتفع! قاوم «توراك» ورفع رأسه ليلتقط أنفاسه صارخًا:

- ماذا يحدث؟! اللعنة!

أشياء كثيرة خفية تجذبهم للأسفل مكبلة جسدهم بحبال غير مرئية، صرخت «شويكار»:

- يبدو أنه فخ! فلنفعل شيئًا!

الجميع يحارب والمياه ترتفع والكلام يتقطع ما بين صعود وهبوط، وأخيرًا صعد «توراك» قائلًا:

- إلينا فلتقرئي شيئًا من اللغة اللعينة الموجودة على الحائط.

رفعت «إلينا» ذراعيها بصعوبة لتصعد إلى السطح، فلمحت تلك الكلمات الموجودة بالمربع المنقوش تحت الضوء الضعيف ثم تقاومها المياه وتعيدها للأسفل، ثم ترتفع وتلتقط كلمة أخرى، ثم تنزل وبأنفاس متقطعة بعد محاولات عديدة نطقت جملة غريبة مكتوبة لم تفهمها نفسها، ولكنها رددت بها صارخة، فهدأت المياه وصمت كل شيء وعاد الجميع إلى السطح!

شهقات وأنفاس احتلت الغرفة اللعينة ثم صوت «آجن»:

- أحسنتِ إلينا!

ولكنه لم يتم جملته إلا وأحسوا بحركة عنيفة تزلزل أرجاء الغرفة، ثم صوت تكسُّر صخري وطقطقة ثم انشقاق الأرض أسفلهم وابتلاعهم جميعًا!

نزولٌ عميقٌ بأنفاس محبوسة وشهقات مقطوعة، آلام بمعدتهم وضربات سريعة لقلوبهم تدق كطبول جنود تستعد لحرب عظيمة، نفس شعور النزول المفاجئ للألعاب الملاهي المرتفعة جدًا، ثم ارتطام مفاجئ بأرض صخرية وصوت آهات وتكسر عظام طغى على كل شيء!

- اللعنة عظامي تحطمت!

صرخ بها «توراك» ثم أتاه صوت طقطقة ثلاثية كانت من أجساد القطط اللائي شُفين بسرعة وتحسسوا طريقهم خلال الظلام، وصلت كل قطة لحاميها تعالجه.

زفر «هرماس» وقال بعصبية:

- ما بال تلك المياه اللعينة؟! لقد خدرتني بالكامل وجعلتني أشعر بانتشاءٍ غبي كطفلة بلهاء تلعب بعروسها.

ضحكت «إلينا» بصوت مرتفع فرد «هرماس» من خلال الظلام:

- على ماذا تضحكين؟

- لا شيء، فقط تخيلت شكلكَ في جسد طفلة!

زجرها «هرماس» بينما تحدثت «ساڤانا»:

- أنا لا أرى شيئًا! أريد التأكد من عدم وجود فخ آخر.

أجابها «توراك» وهو يبحث في حقيبة ظهره التي لا تفارقه أبدًا:

- يبدو أنني فقدت مصباحي الصغير.

- ماذا سنفعل الآن؟!

ردت «ساڤانا» بعصبية، فتدخل «آجن»:

- فلنبحث عن مشاعل أو أي مصدر للضوء.

- وكيف سنشعلها برأيك؟!

قالتها «شويكار» ساخرة، فرفع زاوية فمه بتهكم قائلًا:

- إذًا فلتتصرفي أنتِ أيتها القطة الذكية!

زفرت «إلينا» ثم نهضت وبدأت في التحرك عدة خطوات متعثرة حتى ارتطمت بحائط، فصدر عنها تأوه انتفض له الجميع، وتحدث «هرماس» بسرعة:

- ماذا حدث إلينا؟

رفعت «إلينا» يدها ومسحت مكان الارتطام بجبهتها:

- لا شيء، ارتطمت بحائط فقط.

ثم رفعت يدها بتلقائية ووضعتها على الحائط، وما إن لمسته حتى اشتعل المكان نارًا مضيئة من مشاعل أربعة وضعت فوق كل حائط، صدرت شهقات من الجميع الغرفة رائعة الجمال!

مربعة أيضًا كالغرفة السابقة ولكن جدرانها من الزجاج! زجاج ملون غريب النوع لم يروا مثله في حياتهم، عليه نقش غائر لقطط ڤينون بأشكال عديدة، وفي منتصف الغرفة وجدوا شيئًا غريبًا عبارة عن ثلاثة ألواح مضلعة مغلقة على بعضها بنهاية مدببة بنفس نوع زجاج الغرفة، ولكنه معتم غير ملون وعليه نقوش بيضاء غريبة، التفت الجميع حولهم يراقبون الحوائط بذهول تام! هتفت «ساڤانا» مشيرة بيدها إلى الأعلى، لترتفع أعناقهم وتصدر شهقات من «إلينا» و«شويكار»، وجحوظ عين «هرماس» وتردد «آجن»، ثم هتاف «توراك» المنبهر:

- رائع!

كان الجميع ينظرون إلى سقف الغرفة المقبب، والذي كان عبارة عن قبة

نصف دائرية بخلفية سوداء تلمع بها نجوم كثيفة مكونةً شكلًا ما حول أحد الكواكب الذي يتحرك ببطء! لوحة حية رائعة تخطف الأنفاس.

هتفت «شويكار» أخيرًا قائلة:

- ما هذا؟! نجوم وكواكب في باطن الأرض!

تساءل الجميع مثلها حتى خرجت «إلينا» عن صمتها وانبهارها قائلة بابتسامة واسعة:

- إنها الحضارة البابلية، وهذه صورة حية لأكثر العلوم التي برعوا فيها وهي الفلك، ويبدو أنها بطريقة ما تنفذ للسماء.

تساءل «هرماس»:

- الفلك؟! وما دخلنا نحن بذلك؟!

- هذا ما سنكتشفه الآن، يبدو أن هذه الحجرة سرية وخاصة بنا لشيء ما.

قالتها «إلينا» فأجابها «توراك»:

- إذًا سنبدأ من الأعلى، إلينا أخبرينا عن الفلك في بابل.

ظلت تُحدق في النجوم فوقها وهي تُجيبه:

- المعلومات التي لدي نظرية للأسف، بدأ الفلك كنوع من التنجيم وكشف الطالع من خلال الأبراج، واهتم به الملوك اهتمامًا عظيمًا حتى أنهم كانوا يحددون على أساسه قرار خروجهم وقيامهم بالحروب والزواج والأشياء المهمة في حياتهم، وجعلوا لكل كوكب معبود خاص به، وأشهرهم المعبود «سين» للقمر، والمعبود «مردوخ» الذي صنع منازلًا للمعبودات في السماء خلف الأبراج وقسَّم السنة إلى اثني عشر شهرًا.

هتفت «شويكار» مقاطعة «إلينا»:

- أبراج! نعم الأبراج! منذ أن رفعت عيني إلى السقف وخمَّنت أنني رأيت

ما يحدث هنا من قبل، إنه برج الميزان يقترب من هذا كوكب الزهرة، ذاك الذي يقبع هناك.

وأشارت لهم «شويكار» على الكوكب الموجود ثم أكملت:

- هل تعلمون ما يخصُّنا هنا؟! إنه برج الميزان، برجنا جميعًا كقطط!

التفتت لها «ساڤانا» متسائلة:

- كيف عرفتِ شويكار؟

- أنا مهتمة جدًا بالأبراج والصفات الشخصية الخاصة بها.

تدخل «آجن» قائلًا:

- وما رأيكِ فيما يحدث بالأعلى وعلاقته بكم؟

همهَمت «شويكار» بكلام متقطع غير مفهوم، وأخيرًا قالت جملة كاملة:

- اقتراب برج الميزان من الزهرة يؤدي إلى حدوث تغيرات كثيرة، ولكنها سعيدة في معظم الأحيان.

هتفت «ساڤانا»:

- آه! أخيرًا شيءٌ سعيد في هذه المهمة البديعة، ولكن لم أفهم، ما دخلنا بهذا؟!

جاءهم صوتٍ «آجن» الذي ابتعد عنهم عدة خطوات ووقف أمام خزانة زجاجية قائلا:

- يا رفاق تعالوا، أظن أننا يجب أن نبدأ من هنا.

انتظر حتىٍ التف الجميع حوله ثم أشار إلى نقش صغير وسط النقوش البيضاء قائلا:

- هذا هو رمز ڤينون، يبدو أن الزجاج يخفي شيئًا خاصًا بكم.

تساءلت «ساڤانا»:

- وكيف نفتحه؟

رد «توراك» ساخرًا:

- بالتأكيد هذا أقوى زجاج موجود في كوننا والأكوان المجاورة، جاءت به جدتنا العظيمة لتصعب مهمتنا كالعادة.

خرجت همهمة ساخرة من الجميع، ثم تدخلت «إلينا» قائلة:

- دعوني أجرب لمسه لعله يفتح مثل الحائط.

اقتربت «إلينا» أكثر ثم وضعت كفها عليه ولكن لم يحدث شيء، فتراجعت مفكرة:

- إذا هو لا يفتح حتى باللمس.

اقترح«توراك»:

- لماذا لا تُجرِّبون السلاسل؟

أيَّدته «شويكار» وخلعت سلسالها فتحولت، وبالتتابع فعلت القطط، ليأخذ «توراك» السلاسل ويجمعها سويًّا بطريقتها المعتادة وقربهم من الزجاج، ولكن أيضًا بدون أي تأثير، فارتدوا سلاسلهم وعُدن لهيئتهن البشرية، وزفرت «ساڤانا»:

- وأيضًا السلاسل!

عاد «هرماس» للاقتراح:

- لماذا لا تجربي قراءة تلك الرموز إلينا؟

أجابته «إلينا»:

- لأنها غريبة لم أراها من قبل، ليست مسمارية أو أي لغة قديمة درستُها!

تدخل «آجن»:

- إذًا لماذا لا تستخدمين رؤياكِ ساڤانا ونرى ماذا حدث من قبل؟

هزت «ساڤانا» رأسها، أسندت كفها على الزجاج ثم أغمضت عينيها وفعلت طقوسها المعتادة، انتظرت لدقائق مرت بطيئة كالسلحفاة، ثم تحدثت أخيرًا:

- لا أرى شيئًا! كله تكرار لنفس ما فعلنا، وتقف الرؤية عند نزول الجدة إلى هنا ثم ينقطع كل شيء فجأة!

مالت «إلينا» على الزجاج بإحباط وتصاعد غضب «شويكار» التي صرخت:

- لماذا؟! لماذا الأمر صعب ومستحيل هكذا؟! أيجب علينا أن نضحي بأحدنا لكي يُحلَّ اللغز؟!

قالت جملتها وطرقت بيدها على الزجاج، فتوهج فجأة بضوء أخضر اللون، وعندما رفعت كفها كرد فعل طبيعي اختفى الوهج! تحركت «إلينا» ووقفت بجانب «شويكار» لتشاهد ما حدث بتعجب! وهتف بها «آجن» قائلًا:

- شويكار، ضعي كفك مرة أخرى.

وضعت «شويكار» كفها ولكن لم يحدث شيء، فقد اختفى الوهج!

- لا، لا، ضَعن جميعًا كفوفكن كما كنتن هيا!

وضعت «شويكار» كفها مرة أخرى وتبعتها «إلينا» التي كانت قد تحركت ثم «ساڤانا» الواقفة كما هي، فخرج الوهج مرة أخرى وبدأت الحروف الغريبة في التحرك حتى صنعت جملة مفهومة للجميع لأنها بلغتهم الأم!

«تتحدُ الكفوفُ ويخرجُ الوهج

تتحركُ الأجرامُ وقتَ الصفوف

تعرفونَ بها الطريقَ المنشود!»

قرأتها «إلينا» بصوت مسموع تبعه صوت قوي يُعلن عن فتح الزجاج الغريب

وانخفاضه للأسفل، ليكشف عن أجمل ماسة رأوها بحياتهم! كانت بحجم قبضة اليد، مضلعة الشكل زرقاء اللون كسماء صافية، وتعكس أضواء النيران المحيطة بهم فتنتج ضوءًا رائع خطف أنفاسهم!

- رائعة حقًا!

قالتها «ساڤانا» بانبهار وحاولت «إلينا» لمسها فأحرقت يدها، وابتعدت عنها صارخة بألم، واقترب منها «هرماس» بلهفة:

- إلينا أنتِ بخير؟!

- آه! نعم، يبدو أنها لها طريقة أخرى للمسها.

- ماذا نفعل؟! هل نلمسها جميعًا في نفس الوقت؟!

تساءلت «شويكار» فأومأت «ساڤانا» برأسها واقتربت ثانية من الماسة، بينما وقفت «إلينا» مترددة فهي تخاف الحرق مرة أخرى، ولكن نظرات الجميع لها شجعتها على فعلها، وتحدث «آجن»:

- عند العدَّ إلى ثلاثة تلمسن الماسة بنفس الوقت حتى لا تتأذى إحداكن، واحد، اثنان، ثلاثة!

وبلمسة جماعية خرج منها ضوءٌ قويٌّ ارتمى الجميع أرضًا من شدته! خرجت حزمة الضوء لتصطدم بالسقف الفلكي المتحرك فوق رؤوسهم ليستمر على إضاءته، وكان أول من رفع رأسه «آجن» ليرى ما يحدث، وانفرج فكَّاه عن آخرهما من فرط الصدمة، ومثله كان «توراك» الذي عبر عن تعجبه بصيحة جعلت الجميع يرفع نظره لأعلى، فقد رسمت الماسة بضوئها خريطة كبيرة على السقف بعد أن اقترب الميزان من الزهرة بشكل غريب!

- خريطة!

هتفت «ساڤانا» بها فأجابتها «شويكار» بعد أن استطاعت النهوض:

- نعم، يبدو أنها لمكانٍ محدد.

تبعها الجميع ووقفوا مثلها، فتدخل «توراك» قائلًا:

- بالتأكيد إنها لمكاننا القادم.

- وإلى ماذا تشير إذًا؟

تساءل «هرماس» فأجابته «إلينا»:

- تشير إلى مصر!

- مصر؟! وماذا سنفعل هناك؟! مهمة مستحيلة جديدة!

قالتها «ساڤانا» بضجر فتحدثت «شويكار»:

- انتظروا يا رفاق، أنا أسمع أصواتًا غريبة!

التفت الجميع لبعضهم بريبة شديدة، وبدأت «شويكار» في التركيز أكثر ثم قالت برعب:

- لقد سمعت هذه الأصوات من قبل!

هتف «آجن» بتوتر:

- وما هي شويكار؟

- نفس أصوات المعركة، إنهم النجويل الذين قتلوا هرماس!

شهقت «إلينا» وأمسكت بذراع «هرماس» في رعب، بينما هتفت «ساڤانا»:

- ماذا نفعل الآن؟! علينا الهروب فورًا!

أسكتهم «توراك» بهتافٍ غاضب:

- فليهدأ الجميع! التوتر سيقتلنا مرة أخرى، هيا لنبحث عن مخرج من هنا، ولكن أولًا اسحبن تلك الماسة، يبدو أننا سنحتاجها في أكثر من ذلك.

ارتفعت أيدي القطط سويًّا وخطفن الماسة بسرعة، واتجهت «ساڤانا» نحو «توراك» لتسلمها إليه فهتفت «شويكار» قائلة:

- انظروا! هناك زجاجة أخرى، تعالوا لنسحبها سويًّا.

تعجبت «ساڤانا» واتجهت نحو «شويكار» و«إلينا»، وبعد العدِّ أمسكن بقارورة زجاجية بنفس بنوع الزجاج المحيط ونقوشه الغريبة، وما إن أمسكنها حتى توهجت بضوءٍ أزرق، فابتسمت «شويكار» قائلة:

- يبدو أن جدتنا قررت إهداءنا زجاجة مياه سحرية!

ثم سلموها أيضًا إلى «توراك» الذي وضعها في حقيبته، بينما وقف «آجن» و«هرماس» يتفقدان الغرفة ليبحثا عن مخرجٍ آمن، ووقفت «شويكار» تستمِع أكثر ثم هتفت برعب:

- لقد وصلوا ونزلوا إلى المياه! تأخرنا وسنموت جميعًا هذه المرة!

*****

الفصل الرابع والعشرون

وقف أمام بلورته يمسك بعصاه الغريبة يتحرك بعصبية حولها، يراقب ما يحدث بأعين حمراء وتكشيرة أنياب شديدة الشر، يرغي ويزبد هاتفًا بخدامه:

- لقد وصلوا إلى بابل واقتربوا أكثر مما يجب بعد كل ما نفعله!

أجابه أحد خدَّامه وهو يرتعش خوفًا من صوته ولهجته شديدة الشر:

- إننا نفعل كل ما بوسعنا يا سيدي.

وكزه بعصاه الغليظة في جسده مما جعله يصرخ من الألم:

- لا يوجد في قاموسي شيء يسمى «ما بوسعنا»! يجب أن تفعلوا ما تؤمرون به تحديدًا وعلى وجه السرعة.

- يا سيدي إننا ننفذ الأوامر، ولقد استطعنا قتل أحد الحماة.

صرخ بشدة في وجه الخادم المسكين قائلًا:

- لقد عاد إلى الحياة أيها الغبي! تلك الجدة الملعونة آخر نسل القطط وأقواهم تساعدهم بطرق ملتوية.

حدق فيه خادمه برعب شديد وصوت مرتعش:

- إذًا ماذا نفعل يا سيدي؟ جيشنا في الطريق إليهم.

- افعلوا ما أمرتكم به، وأنا سأحاول إيقافهم بسحري، ولكن يجب علينا قتلهم قبل أن يقتلنا جميعًا سيدي الأعظم!

*****

ساد الهرج والمرج في المكان، الجميع يهتفون ويبحثون هنا وهناك عن مخرج لتلك الغرفة المغلقة التي سُجِنوا فيها، بدأت «إلينا» في البكاء

وصرخت بها «ساڤانا» المتوترة، بينما وقفت «شويكار» تضع يدها على أذنيها الطويلتين تحاول إيقاف قدرتها السمعية الخارقة عن التقاط أصوات النجويل المتوحشة! وصرخ «توراك» بالجميع قائلًا:

- اصمتوا! اصمتوا جميعًا! دعوني أبحث عن حل لهذه الورطة.

توقف الجميع عن الحركة والتفتوا نحو «توراك» بتوتر شديد، والذي تحرك في الغرفة بشكل عشوائي يبحث عن أي شيء، فأوقفه «هرماس» قائلًا:

- لقد بحثنا في كل سنتيمترٍ هنا، لا تُتعب نفسك.

توقف «توراك» فجأة بدون أن ينبس ببنت شفة وخلع حقيبته الجلدية في حركة غير مفهومة للجميع بعد أن أحس بحرارة شديدة تلسع في جلده، وضعها أرضًا وأخرج الماسة التي كانت سببًا في الحرارة، وما إن رفعها أمامه وهي داخل الحقيبة ليتفقدها حتى خرجت حزمة ضوئية ساطعة متوجهة نحو الجدار المقابل لهم، تبعها الجميع بأعينهم وصدرت شهقة من الفتيات عندما رأوا ما أشارت إليه الماسة، خطوط ضوئية ترسم شكل باب في الحائط!

هتفت «إلينا»:

- ما هذا الذي رسمته؟! باب!

اقترب «آجن» نحو الجدار ووضع يده على الرسم ثم التفت نحوهم مبتسمًا:

- ليس رسمًا يا رفاق، إنه طوق نجاتنا، هيا بنا بسرعة!

تسمَّر الجميع في مكانهم قليلًا ولم يُفيقوا ليتحركوا سوى بتزلزل الغرفة معلنة عن دخول النجويل إليهم! صرخ بهم «آجن» فجرى الجميع نحوه، سحب «شويكار» ودخل بسرعة إلى الحائط وتبعه البقية بفم مفتوح لعبوره الحائط الصخري المغلق، ولم يكن أمامهم أي وقت للتعجب أو الانبهار.

خرج الجميع من الغرفة والحائط، ووجدوا أمامهم سلالم حجرية حلزونية طويلة، ارتقوها بسرعة خاصة بعد سماعهم لطرقات النجويل على الحائط

الغريب خلفهم، وأخيرًا عادوا إلى الضوء والحياة. وبعد صعودهم وجدوا أنفسهم على ضفاف نهر الفرات، سقط الجميع على ركابهم يلهثون من فرط التعب وسرعة الصعود، وأخيرًا تحدثت «شويكار» متسائلة:

- ما الذي حدث بالأسفل؟!

أجابها «آجن»:

- حائط سحري ككل شيء، يظهر كجدار مغلق ولكن بعد أن وضعت يدي عليه واخترقته عرفت ماهيته.

ردت «إلينا»:

- حقًا؟! لم يعُد باستطاعتي مشاهدة المزيد من العجائب!

تدخل «توراك» وقطع حديثهم بعد أن نظر في ساعته قائلًا:

- يا رفاق! المهلة تضيع، لم يعد أمامنا سوى ثلاث ساعات، ويجب علينا التوصل إلى مكان سلاح الحماية لنطلقه قبل خروج الوحش!

هتف «هرماس»:

- وماذا نفعل الآن؟ لا يوجد لدينا سوى قناع لا قيمة له، أيعقل أن يكون هذا هو السلاح!

أجابه «توراك»:

- لا شيء محدد الآن يا هرماس، ولكن يجب علينا إكمال رحلتنا حتى نكتشف ماهية السلاح.

تدخل «آجن» قائلًا:

- إلى مِصر إذًا!

أومأ «توراك» برأسه:

- نعم، كما أشارت الخريطة، سأتحول وتعتلون ظهري جميعًا، بسرعة قبل

مهاجمة النجويل لنا.

خلع «توراك» خاتمه واعتلى الجميع ظهره، ثم انطلق نحو الحضارة الكبرى، مِصر!

وبعد عبور أنهارٍ وبلاد، هبط «توراك» أخيرًا في صحراء خالية من الجميع سوى أصوات الهواء المخيفة وحرارة الشمس على الرغم من اقتراب وقت غروبها، ارتمى على الرمال الساخنة وحوله الجميع يتساءلون عن المكان الغريب، وأولهم كانت «إلينا»:

- أين نحن؟!

التقط «توراك» أنفاسه أولًا ثم أجابها:

- لا أعلم تحديدًا، هذا ما رأيته في الخريطة، ولكن لست متأكدًا.

توترت «ساڤانا» وسألته:

- ماذا تعني بـ «لست متأكدًا»؟!

- لقد كنت أتأكد من إحداثيات المكان عن طريق حاسوبي، والآن فقدته بعد انتهاء بطاريته واستخدمت الحدس فقط هذه المرة.

رفع «آجن» حاجبه بسخرية، بينما وقف «هرماس» ليقول:

- إذًا فلنبدأ بالبحث ونعرف ماهية المكان.

هتفت «شويكار» التي كانت تحركت إلى الأمام بعدة خطوات تراقب شيئًا قد لمحته منذ نزولهم:

- يا رفاق، أظنني عرفت مكاننا!

التفت الجميع نحوها فأكملت:

- نحن بالقرب من أهرامات الجيزة بمِصر، أول عجائب الدنيا السبع، كحدائق بابل المعلقة.

نهض «توراك» فورًا ووقف بجوارها متسائلًا:

- ماذا تعنين بالقرب؟!

رفعت «شويكار» ذراعها وأشارت:

- هناك، أترى؟ إنها ظاهرة لكبر حجمها ولكن المسافة بعيدة بالفعل.

تدخلت «ساڤانا»:

- إذًا الأهرامات هي محطتنا الجديدة؟

هتفت «إلينا»:

- الأهرامات! هل تعرفون كِبَر حجمها وعظمة بنائها والتي ستصعب علينا فعل أي شيء بداخلها؟! اللعنة! ألم تجد جدتنا سوى الأهرامات؟!

قال «هرماس» متعجبًا:

- ولكن ماذا نفعل بالأهرامات، هل هي جزء من السلاح؟!

وقف «آجن» بجوارهم:

- أظننا يجب علينا الاقتراب أكثر لنرى بأنفسنا.

رد «توراك»:

- نعم، ويجب علينا الإسراع، فالوقت يتسرب من بين أيدينا وعلى الجميع التحول لنصل إليها بسرعة.

أنهى «توراك» جملته وعاد لتحوله ثم تبعه الجميع، ما عدا «آجن» الذي اعتلى ظهره لصعوبة تحوله بالصحراء.

وبعد عدة دقائق، كان الجميع يقفون بعد عودتهم لهيئتهم خلف صخرة كبيرة يراقبون زوار الأهرامات بتعجب! همست إليهم «شويكار»:

- منذ متى تختار جدتنا مكانًا مأهولًا بالسكان؟!

أكد «آجن» على جملتها:

- نعم، لم يحالفنا وجود أحد سوى في المتحف المكسيكي والذي كان بعيدًا عن اختيارها.

تدخل «هرماس»:

- أشعر أن هناك شيء خاطئ يا رفاق!

التفت الجميع نحو «توراك» الذي أقر خطأه قائلًا:

- يبدو أنني أخطأت في الوصول هذه المرة.

تساءلت «إلينا»:

- وماذا نفعل الآن؟!

وقف «توراك» قائلًا:

- هيا لنبتعد قبل أن يكتشفنا أحد ثم نرى ماذا نفعل.

جرى «توراك» عائدًا بهيئته وتبعه الجميع حتى ابتعدوا بشكل مناسب عن المكان، ثم وقفوا لاهثين يلتقطون أنفاسهم، وكانت أول المتحدثين «ساڤانا» قائلة:

- لقد ابتعدنا، ما الحل الآن؟

تساءل «توراك»:

- هل تستطيع إحداكن البحث في رؤياها عن أي شيء؟

أجابته «شويكار»:

- لقد توقفت رؤاتنا منذ زمن توراك!

- فلتجربن مرة أخيرة!

وقفت الثلاث قطط يحاولن البحث برؤياهن عن أي شيء، ولكن ظهرت خيبة

الأمل على وجوههن، فتدخل «آجن» قائلًا:

- لماذا لا نجرب الماسة مرة أخرى؟!

هتفت «شويكار»:

- نعم، آجن على حق!

لم ينتظر «توراك» شيئًا وخلع حقيبته مخرجًا منها الماسة، والتي كانت تتوهج بضوء أحمر يظهر ويختفي كأنه يخبرهم بتحذيرٍ ما!

ابتسم «توراك»:

- نعم، إنها الماسة حقًا يا آجن، والضوء الأحمر يشير بالتأكيد أن المكان خاطئ.

تحدث «هرماس»:

- ولكن كيف نتوصل إلى المكان الصحيح؟ هل تطير توراك وتحدد الاتجاه؟

أجابه «توراك»:

- لا بل نستخدم نفس الطريقة.

ثم رفع الماسة ووجهها نحو السماء فتوهجت بعض النجوم فيما يشبه خطًّا مستقيمًا باتجاهٍ معين، فهتف «توراك»:

- هذه هي وجهتنا.

ثم تحدثت «ساڤانا» بفم نصف مفتوح:

- نجوم في وضح النهار؟!

ضحكت «شويكار»:

- وهل هذا فقط ما يُبهرك؟!

رفع «توراك» ساعة يده مرة أخرى قائلًا:

- اتركوا أمر النجوم الآن، لقد ضاعت ساعة ونصف منا ولم يبق أمامنا سوى القليل.

هتفت «إلينا»:

- إذًا هيا تحوَّل لنعتلي ظهرك.

زفر «توراك» وردَّ ساخرًا:

- نعم سأفعل، ولكن ذكروني بعد انتهاء تلك المهمة اللعينة أن تدفعوا لي مقابل تذاكر الطيران المجانية تلك!

وكزته «ساڤانا» فضحك عاليًا، ثم تحول مرة أخرى واعتلى بالجميع إلى السماء ليتبع خط النجوم المشعة وقد أعطى الماسة إلى «ساڤانا» لكي تستمر في توجيههم نحو المكان الصحيح.

مر وقت طويل طار فيه «توراك» على نهر النيل في مصر بالكامل حتى اقترب من جنوبه، شهق الجميع عندما رأوا روعة المكان بالأسفل، النهر الأزرق الذي يعكس الشمس الحمراء قبل مغيبها وهبوطها في أحضانه في صورة تقشعر الأبدان لرؤيتها.

عاد «توراك» للرفرفة بعد أن توقف ليشاهد معهم تلك اللوحة الرائعة، ورفع رأسه نحو خط سيرهم، وتبعه إلى أن وصل إلى منتصف عرض النهر تقريبًا، وأتاه صوت «ساڤانا» هاتفًا:

- توراك! توقف هنا، الماسة تحولت للون الأخضر ويبدو أنه المكان المنشود.

وهتاف آخر من «شويكار»:

- انظروا إلى تلك الجزيرة!

شهقات إعجاب تناثرت بالجو كما اعتادوا في الآونة الأخيرة، كانت جزيرة تتوسط نهر النيل بشكل شبه بيضاوي، تحدُّها أشجار خضراء عالية من

أطرافها، وتُظهِر في منتصفها بعض المباني والصروح الضخمة الرائعة، المنظر كله من الأعلى رائع! ثم خرج ضوء كبير يشير إليها.

هتفت «إلينا»:

- رائع! أنا أعرف هذه الجزيرة جيدًا، ولطالما حلمت بزيارتها في أسوان، بلد السحر بمصر يا رفاق!

صدرت همهمة موافقة لحديثها، بينما توجه «توراك» نحوها ليهبط، أحس الجميع بحرارة شديدة تنتابهم كلما اقترب من الجزيرة، وأثناء طيرانه توقف فجأة بشكل جعل «إلينا» تنزلق من فوق ظهره لولا إمساك «هرماس» بها، وبعد أن رفعها صرخ نحو «توراك»:

- ماذا يحدث؟!

- لا أعرف! لا أستطيع الهبوط أو الاقتراب أكثر من ذلك!

هتفت «ساڤانا»:

- كيف ذلك؟!

تدخل «آجن»:

- حاول أن تدور من مكان آخر توراك!

استمع «تـوراك» لنصيحة «آجن» وبدأ في الـدوران حول الجزيرة، ولكن واجهته نفس المشكلة، فقال:

- يا رفاق لا أستطيع! هناك شيء يمنعني!

ليجيبه «آجن»:

- إذًا سأتحول أنا وأجرب من المياه يا توراك، فلتحاول البقاء جوًا.

- حسنًا، سأنزل إلى ارتفاع منخفض أكثر.

وبالفعل نزل «توراك» حتى اقترب من سطح المياه، بينما خلع «آجن» خاتمه وتحول إلى دولفين أليف واتجه نحو الجزيرة تحت مراقبة الجميع له، شهقت «شويكار» عندما توقف «آجن» فجأة، وفطن الجميع أنه واجه نفس مصير «توراك»، لا يستطيعون دخول الجزيرة!

تحدثت «ساڤانا» بإحباط:

- ماذا نفعل الآن؟!

اشتعل «توراك» وطار بهم نحو الجزيرة بعصبيةٍ كادت أن تلقي بهم جميعًا في المياه، وعلى الرغم من توتر الجميع إلا أن «سَاڤانا» لمحت توهجًا جديدًا للماسة الغريبة التي بيدها، فهتفت به:

- توراك، اقترب مرة أخرى الماسة تضيء!

فعل «توراك» ما أخبرته به فردت بسرعة:

- نعم، نعم، أضاءت مرة أخرى من جهة اليمين، إذًا لتتجه يمينًا توراك.

اتجه «توراك» ومثله «آجن» الذي لمح تحركهم من المياه، استمرت الماسة في التوهج باتجاهات مختلفة حتى وجدوا أنفسهم يلفون حولها في شكل دائري واسع حتى ظهر خط سيرهم بلون أبيض كالطائرات النفاثة حول الجزيرة، ثم فجأة انخفضت حرارة الهواء واستطاع «توراك» العبور نحوها مع تصفيق «شويكار» و«إلينا» الفرحين بالتوصل إلى الحل.

نزل في منتصفها تقريبًا وتبعهم «آجن» الذي توجهت نحوه «شويكار» فرحة، فلف ذراعه حولها واقترب من الجميع، وبعد عودة «توراكٍ» إلى هيئته أمسك بالماسة التي كانت تتوهج بأضواء خضراء مرة أخرى قائلًا:

- إذًا نحن بالمكان الصحيح هذه المرة.

زفرت «ساڤانا»:

- نعم أخيرًا، ولكن ماذا حدث بالأعلى؟ ما الذي منعنا؟!

أجابها «آجن»:

- نفس الشيء الذي يمنع رؤياكم ويبعث لنا بالوحوش منذ بداية المهمة.

التفت الجميع نحو هتاف «توراك»:

- يا رفاق، لم يعد أمامنا سوى نصف ساعة فقط على النهاية، ولم نعرف ماذا نفعل إلى الآن!

بدأ التوتر يسري في عروقهم وازدردوا، لعابهم ثم ردت «ساڤانا» بصعوبة:

- لنبحث هنا في أرجاء الجزيرة.

ثم رفعت الماسة التي كانت تقبض عليها قائلة:

- ونتبع تلك الماسة كما فعلنا مسبقًا.

التفت الجميع حولهم فرأوا الكثير من المعابد الحجرية، لم يكن أمامهم الكثير من الوقت ليتبينوا روعة بنائها أو نقوشها الرائعة والواضحة على رغم من مرور العديد من القرون، اتفق الجميع على الانقسام إلى ثلاث مجموعات ليبحثوا عن شيء غريب أو أي علامة تخص ڤينون توضح لهم وجهتهم.

كان الجميع يجري في كل اتجاه، يخرجون من معبد ليدخلوا للذي بجواره، يبحثون هنا وهناك، الجميع يُسابِق الوقت الذي اقترب كثيرًا، لنهايتهم ونهاية العالم بأكمله! بعد ربع ساعة كَاملة، وقف الجميع في المنتصف والكل يجيب بالرفض على إيجاد أي شيء يدلهم نحو بداية خيط الحل.

وفجأة! أحس الجميع باهتزاز خفيف في الجزيرة، فانتفضت الفتيات في أمكانهن ثم تزايدت الهزات إلى زلزال قوي وسقوط مياه سوداء على أجسادهم، فرفع الجميع رأسه إلى الأعلى، كانت الشمس قد غربت تمامًا قبل قليل، ولكن الآن ظهر ضوء ساطع يكاد يخطف أبصارهم من شدته، لم يقطعه شيء سوى المطر الأسود وصوت الرعد يصحبه برق بلونٍ أزرق غريب!

صرخت «شويكار»:

- ماذا يحدث؟!

ولكن لم يصلهم صراخها، فقد بدأت الأرض تنشق من أسفلهم لتظهر لهم هوة عميقة وقعت فيها «ساڤانا» أولاً ثم «شويكار»، وقبل أن يتحرك أحدهم كانت الهوة قد اتسعت بالفعل وابتلعت «إلينا» معهم بداخلها، ولم يستطيعوا فعل شيءٍ سوى سماع صراخ «إلينا» بجملة:

- إنها نهايتنا التي رأيتُها!

*****

الفصل الخامس والعشرون

ما زالت صرخات «إلينا» تصلهم، بينما «هرماس» و«توراك» و«آجن» يحاولون النزول خلفهن، ولكن الهوة انغلقت على الثلاث قطط في نفس وقت دخول جيش النجويل على الحماة الثلاثة!

اعتدلوا في ذهولٍ تام ليردد «هرماس» وهو ينظر لساعته:

- لقد انتهى الوقت! صدقت إلينا، إنها نهايتنا!

ليختمها وهو يخلع خاتمه، ففعل «توراك» و«آجن» بالمثل مرددين في لحظة واحدة:

- سنحارب حتى الموت!

أظلمت السماء باللون الأسود واختفى كل ما كان يُنيرها، لتبدأ أعاصير تدمر كل شيء، نظر الساحر للهوة في السماء وابتسم باستمتاع وهو يشير للجيش من النجويل أن يتوجهوا نحو الحماة، ثم قال:

- هيا اقضوا عليهم، فلم يبقَ إلا القليل جدًا وننتصر أخيرًا!

بعيني صقرٍ جامح نظر «توراك» للثقب الأسود الذي اتسع في السماءٍ وابتلع بهدوء كل شيء عًلى الأرض، أغمض «آجن» عينيه ليصيح بالجميع قائلًا:

- الفتيات بخير! ڤينون بخير!

ركض «توراك» و«هرماس» نحوه فزعين، ليسأل «هرماس» بلهفة:

- من أين عرفت؟! أخبرني آجن! قلبي سيتوقف!

أمسك «آجن» بكتفيه وهو يبتسم:

- لا أعلم! سمعتُ صوت شويكار عاليًا يُخبرني أنهم بخير، وأن هذه الهوة دلتهم على شيءٍ ما.

هدر «توراك»:

- الجيش أمامكم، انطلقوا!

ثم طار بجناحيه الضخمين مرتفعًا يلتقط ما يلتقط منهم بأظافره الحادة يقطعه إربًا ويقذفه في الهواء، بينما دخل «هرماس» وسط المعركة عازمًا ألا يُقتَل هذه المرة كما وعد «إلينا»، فهي بخير الآن وستعود إليه، وحين تعود يجب أن يكون هو بخير لأجلها، بينما تحول «آجن» لتمساحٍ بري بأنياب سميكة وكبيرة يُمزِّق جسد النجويل بلا رحمة.

*****

نادتها «ساڤانا»:

- هيا شويكار، توقفي عن استراق السمع وأجيبيني، هل وصلت رؤياكِ لآجن؟!

التفتت «شويكار» نحوها تبتسم قائلًا:

- نعم، لقد سمعني أخيرًا!

اقتربت من «إلينا» تحتضنها:

- أشكرك حبيبتي، لولا فكرتكِ ما كنا سنستطيع إخبارهم.

تأففت «ساڤانا»:

- ماذا سنفعل الآن؟!

أشارت «إلينا» للأمام:

- نمشي بهذا الاتجاه.

فتبعتها «ساڤانا» و«شويكار»، ليبدأن بالدوران في اتجاهاتٍ مختلفةٍ ويعُدن لنفس النقطة، فقالت «شويكار» بفزع:

- أظن أننا ندور حول أنفسنا!

توقفت «إلينا» تفرك جبهتها:

- لا أفهم شيئًا! الظلام يخيم في المكان كله ولا أستطيع رؤية الكلمات على الجدران بوضوح.

نظرت «ساڤانا» لحقيبة «توراك» التي في يدها، وابتسمت حين تذكرت أنه أعطاها إياها وقت تحوله، وأخرجت الماسة سريعًا لتجدها أضاءت المكان بأكمله باللون الأزرق، فشهقت «شويكار» وصفقت «إلينا» بفرح وهي تقترب من الجدران تحاول قراءة الهيروغليفية. لم تجد شيئًا مميزًا، كل ما كُتب هو تاريخ معبد فيلة، وسرد أسطورة إيزيس وأوزوريس وما حدث معهما، فَسألتها «شويكار»:

- ماذا تقرأين إلينا؟

أجابتها وهي ما زالت تحول استخراج جملةٍ تخصهم:

- أشياء لا تعنينا شويكار، ما كُتب على الجدران هو حديث عن أسطورة قديمة عند المصريين، وقد قاموا بتشييد هذا المعبد لعبادة «إيزيس»، حيث كان هناك اعتقاد بأنها وجدت فيه قلب زوجها «أوزوريس»، بعد أن قتله وقطعه أخوه داعية الشر المعبود «ست»، ومن ثم فإن المعبد كان شاهدًا على عبادة المعبودة «إيزيس».

- حسنًا ماذا سنفعل الآن؟! انتهى وقتنا والحماة يموتون في الخارج.

قالتها «ساڤانا» وهي تصرخ عاليًا، لتُجيبها «إلينا» بتوتر أكبر:

- لا أعلم!

وقفت «شويكار» في المنتصف تشير إلى الاثنتين قائلة:

- اهدآ قليلًا، هذه الماسة تُضيئ بلون أزرق، معناها أننا في الطريق الصحيح، لأننا لو في طريقٍ خاطئ فستُضيئ بالأحمر كما فعلت سابقًا.

صكت «ساڤانا» أسنانها بغيظ:

- ولكنها في السابق كانت تُعطينها إشاراتٍ نتبعها، الآن لا تفعل شيئًا سوى الإضاءة!

رفعت «إلينا» كفيها:

- حسنًا، لنفكر قليلًا! سقوطنا في هذا المكان ليست صدفة، أنا رأيتنا نسقط هنا من قبل وظننت أنها النهاية لوقوف الرؤيا عند هذا الحد!

التفتت «شويكار» حولها:

- حاولي أن تتذكري أي شيء من الرؤى إلينا!

أغمضت عينيها بقوة وهي تسرد رؤاها:

- لا شيء سوى الدمار الشامل! نار تخرج من حيث نقف لتبتلع الأرض بأكملها في ثقبٍ أسود كبير في السماء، هذا كل ما أراه!

هدرت «ساڤانا»:

- هذه الجدة الغبية! كيف لم تُحصِّننا من اقتحام رؤانا هكذا؟! لا تُفلِح سوى في حيرتنا هذه، في كل مرة لا نعرف ما نفعل.

ظلوا يلتفَّتن حول أنفسهن لدقائق، إلى أن اقترحت «إلينا»:

- هيا نكمل في هذا الاتجاه سريعًا، يُحتَمل أن نعثر على شيءٍ ما.

تحركوا خلف «إلينا» لتتوقف «شويكار» فجأة حين سمعت همسًا يقول:

- قدس الأقداس!

التفتت حولها بغرابة وما زالت الكلمة تتردد بهمسٍ شديد، همت «إلينا» أن تسألها ما حدث، أوقفتها «شويكار»:

- هل تسمعانِ هذا الهمس؟

أجابت «ساڤانا» بالنفي، بينما توقفت «إلينا» قليلًا تحاول الاستماع ولكن لا جدوى فأجابتها بالنفي هي الأخرى، ثم اقتربت من أذنها تهمس:

- ماذا تخبركِ جدتي؟!

ضمت حاجبيها:

- لماذا تهمسين هكذا؟!

ابتعدت «ساڤانا» عدة خطواتٍ للخلف تنظر حولهم بغرابة، لتتبعها خطوات أخرى، إلى أن توقفت وهي تبتَسم، ثم اقتربت منهم مرة أخرى لتشير إليهم أن تقف كل واحدة في زاوية كالمثلث ولكن مقتربين!

فعلت كل منهما ما قالته «ساڤانا»، لترفع سبابتها ناحية السقف، شهقت «إلينا» عندما نظرت للأعلى فوجدت مثلثًا يتطابق مع انعكاسهم على الأرض، ومكتوب داخله باللغة الهيروغليفية:

«اذهبوا لغرفة قدس الأقداس!»

سألتها «شويكار»:

- ماذا كُتب؟

أجابتها «إلينا» وهي تلتفت حولها:

- لقد أخبرتني جدتي بالهمس، ولم تظهر الكلمات إلا حين شكلنا مثلثًا متقارب الزوايا، معنى هذا أن الأمر سري للغاية، لهذا لا يجب أن نتكلم به.

- تستطيعين بداخل هذا المثلث إلينا، ولا تستطيعين خارجه!

قالتها «ساڤانا» وهي تشير لهالة زرقاء تحيط بهم، فابتسمت «إلينا» وهي تقرأ عليهم الكلمات:

- مكتوب بالأعلى اذهبوا إلى غرفة قدس الأقداس!

أوقفتها «شويكار»:

- وهذا ما سمعته، ولكنني لا أعرف أنها غرفة!

أكملت «إلينا»:

- هي غرفة سرية لعبادة الآلهة عند المصريين القدماء، فكانت تحوي تمثالًا للمعبود، لهذا اعتبر المصري القديم تمثال المعبود في قدس الأقداس سرًا أكبر من الأسرار الخاصة الموجودة داخل السماء، وسرًا أكبر من الأسرار الخاصة بالعالم الآخر، ومختفيًا أكثر من سكان العالم الأزلي، وعلى هذا الأساس كان التمثال يوضع داخل مقصورته أو ناووسه ويغلق عليه، ثم يوضع في حجرة خاصة به تُعرَف بقدس الأقداس، وكان التمثال محور الخدمة اليومية في المعبد، ولم يعتقد المصري القديم أن التمثال هو المعبود، لكنه اعتقد أنه من خلال طقوس معينة يتقمصُ روحُ المعبودِ في تمثاله.

ثم أضافت «إلينا» بتركيز شديد وهي تحاول أن تتذكر كل تفصيلة في هذه الحجرة:

- هناك أيضًا ملاحظة مهمة، وهي الصعود التدريجي والظلام التدريجي الذي يبدأ من صرح المعبد حتى قدس الأقداس، فالأرضيات ترتفع بالتدريج ابتداءً من بهو الأساطين وحتى قدس الأقداس، كما يُلاحظ أيضًا أن سقف قدس الأقداس أقرب ما يكون من الأرضية، فهو أكثر انخفاضًا من باقي أجزاء المعبد، وهكذا فالفناء المكشوف يغمره الضوء في النهار، ويعقبه ضوء خافت في بهو الأساطين، ليتبعه ظلام مقصود في الحجرات الخاصة بالرب الذي يُعبَد في المعبد، وربما كان الهدف من ذلك بعث الرهبة والخشوع والإحساس بالغموض في نفس أي شخصٍ يدخل إلى المكان المقدس.

ثم استطردت «إلينا»:

- كانت جميع أجزاء أو أقسام المعبد الرئيسية تُقام على محورٍ واحد يتوسطه طريق يبدأ من مدخل المعبد حتى يصل إلى قدس الأقداس، وهذاً يعني أننا نسير في هذا الطريق، ولكن من أسفل المعبد!

سألت «ساڤانا»:

- وهل أنتِ واثقة أننا نسير في طريق صحيح؟!

أجابتها بثقة وهي تبتسم:

- نعم صحيح، بدليل هذا المثلث، فأيضًا يجب أن نمشي بنفس الزاوية هكذا حتى لا يكشفنا الوحش!

أغمضت «شويكار» عينيها حين أتتها رؤى، لتصرخ بعدها بفزع قائلة:

- الحماة استفدوا كل قواهم وإصاباتهم بالغة للغاية، إن لم نفعل شيئًا سريعًا ستكون نهايتهم بعد دقائق معدودات!

سألتها «إلينا» برعب:

- وكيف رأيتِهم؟!

أجابتها:

- أظن أن الرؤى محصنة بداخل هذا المثلث!

ابتلعت «إلينا» ريقها بصعوبة وهي تتخيل موت «هرماس» للمرة الثانية، بينما تجمعت الدموع بعين «ساڤانا» التي تذكرت جسد «هرماس» الفاقد للحياة وأنها سترى «توراك» في نفس الوضعية، فأمسكت حقيبته تضمها وهي تقول:

- الماء الشافي معنا!

صرخت بهم «شويكار» وهي تنظر لساعة يدها:

- ثلاث دقائق فقط وسننتهي جميعًا! لا تقفن هكذا، هيا!

تحرك الثلاث قطط بنفس الزاوية الثلاثية، لتخبرهم «ساڤانا» والقلق قد تمكن منها:

- انظروا للأعلى، فهناك علامات تظهر لنسير خلفها.

بدأت خطواتهم تُسرِع إلى أن وصلت للركض وهُنَّ يتبعن العلامات بداخل

المثلث، وبعد عدة انحناءات وجدوا بابًا خشبيًّا سميكًا محفور عليه علامة ڤينون يتوسطها مكان لوضع الماسة، بدون تردد وضعت «ساڤانا» الماسة سريعًا في مكانها المخصص، فانفتح الباب على مصراعيه! وجدوا عدة درجات تدل على الصعود، ولكن بنهاية الدرجات يتدرج الظلام إلى أن وصل للسواد الأعظم،

- يجب أن نستمر في وضعية المثلث هذه.

قالتها «شويكار» فهزت الأخريات رؤوسهن إيجابًا، ليبدأن في صعود الدرجات بسرعة كبيرة، إلى أن وصلن للأرضية الحجرية، فقفزت «إلينا» للأعلى بينما فعلت «شويكار» و«ساڤانا»، وهنَّ يرددن بنفس الصوت:

- يا إلهي! ما هذا الجحيم؟!

اقترحت «ساڤانا» سريعًا وهي ما زالت تقفز:

- لنحاول أن نقف في وضعيتنا، لن نستطيع المشي على هذه النيران!

تحركت كل منهما في وضعيتها حتى آخرهم «شويكار» حين قفزت في مكانها، استطعن أن يقفن بهدوء دون الشعور بالحرارة الشديدة، ثم توقفن عن اللهاث لتتساءل «إلينا»:

- ماذا حدث؟! من أين تأتي هذه النيران؟!

- يا إلهي! كدنا أن نحترق!

قالتها «ساڤانا» بينما أخبرتهم «شويكار»:

- لقد احترقنا بالفعل ساڤانا! ولكن قدرتنا على الشفاء جعلتنا نتجاوز الأمر!

أشارات لهم «إلينا»:

- هيا نسير بهذا الاتجاه، وحاولا الحفاظ على وضعيتنا، لأن من الواضح أنها سلاحنا الآن، والوحيد!

*****

وقع «توراك» أرضًا عندما تكالبت عليه مجموعة من النجويل لم يستطع السيطرة عليهما، البعض منهم أمسك بجناحيه والبعض الآخر بذيله، فلم يستطع الإفلات!

ركض «آجن» و«هرماس» نحوه وهم يجرون أقدامهم، فلم يعد بهم قوة كافية، بدأوا بقتل النجويل الذي يُحيط بـ«توراك» قبل أن يمزقه بأظافره، سأله «آجن» وهو يتقاتل معهم:

- هل أنت بخير توراك؟

لم يُجِبه، فكرر «هرماس» بقلق:

- تكلم توراك، أرجوك!

أجابهم وهو ينهت من التعب:

- لا تقلقوا، لم أمُت بعد.

سأله «آجن» وهو يبصق من فمه جزءًا من النجويل:

- هل تستطيع الطيران؟

أجابه نفيًا:

- لا أظن ذلك!

- تحول إذًا لوحشٍ بري! هل تستطيع؟

قالها «هرماس» فأجابه «توراك»:

- سأحاول، أغمض عينيه وحاول التركيز على شيء شرس، ولكنه كلما فكر بوحش وجد نفسه ما زال على وضعه.

تأفف «توراك» قائلًا:

- لا أستطيع التحول لشيء آخر!

نظر «آجن» لـ«هرماس» المفزوع وهو يردد همسًا:

- لم يعد أمامه الكثير!

أغمض «آجن» عينيه بشدة قائلًا:

- أيًا كان ما تفعلانه فأسرعا، لقد أوشكنا على النهاية!

*****

بدأت «شويكار» تشهق بالبكاء وهي تقول:

- لم يعد أمام توراك سوى بضع دقائق، وهرماس وآجن وضعهما خطير جدًا.

آثرت «ساڤانا» الصمت بينما بدأت «إلينا» في البكاء هي الأخرى، بدأن يركضن بشكل أسرع إلى أن وصَلن إلى نهاية الممر فلم يجدن سوى حائط!

صرخت «شويكار»:

- كيف سندخل عبر الحائط!

تكلمت «ساڤانا» بنفس الهدوء القاتل:

- هناك احتمال أننا سلكنا طريقًا خاطئًا!

نفت «إلينا»:

- مستحيل! لقد تتبعنا العلامات وهي لم تخطئ أبدًا من قبل!

استدارت «شويكار» قليلًا فرفعت «إلينا» حاجبيها بتعجب وهي تشير:

- حسنًا شويكار توقفي على هذه الوضعية، لقد ظهر شكل مثلث أزرق على الحائط.

حاولت «إلينا» الاقتراب فاختفت العلامة، عادت سريعًا لمكانها لتجدها ظهرت مرة أخرى، فتأففت بغضب:

- كيف ندخل الآن؟!

قالت «شويكار» وهي تفرك جبهتها:

- هذا نفس ما حدث في حدائق بابل حين حُبِسنا بالداخل، لم نستطع المرور من هذا العلامة!

نظرت «إلينا» لـ«ساڤانا» التي اتخذت وضع الجمود التام، فلم تعد تشعر بشيء ولا حتى تشاركهما الحديث، فقالت لها:

- هاي! أين أنتِ ساڤانا؟ أخبرينا ما يحدث معك!

أشارت برأسها بلا مبالاة:

- لا شيء، لا شيء على الإطلاق، دعونا نحاول المرور بنفس الوضعية.

حاولت «شويكار» و«إلينا» الدخول ليصطدموا بالحائط، صرخت «شويكار» عاليًا:

- ماذا يحدث؟!

حاولت «إلينا» تهدئتها:

- انتظروا لحظة لنفكر.

ثم التمعت فكرة في عقلها:

- تعالي ساڤانا قفي أنتِ أمام الباب، أي اجعلي قمة المثلث باتجاه الباب وسنقف نحن أضلاعه في المؤخرة.

فعلت «ساڤانا»، فوجدن العلامة تظهر بوضوح وتتسع، وعندما اقتربت «ساڤانا» وجدت نفسها تعبر للجانب الآخر، ركضا خلفها فنظرت «إلينا» عبر الغرفة تشهق:

- أين التمثال؟!

بنفس الهدوء قالت «ساڤانا»:

- لنقف بنفس وضعية الدخول.

فعلن سريعًا ليجدوا التمثال قد ظهر بالفعل داخل المثلث فاقترب ثلاثتهم منه، وعلى غرار اقترابهم التمعت سلاسلهم لتُضيء المكان بأكمله وتلتصق ببعضها، خلعوها سريعًا ليتحولوا إلى ڤينون، اجتمعت السلاسل لتصبح سلسالًا واحدًا، ثم ارتفع لأعلى والتصق بسقف الغرفة وتدلَّى منه كثريا ضخمة أضاءت الغرفة بأكملها، فتحرك التمثال خطوتين للأمام، ثم بدأ وجهه يُشع ضوءًا فضيًّا، تحسسته «إلينا» بتعجب فانتفضت من حرارته الشديدة!

فتحت «ساڤانا» الحقيبة بتعجل لتخرج القناع منها، فانتفضت بهلع حين ارتفع القناع سريعًا وانجذب نحو وجه التمثال كما تنجذب أقطاب المغناطيس، التصق القناع بوجه التمثال فرجعت القطط إلى جدار الغرفة يلتصقن به حين حدث ارتجاج شديدٍ إثر تحركه!

خرج رمح طويل وضخم من باطن الأرض يلتف حول نفسه في سقف الغرفة عدة التفافات، ثم سقط على الأرض مرة أخرى فالتقطه التمثال بيده.

*****

وفي هذه الأثناء، سقط «آجن» و«هرماس» بجوار «توراك» بعدما لفظوا آخر أنفاسهم، فالتفت جيش النجويل بأكمله حولهم وقسموا أنفسهم إلى ثلاثة أجزاء عازمين أمرهم على أن يُقطِّعوهم إربًا ويقذفوا كل قطعة منهم في اتجاه منفصل.

توقف الجيش بفزع حين صرخ الساحر بأعلى صوته، فتركوا الحماة ممددين على الأرض وركضوا نحوه، طرق بعصاه السحرية في منتصف جزيرة «أجيليكا»، فاهتزت الجزيرة وانقسمت نصفين مما جعل أجزاءً من السد تنهار ساقطة، واندفعت المياه بقوة شديدة لتُغرِق كل ما يقف أمامها فتطمسه وتبتلعه بداخلها.

سأله قائد الجيش برعب:

- ماذا يحدث سيدي؟!

بدأ ينفث نارًا من فمه فأكمل القائد:

- لقد قتلنا الحماة وكدنا نمزقهم ونأتيك برأسهم و...

بضربة واحدة بعصاه قسَم القائد نصفين، ليقف بقية الجيش يرتعد خوفًا منه، وهم لا يعرفون سبب غضبه هكذا.

تقدم الجيش وركض الجنود خلفه بأقصى سرعتهم، فأشار إليهم لمعبد «فيلة» الذي لم يبقَ على الجزيرة غيره بعدما التهمت المياه كل شيء أمامها وابتلع الثقب كل مسطح حولهم، فلم يعد يبقى على الجزيرة إلا الجزء المقام عليه المعبد.

*****

أضاءت الماسة باللون الأخضر المائل للسواد، لترتفع هي الأخرى كما فعل الصولجان وتهبط في مكانها أعلى الرُمح، اهتزت الغرفة بشدة وبدأت الصخور من حولهن بالتفتت والطيران بالخارج نحو الثقب الأسود الكبير حتى تحطم السقف تمامًا.

ثم بدأت القطط بالصراخ بفزع بعدما انهار كل شيء حولهن ما عدا الجزء الذي يقف عليه التمثال، الضوضاء والحطام وصوت الرعد الشديد، هذا كل ما يسمعنه الآن!

صرخت «إلينا» بصوت مرتفع:

- لنتمسك بالتمثال جيدًا!

جحظت عينا «إلينا» وهي ترى حقيبة «توراك» تطير في الهواء وابتلعها الثقب اللعين، أمسكت كل قطة بجزء من التمثال، فلاحظت «ساڤانا» ارتفاع يد التمثال عاليًا ومعه الرمح الملتصق به، وشهقت «شويكار» وصرخت عاليًا وهي ترى الساحر يقف أمامهم:

- إنه يقترب منا! الساحر يقترب منا بغضبٍ شديد!

بدأ صراخ النجويل يعلوا وهم يركضون خلف ساحرهم، ولكن النهاية قد أتت ولن ينجو أحد!

بدأ الثقب بابتلاع النجويل سريعًا واحدًا يلي الآخر، حتى صرخ آخرهم في سيده وهو يتمسك بعصاه والهوة تتسع وقدماه ترتفعان في الهواء:

- أغثني سيدي!

فلكزه الساحر بالعصا التي يتمسك بها، فدخل آخر سلالة النجويل في الثقب، ليغرز الساحر عصاه بالأرض كي يتوازن جيدًا، فقد بدأ جسده بالاهتزاز.

اقترب من القطط التي ما زالت تتعلق بالتمثال في رعبٍ شديدٍ وكل ما حولهم يتحول إلى رماد كثيف، ونظرت «إلينا» بتعجب وهي تضمٍ حاجبيها حين وجدت كلمات بلغة ڤينون تُكتَب على جانب التمثال بمحاذاتها، فبدأت بقراءتها:

«لكل مَن ورِثَت السلسال

تنطقُ بصوتٍ واحدٍ وعال

جملةً ولغيرها منَ الكلامِ لا يُقال:

أنا مَن جِبت الأميالَ وقصدتُ الآثارَ والأطلال

برقبتي تتعلق مهمةٌ موروثةٌ من أجدادي وما قبلهُم من أجيال

مطلَبي اليوم يتجلَّى بفكِّ قوى أمسَت ساكنةً تنتظر صوتي للامتثال

لدحرِ الشرِّ وحماية الأرضِ والهجومِ بقوةٍ واستبسال!»

ثم صرخت بهن:

- يجب أن نقرأها نحن الثلاثة في صوتٍ واحد!

انتبهت لها «شويكار» بينما «ساڤانا» ظلت تنظر للساحر الذي بدأ يتكلم بصوتٍ يتردد صداه:

- اتركوا هذا التمثال لكيلا أنهي على حُماتِكم!

شهقت «شويكار» بفزع وبدأت «إلينا» بالبكاء، بينما «ساڤانا» ما زالت تقف بجمودها تتأمل الموقف، ورفع الساحر عصاه للأعلى ثم بحركة دائرية في الهواء ظهر لهم ضوء أبيض يتسع، فشاهدوا الحماة ممدين ً على الأَرض بهيئتهم الإنسية.

نظرة ثاقبة من «شويكار» نحو أياديهم فوجدتهم لا يرتدون خواتمهم، جحظت عيناها وأيقنت أنهم فقدوا حياتهم كما حدث من قبل مع «هرماس»، ثم انتبهوا مرة أخرى على صوت الساحر:

- أستطيع أن أعيد لهم الحياة مرة أخرى وأن أترككم جميعًا تعيشون بسلام، فقط ابتعدوا عن التمثال وإياكم وترديد تلك الكلمات!

لم يتحركن، فصرخ بصوتٍ أعلى:

- لم يتبقَّ إلا ثوانٍ وسيخرج سيدي ليلتهم كوكب الأرض بأكمله وستكون المجرة ملكنا!

رددت «شويكار» بصراخٍ أكبر بعدما توقفت عن البكاء:

- إذًا لننتظر تلك الثواني، ما الذي يُخيفكَ إذًا؟!

صك أسنانه بغيظ لتهدر بها «إلينا»:

- اصمتي شويكار!

ثم قالت له:

- أعِد لنا الحُماة وسنفعل ما تأمر به!

شهقت «شويكار» بفزع وهي تسبُّها:

- جبانة وخائنة! سيقتلنا على أي حالٍ يا غبية!

ابتسم الساحر وهو يرفع كفه عاليًا:

- أعدكم أنني لن أفعل، ستنجون معنا وسيدي سيترككن في أمانٍ مع حُماتكم.

رددت «إلينا» بثقة:

- إذًا فلتُعِدهم إلينا أولًا!

كادت أن تصرخ بها «شويكار» مرة أخرى فأوقفتها «ساڤانا»:

- إلينا مُحقَّة!

جحظت عين «شويكار» وهي تهدر بهما:

- ماذا حدث لكما؟!

أكملت «ساڤانا» بنفس الهدوء:

- الثقب الأسود ابتلع الحقيبة، بمعنى أنه لا ماءَ لدينا لنُعيدَهم على قيد الحياة كما فعلنا مع هرماس، ثم إننا لا نملكُ في هذا الكوكب أحدًا سوى حُماتِنا، لم يعد لدينا لا أهل ولا أصدقاء نُبقي على حياتهم ونحارب من أجلهِم، دعونا نعيش معًا في سعادة ونتخلص من هذا الكابوس!

رفعت «إلينا» كفها قائلة:

- أنا معك ساڤانا، لن أُنهي الأمر الآن كما فعلت جدتنا لينتقل مصيرنا هذا لأحفادي ونجعلهم يرون ما رأيناه من هذا العذاب!

توقفن حين سمعن تصفيقًا حادًا للساحر وهو يُثني عليهن:

- أحسنتم القول، فأنتم أذكي سلالة وُجِدت منذ ظهور ڤينون!

ثم ضرب الأرض بعصاه مرة أخرى فسقط الثلاثة حماة من الدائرة المرتفعة عن الأرض، انحنى الساحر أمامهم وبدأ في إلقاء تعويذة خاصة وهو يرفع كفيه، وبحركاتٍ دائريةٍ مختلفةٍ شهق الثلاثة شهقة العودة للحياة!

وقف الساحر مبتسمًا وهو يقول:

- لقد وفَّيتُ بوعدي، دوركن الآن!

وقف «توراك» أولًا بينما تبعه «آجن» و«هرماس» ينظرون حولهم بفزعٍ ولا يفهمون شيئًا على الإطلاق، أشارت إليهم «إلينا»:

- تقدموا نحونا سريعًا.

ابتسم الساحر بخبثٍ وهو يضع عصاه بالعرض أمام الحماة يمنعهم من التحرك قائلًا:

- لم نتفق على هذا!

صكت «ساڤانا» أسنانها بغيظ بينما هدرت به «إلينا»:

- ماذا ستفعل بهم عندك؟! المكان كله ينهار!

أجابها بثقة وهو يضيق عينيه:

- اتفقتُ فقط على عودتهم للحياة وليس على الانضمام لكن، اترُكن هذا التمثال وانضموا إلينا.

نظرن لبعضهن البعض، فأغمضت «شويكار» عينيها، وبصوت مرتفع أخبرهن الساحر:

- يجب على الثلاث قطط الموافقة التامة.

أولٍ من رفع كفه هو «إلينا» لتتبعها «ساڤانا» بثقة تامة، ترددت «شويكار» قليلًا، لكن بنظرة واحدة نحو عيني «آجن» الزرقاء جعلتها تثق تمامًا أن النهاية مهما كانت فبجواره ستكون أفضل بكثير، فعزمت أمرها ورفعت كفها ثم نظر ثلاثتهن لبعض، فهزت «ساڤانا» رأسها ثم بحركة سريعة وتسلقت ناحية الرمح.

وفي نفس اللحظة تحول «توراك» لطائر كبير وحمل «هرماس» و«آجن» بقدميه نحوهن بصعوبة شديدة وسط هذا الإعصار المدمر.

دويٌّ صوت الساحر جعل «ساڤانا» تسرع أكثر، أوقفها «توراك» برعبٍ بعدما

أفلت «آجن» و«هرماس»، ثم أمسك بإحدى قوائمها يتساءل:

- أين تذهبين؟!

بإيماءة أخرى وابتسامة حاولت أن تُخرِجها مطمئنة:

- سأنهي الأمر للأبد توراك!

ثم سحبت قائمتها من مخلبه وانطلقت بأقصى سرعة ناحية أعلى الرمح، تبعتها «إلينا» تتمسك بأوسطه بينما هبطت «شويكار» لنهايته، وفي حركة مجتمعة سريعة تحت أنظار الساحر الذي ابتسم بنصرٍ لنجاح مسعاه برغم استردادهم للحماة، وقرروا هم التخلص من الرُمح، وأخيرًا سينتهي الأمر ويفوز سيده.

صدح صوت «شويكار» عاليًا وهي تقتلع الرُمح من الأرض لتبدأ بالاهتزاز الشديد تحتهم، وبأقصى قوة ساعدتها «إلينا» لترفع «ساڤانا» مقدمته، أخذ «توراك» «هرماس» و«آجن» على ظهره وحاول الثبات في هذا الدمار بقدر ما أمكنه، ثم هتف الساحر بصوتٍ جهوري:

- القوا الرمحَ في الهواء، هيا!

بينما ينظر إليهم الحماة بذهولٍ تام، فنظرت القطط لبعضهن البعض وفي صوتٍ واحدٍ وهم يُحوِّلن الماسةَ برُمحها للأسفل نحو الأرض:

«أنا مَن جِبت الأميالَ وقصدتُ الآثارَ والأطلال

برقبتي تتعلق مهمةٌ موروثةٌ من أجدادي وما قبلهُم من أجيال

مطلَبي اليوم يتجلَّى بفكِّ قوى أمسَت ساكنةً تنتظر صوتي للامتثال

لدحرِ الشرِّ وحماية الأرضِ والهجومِ بقوةٍ واستبسال!»

أنهوا جملتهن الأخيرة وهن يغرزن بسنِّ الرمح الذي يعلوه الماسة قشرة الأرض، فتلونت الماسة بالأسود القاني، ثم انشق المعبد إلى نصفين وخرجت

نار مستعرة من باطن الأرض، ولم يعد سوى التمثال الذي يقف على دائرة صغيرة وسط البركان.

ركضت القطط نحو «توراك» الذي يتمسك بالتمثال بكل قوته، وفجأة وقع السلسال وانقسم إلى ثلاثة أجزاء مرة أخرى وعاد حول رقبة القطط، فرجعن لهيئتهن البشرية تحت أنظار الساحر الذي صرخ بهم وهو يركض نحوهم عازمًا أمره على تمزيقهم لتجرُّؤهم على خداعه!

انتقل كل حام أمام قطته بعدما تحول «توراك» لهيئته، فأمسكت «ساڤانا» بيده قبل أن يًسقط، بينما لحقت «إلينا» بـ«هرماس» وٍ«شويكار» بـ«آجن»، ثم نظر «توراك» لخاتمه فلم يجده في يده، فصاح قائلًا:

- الخاتم اختفى ولا أستطيع التحول!

نظر «هرماس» ليده بينما فعل «آجن» كذلك، فرددت «ساڤانا»:

- مهمتكم انتهت الآن أيها الحماة!

وقف الساحر على سن عصاه وبعينٍ حمراء قفز باتجاههم، وقبل أن ينقض على رقبة «توراك» الأقرب له بغيظٍ وهو يصك أسنانه ويصيح بصرخة عالية، ابتلعه الثقب الأسود!

تمسك الجميع بالتمثال والفزع يسيطر عليهم من رؤيتهم للأهوال حولهم، ارتفع التمثال يدور في الهواء بينما صاحت «شويكار» من أمام «آجن» الذي يقف خلفها يضمها وهو يتمسك بها بكلتا يديه وهم واقفون على إحدى قدمي التمثال:

- أنا لا أفهم شيئًا! ألم تنجح الخطة؟!

أجابتها «إلينا» بصوت أشبه بالصراخ وهي تمسِك بيد «هرماس» ويقبضون على قدم التمثال الأخرى:

- لقد انتهى الوقت وتأخرنا كثيرًا!

بينما تتعلق «ساڤانا» بوسطه هي و«توراك» الذي يحاوطها ليهدر بهم:

- ماذا فعلتُن؟!

رددت «ساڤانا» بحزن بالغ:

- انتهى أمرنا جميعًا، ولكننا أنهينا على الوحش ولن يعود مرة أخرى.

ومع خروج آخر حرفٍ من فم «ساڤانا» دار التمثال بقوة شديدة وارتفع في الهواء مثل الصاروخ وانطلق داخل الثقب، فأغلقت الهوة خلفهم وانتهي كل شيء وتوقف، لتعود الأرض كما كانت!

*****

الخاتمة

أغمض الجميع أعينهم منتظرين النهاية وصعود آخر أنفاسهم، احتضن كل حام قطته وهم ما زالوا متمسكين بالتمثال وكأن أرواحهم عَلقت به، إلى أن سطَعَ ضوء شديد جعلهم يفتحون أعينهم عن آخرها وهم يرددون:

- ماذا يحدث لنا؟!

توقف التمثال وهبط على أرض صلبة، فنزل الحماة تتبعهم القطط وهم ينظرون حولهم بتعجب وترقب ٍشديدين، أمسك كل حام بفتاته خوفًا من أي حدث مفاجئ، فهم لا يرون سوى الضوء الشديد والبياضً يُحيط كل شيء!

فزعٌ أصاب الفتيات في نفس اللحظة حين ارتفعت السلاسل عاليًا، وهذه المرة أخذتهم معها!

أمسك الحماة بهم ولكن سحبها كان أقوى، فتوقفوا حين رأوا الفتيات لا يصرخن ولم يُصِبهن الهلع، بل أغمضن أعينهن في سلام.

أخبرهم «توراك» وهو ينظر للأعلى:

- يبدوا أنهم يرون رؤى!

بدأت القطط بالدوران مثل الطاحونة وسلاسلهم تدور معهم، إلى أن التحمت السلاسل ببعضها دون أن تنخلع هذه المرة!

انتفض الحماة عندما خرجت الخواتم من أجسادهم لتجتمع هي الأخرى ترتفع وتسقط حتى كوَّنتٍ ثلاث حلقات اتسعَت بشدة وبحجم كبير، ثم التحمت الثلاث دوائر لتشكل بوابة كبيرةً ومستديرة.

اجتمعت الرؤى بين الماضي والحاضر والمستقبل لتُكوِّنٍ مشاهدًا متسلسلةً من بداية الحادثة وهم في سن الخامسة عشر، وصولًا لما حدث خلال السبعة أيام الماضية!

موت ذويهم ومشاهد متنوعة من حياتهم قبل العشرين، وصولا لساعة التحول والتقاء كل قطة بحاميها، اجتماعهم سويًّا، تلاحمهم وتعلقهم ببعضهم البعض، تقاربهم من الحماة ولحظات الحب المتبادلة!

أخذتهم مشاعر مختلطة من الحب والغضب والخوف والفقد والحرمان نهاية بفُقدان الأمل ونهاية الحياة، ولكنهم ورغم كل شيء كان الشجاعة والإقدام سلاحهما الأقوى!

توقفت الرؤى عند هذا الحد، وظهرت لهم جدتهم الكبرى بثوبها الأبيض الفضفاض وشعرها الأسود الطويل وملامحها المطمئنة، القوية والحالمة في نفس الوقت، واقتربت منهم وهي تبتسم بحب مثل الأم المتفاخرة بأبنائها، ثم بدأت بالحديث والسعادة تنطق من ملامحها:

- لم أكن فخورة بسلالةٍ مثلكم، لقد تجاوزتم الصعاب بكل شجاعة وبسالة، كل الألغاز والأهوال التيٍ حاولت تجنبها معكم للأسف الشديد تضاعفت هذه المرة، لم أكن واثقة أنكن ستنجحن بهذه المهمة، رؤية الحاضر والمستقبل بأعينكن كانت تُصيبُني بالرعب الشديد، مصيركن كان متوقع وجملة واحدة هي التي ترددت على الدوام خلال هذه الرحلة «سيفشلن في المهمة وسينتهي العالم على أيديهن!».

اقتربت تتلمس صدورهم برفق وهي تُكمل:

- بصيص من الأمل كان بداخلي عندما نظرت لقلب كل واحدة منكن.

توقفت يدها عند «شويكار» فابتسمت وهي تصفها:

- متهورة ومندفعة، ولكنها الأشجع على الدوام.

ثم انتقلت نحو «ساڤانا» وهي تُكمل وتضم حاجبيها بقوة:

- غامضة وخائفة، ولكنها كانت الأقوى.

وبعدها ذهبت نحو «إلينا» تردد بملامح متهجمة:

- قلب ضعيف ومتشائم، ولكنها جبل من المعرفة لا يضام.

عادت لموقعها تقف أمامهم قائلة:

- كلًا منكن كانت تُكمل الأخرى لتصبحن أقوى وحش من سلالة ڤينون وُجد منذ بداية الخلق! لم أتخيل للحظة أنكن ستفعلن مًا فعلتموه، القضاء علَى الوحش بدلًا من حماية الأرض كما فعلنا نحن من قبل، لم تكن مجازفة قليلة، لقد فُقتم كل توقعاتي وكنتم أكثر من حماةٍ للأرض، وعليه لن يكون هناك من ڤينون سلالة أخرى، فأنتم آخر سلالة منٍ وحش ڤينون، وأنتم من قضيتم على الوحش.

ابتسمت وهي تقول:

- لهذا استطعت الظهور لكن، والحقيقة أني ممنونة لذلك، لقد كنت أشتاق لرؤيتكن.

خطت نحوهم مرة أخرى ثم وقفت قبالتهم قائلة:

- الآن تستطعن العودة والعيش بسعادة وسلام، لقد تمت مهمتكن على أكمل وجه، وكلمة شكرٍ لن توفي حقكن أحفادي، والآن أنهيت أنا الأخرى مهمتي.

اقتربت منهن حد الالتصاق وهي تضع كفيها بامتنان على وجوههن واحدة تلو الأخرى قائلة:

- سأنعم بالسلام الآن وأخيرًا منذ قرونٍ كثيرة!

الابتسامة زينت محياهن وهم ينظرن لبعضهن البعض، فأوقفتها «ساڤانا» سريعًا قائلة:

- ماذا حدث للوحش جدتي؟!

عادت تقترب بضع خطوات منهم وهي تقول بفرحة عارمة:

- لقد ابتلعه الجحيم للأبد.

ثم أغمضت عينيها لتختفي كما ظهرت!

سقطت الفتيات على الأرض ثم انفصلت السلاسل مرة أخرى لتحتفظ كل منهن بسلسالها على جيديها، وبعدها التقطهم الحماة بسعادة شديدة.

ثم أشار «توراك» إليهم نحو البوابة:

- أظن أننا يجب أن نعبر من خلالها!

سألهم «آجن»:

- ماذا حدث لكم بالأعلى؟!

ابتسمت الفتيات ولم يُجِبن، بينما سأل «هرماس»:

- لم أفهم! هل قضيتن على الوحش؟!

أجابته «إلينا» بوجه يشع سعادة:

- نعم، قضينا عليه نهائيًا.

تكلم «توراك» والدهشة تعلو ملامحه:

- كيف فعلتن هذا؟ فمهمتنا كانت إطلاق السلاح وصنع مجال حماية على كوكب الأرض؟!

ضحكت «ساڤانا» وهي تنظر لهم:

- التمعت في رأسي فكرة عندما وجدنا الأرض تعج بالنيران الشديدة، أننا لو عكسنا الرمح لأسفل ربما نقضي على الوحش.

أكملت «شويكار» لتتجه الأنظار إليها:

- لم نكن على ثقة بهذا الأمر ولا نتائجه، ولكننا قررنا المجازفة عندما اقترب الساحر منا ونفد الوقت.

تنهدت «إلينا» وهي تضع كفها على وجه «هرماس» بحنان:

- ظننت للحظة أنني فقدتك للأبد عندما طارت الحقيبة التي تحتوي على الماء الشافي، ولكن عرض الساحر أعاد لنا الأمل مرة أخرى.

- وكيف عرفتم أنه سيَفي بوعده؟!

قالها «توراك» وهو يلتصق بـ«ساڤانا»، فأجابته وهي تنظر نحوه:

- لم يكن هناك خيارٌ أمامه.

ابتسم «آجن» بسعادة وهو يقول لـ«شويكار»:

- لولا اكتشافكِ للتخاطر بيننا لكنا في عداد الأموات الآن!

قفزت «شويكار» عاليًا وهي تصفق بحرارة:

- لقد نجحنا بالأمر، لقد نجحنا!

المرح ساد الأجواء وبدأ الفتيات بالقفز عاليًا بسعادة بالغة وهم يحتضنَّ بعضهن البعض، وركض «توراك» نحو «ساڤانا» يحملها وهو يهمس في أذنها:

- بدأت أغير من صديقاتك التي تحتضنينهن دوني!

ابتسمت له بينما أمسك «آجن» بيد «شويكار» قائلًا:

- انتهت المهمة وانتهى الخوف.

تنهدت وقلبها بدأ يرجف وهو يقترب منها قائلًا:

- أحبكِ ولن أترككِ مهما حييت.

واحتضن «هرماس» «إلينا» وهو يردد:

- كنت قد فقدت الأمل في رؤيتك مرة أخرى.

ثم ابتعد عنها برفق وهو يقول للجميع:

- هيا بنا نعبر البوابة.

ثم أمسك بيد «إلينا» وقفز عبرها ليتبعه البقية.

*****

أغلقت «ساڤانا» مذكرَتها لتضعها أعلى المنضدة وصدرت منها تنهيدة رسمت على شفاهها ابتسامة، لم تترك عادتها بعد كل تلك السنين، لا تزال تسجل أحداث يومها وتقرأ ما فاتها، فخورة هي بنفسها وأصدقائها الخمسة، ثم قطع تسلسل أفكارها دخول إعصار مناديًا:

- أمي، أمي، أمي!

استقبلتهما «ساڤانا» بضحكات شقية تواكب دخولهما المبهج قائلة:

- لم تناما بعد يا أشقياء!

وقف الطفلان على أسرَّتهما يقفزان وهما يرددان بصوتٍ واحد:

- لن ننام حتى نعرف ماذا حدث بعد ذلك؟!

فتح «توراك» الباب وهو يتصنع الجدية:

- ماذا يحدث هنا؟! ألم تناما بعد؟!

بدآ يطلقان عدة صرخات:

- قُصَّها أنتَ علينا مرة أخرى أبي، لم يغلبنا النعاس بعد.

اقتربت «ساڤانا» منه تقف بجواره تهمس له:

- تصرف معهما، لا دخل لي.

ثم انسحبت تعبر باب الغرفة، فأمسك بكفها لتستدير نحوه تنظر إليه، فغمز هو لها وقال:

- سأتخلص منهما في دقائق، لا تنامي ساڤانا!

بادلته الابتسامة وهي تسحب كفها لترفعه أمامه:

- لن يحدث، سأنتظرك!

ثم أنهت جملتها بابتسامته، لتنتبه على صوت هاتفها، انتظرت حتى دخلت غرفتها عندما رأت اسم الثرثارة صديقتها التي اختارت أن تعود لبلدتها بصحبة «آجن» كما فعل «هرماس» و«إلينا»، وأجابتها بلقبها المعروف:

- أهلا مذياعي السري، ألقي إليَّ بجديدك.

وقبل أن تخبرها رن هاتف المنزل، أوقفتها «ساڤانا» لتجد «إلينا» على الهاتف المنزلي، تفاجأت «ساڤانا» عندما أتتها صرختي «شويكار» و«إلينا» في نفس الوقت، فسألتهما بذعرٍ شديدٍ وهي تضع كلا السماعتين على أذنيها:

- ماذا؟! ماذا حدث؟!

وفي لحظةٍ واحدةٍ قالت الاثنتان:

- ساڤانا! إنهم يعودون من جديد!

*****

تمت بحمد الله



للترجمة والتدريب والنشر والتوزيع

info@ibda3-tp.com

dreidibrahim@gmail.com

ibda3bookstore@gmail.com